

III

THE HISTORY
OF THE
SYRIAN ORTHODOX CHURCH
OF ANTIOCH

PART III

By
SEVERIOS ISAAC SAKA
METROPOLITAN

Printed by
GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM
Metropolitan

ALEPPO - SYRIA
1983

١	٢٤٢	اغراضه	اغراضه
١٠	٢٥٥	المشهد	المشهد
٨	٢٥٦	اقاق	افاق
٩	٢٦٧	كبريين	كبيريين
٤	٢٦٦	مجنحة	منجحة
٧	٢٨٧	العسقلائي	العسقلائي
١١	٣٠٥	والحرقلية	والحرقلية
٩	٣٠٨	ونسج	وفسج
١	٣٠٩	مؤرخو	مؤرخر
٧	٣٦٦	اخليفة	اخليفة
٣	٣٦٨	ينبوعها	ينبعوها
١٦	٣٩٦	يحي	يحيدي
١	٤١٠	Forouqo	Fortougo
١	٤١٠	Fourqono	Fourgono

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	ص	مطر
لغة	لعنة	٦	١٤
مواطن	موطن	١٤	١٣
صالحاتي	صالحاني	٢١	الحاشية
ملكائهم	ملكاً لهم	٣٦	٢
مدسومين	موسومين	٣٩	٩
ص ١٠	ص ٤٧٦	٤٤	الحاشية
واللغة	اللغة	٤٩	١
مسبيرد	مسبيرو	٦٠	٣
المفاربة	المغاربة	٧٥	١١
عن	على	٩٧	٧
١٨٧١	٨٧١ م	١٠٩	٣
يمن	ومن	١١٠	١
الفريية	والفريية	١٢٥	٥
الحقول	المغول	١٣٩	٨
يتسبونها	يستنسبونها	١٦٢	١٠
اما	ان	١٦٣	٨

١١	١٦٥	دحا	دني
١	١٦٧	عصره	عصر
٧	١٨٣	يلغون	يلقون
١٣	١٨٣	المستملحة	المستملة
١١	١٨٦	واظرفها	واظرافها
١٦	١٨٦	وبضع	ويضع
٣	١٩١	هكسيلة	هكسيلة
٩	١٩٧	والحرقلية	والحرقلية
٨	٢٠٦	وقع	وقع
		مكتبات اوربا وبعض	مكتبات الشرق
٣	٢٠٨	مكتبات الشرق	
١	٢١١	بالسينائية	بالسينائية
١٦	٢١٢	نسخه	نسخة
٦	٩٤	الطبيعة	البيعة
٦	٢٢٠	فارق	فارقا
١	٢٢٢	الخطوى	الخطوة
٨	٢٣٠	ططيانس	طيطاس
١٩	٢٣١	—	—
١٢	٢٣٧	المقتبسة	المقتبسة

يعقوب الرهاوي - الراهب الزوقيني ٣٦٣ - البطريك ديونيسيوس
التمحري - المؤرخ المغمور - البطريك مار ميخائيل الكبير ٣٦٤ -
الرهاوي المجهول - ابن العبري مفران المشرق ٣٦٥ .

٥ - الفلسفة : كيف دخلت الفلسفة الى المسيحية

٣٦٧

الفلسفة الاغريقية والفكر السرياني ٣٧٤ - مرحلة النقل ٣٧٥ -
مرحلة التأليف والتصنيف ٣٧٩ - نظرة السريانية الى الفلسفة
الاغريقية ٣٨١ - مكانة ابن العبري في الفلسفة السريانية ٣٩١ -
فلسفة التصوف ٣٩٣ .

تراجم النقلة والمؤلفين : ماراحو دامه - سرجيس الرأسعيني ٣٩٧

ساويرا سابوخت ٣٩٨ - أثناسيوس البلدي ٣٩٩ - يعقوب
الرهاوي - جرجس أسقف العرب - البطريك ثاودوسيوس ٤٠٠ -
موسى بن كيفا - ابن الصليبي ٤٠١ - الرهاوي المجهول - سويريوس
يعقوب البرظلي ٤٠٢ - ابن العبري ٤٠٣ .

٦ - العلوم الطبية والطبيعة والفلك والهيئة والجغرافيا ٤٠٤

سرجيس الرأسعيني ٤٠٤ - ساويرا سابوخت ٤٠٥ - يعقوب
الرهاوي - داؤد بن فولوس - موسى بن كيفا - الرهاوي المجهول -
سويريوس يعقوب البرظلي ٤٠٦ - ابن العبري ٤٠٧ .

٧ - العرب والسريان ٤٠٩

الترجمة الى العربية او أثر السريان في الحضارة العالمية ٤١٣ -
الأمانة في الترجمة وصحتها ٤٢١ - أثر السريانية في العربية ٤٢٤ -
تمامها - الألفاظ ٤٢٥ - الأرقام - الكتابة والخط ٤٢٧ - النحو ٥٢٩
في اللهجات العامية ٤٣٢ - أسماء القرى - في الفكر ٤٣٣ .

أثر العربية في السريانية

٤٣٤

استعراب السريان - اتحدت والكتابة ٤٣٥ - تكريت مركز ثقافي
هام ٤٣٨ - حبيب ابن خدمة أبو رائلة التكريتي - يحيى بن عدي ٤٣٩
أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي الطيب - أبو سعد الفضل
التكريتي ٤٤٣ - الحسن ابن الحمار - عيسى بن زرعة ٤٤٤ - يوحنا
بن شوشان - اثناسيوس السادس - يوحنا بن المعدني ٤٤٥ -
حياة الكنيسة ٤٤٨ .



الأمدي ٢٥٤ - اسحق الانطاكي - اسحق الرهاوي الثاني ٢٥٥ -
مار بالاي ٢٥٦ - القديس مار يعقوب السروجي ٢٥٨ - ماروثا
الميافرقيني ٢٦٢ - مار رابولا مطران الرها ٢٦٤ - الشماس شمعون
الفخاري ٢٦٥ .

٢٦٦

المرحلة الثانية

المطران مار يعقوب الرهاوي ٢٦٦ - مار غريغوريوس يوحنا ابن
العبري ٢٧٣ - أثر اليونانية في الثقافة السريانية ٢٨٤ - الطابع
اليوناني في حياة الفكر السرياني ٢٩٢ - الطابع اليوناني في حياة
الكنيسة السريانية ٢٩٩ .

٣٠٢

فروع الثقافة السريانية - في المرحلة الثانية

١ - الكتاب المقدس ٣٠٣ - تراجم حياة علماء الكتاب
المقدس (النقلة والمنقحون) ٣١٠ - مار بولس مطران تلا ٣١٠ -
مار توما الحرقلي ٣١١ - الربان سبروي - الربان راميشوع -
والربان جبرائيل ٣١٢ - مار يعقوب الرهاوي ٣١٣ - تفسير الكتاب
المقدس ٣١٣ - تراجم حياة المفسرين ٣١٥ - مار فيلكسينوس
المنبجي - مار سويريوس الانطاكي ٣١٥ - مار يوحنا بن افتونيا -
مار دانيال الصلحي ٣١٦ - ماروثا التكريتي - مار يعقوب الرهاوي -
القس اندراوس الاورشليمي - مار جرجس أسقف العرب ٣١٧ -
مار ايوانيس اسقف دارا - مار موسى بن كيفا ٣١٨ - مار
ديونيسيوس يعقوب بن صليبي ٣١٩ - مار غريغوريوس يوحنا ابن
العبري ٣٢١ .

٣٣٢ ٢ - العلوم اللسانية (اللغوية) كلمة مفيدة

النحو ٣٢٤ - الفصاحة - الشعر والادب ٣٣١
تراجم مشاهير علماء اللغة في النحو والفصاحة والشعر - القديس مار
احودامه - الربان سبروي - الربان راميشوع والربان جبرائيل ٣٣٤
مار يعقوب الرهاوي - جرجس أسقف العرب - الأنا داؤد بولس
آل ربان ٣٣٥ - الربان انطون التكريتي ٣٣٦ - ابن قيسي ٣٣٧ -
سعيد ابن الصابوني - يوحنا بن اندراوس ٣٣٨ - سويريوس يعقوب
البرطلي ٣٣٩ - البطريرك يوحنا ابن المعدني - المفريان ابن العبري ٣٤٠

٣٤١ الآداب

أدب الرسائل ٣٤٢ - المقالات والمواظظ ٣٤٣ - مواضيع معينة ٧٤٤

٣٤٥ ٣ - العلوم الدينية الكتاب المقدس - اللاهوت - الفقه - الطقس

اللاهوت : القديس فيلكسينوس المنبجي - مار يعقوب
الرهاوي ٣٤٧ - البطريرك قرياقس التكريتي - ايوانيس الداري -
موسى بن كيفا ٣٤٨ - ديونيسيوس ابن الصليبي - يعقوب البرطلي -
ابن العبري ٣٤٩ .

٣٥٠ الشرع الكنسي : (الفقه)

٣٥٧ الطقس

٣٥٩ ٤ - التاريخ

المؤرخون الرسميون : زكريا الفصيح - يوحنا الأفسسي ٣٦١

الفهرس

٢

المقدمة

١

الآراميون

- تعريفهم - ضبط اللفظة ٣ - معنى التسمية ٤ - ظهور التسمية ٧ -
- موجز تاريخهم السياسي ٦ - الدول الآرامية في ما بين النهرين ١٤ -
- آرام دمشق ١٥ - مملكة الرها ٢١ - الأنباط ٢٣ - تدمر ٢٥ -
- الحضر ٢٦ .

٢٧

الآراميون والعرب

- الآراميون والعرب ٢٨ - نشوء العرب ٣٣ - معنى العرب ٣٤ -
- ظهور التسمية ٤١ - من يطلق عليه لفظه عرب ٤٤ - بلاد آرام ٥١

٥٤

ظهور لفظه سورية وسريان

- لفظه سورية وسريان ٥٦ - من أين أتت تسمية سورية ؟ ٥٩ -
- السريانية تنتصر على الآرامية بفضل المسيحية ٦٨ - بلاد الشام ٨٠ .

٨٢

اللغة السريانية الآرامية

- السريانية لغة سامية ٨٤ - قدمها ٩٢ - أسماء اللغة الآرامية
- السريانية ٩٥ - ميزاتها وقدسيتها ٩٧ - انتشارها ٩٩ - الآرامية
- لغة فلسطين ١١٤ - لهجات اللغة الآرامية ١٢٢ - اللغة العربية تحمل
- محل السريانية ١٤٤ .

المدارس السريانية

١٥١

كلية عامة - ١٥٢ - مدرسة نصيبين الاولى ١٥٦ - مدرسة
الرها ١٥٧ - مدرسة نصيبين الثانية ١٦٠ - مدرسة دير مار
مقي ١٦٤ - مدرسة بيت شاهاق ١٦٥ - مدرسة دير سرجيسة ١٦٦ -
مدرسة دير قرقتا ١٦٨ - مدرسة دير سرجيس المعلق ١٦٩ -
مدرسة دير مار برصوم ١٦٩ - مدرسة دير قنسرين ١٧١ - مدرسة
دير الزعفران ١٧٣ -

الخط السرياني والمكتبات السريانية

١٧٧

الخط السرياني ١٧٨ - الخطاطون والنساخ السريان ١٨١ - كيفية
النسخ ١٨٢ - الخط السرياني والفنون الجميلة ١٨٣ .

المكتبات السريانية

١٨٨

مكتبة دير قرقميين - مكتبة دير مار مني ١٨٩ - مكتبة دير السريان
بمصر ١٩٣ - مكتبة دير مار برصوم ١٩٤ - مكتبة دير
الزعفران ١٩٦ - مكتبة دير مار مرقس ١٩٧ - تلف
المخطوطات ١٩٩ - أقدم المخطوطات السريانية ٢١٠

الثقافة السريانية

٢١٥

الثقافة السريانية ٢١٦ - المرحلة الوثنية ٢١٩ - المرحلة المسيحية ٢٢٥

المرحلة الاولى

٢٣٠

تراجم بعض الادباء في هذه الحقبة ٢٣٢

القمة الثلاثية للشعر السرياني

٢٣٩

الشعر السرياني ٢٤٠ - مار أفرام السرياني ٢٤٧ - مار اسحق

اثبات وتأويل رموزهم وامثالهم . وقصة حي بن يقظان لابن
طفيل وغيرها . وقد تأثر كل من البطريرك ابن المعدني
١٢٦٣ + وابن العبري ١٢٨٦ + بهذا النهج الفلسفي
الرمزي ، فابن المعدني في قصائده الصوفية الثلاث الاولى
في الطير وقد عارض فيها قصيدة ابن سينا التي مطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

اما ابن العبري في مؤلفه علم النفس يظهر تأثره بابن
سينا في امور كثيرة ، في النفس ، ونظرية المعرفة ،
والسعادة ، والخير والشر ، الخ . وابن العبري يسمي ابن
سينا « استاذنا » وقد اطنب في مدحه بقوله « انه لما اخذ
(ابن سينا) وزنة (فلسفة) ارسطوطاليس لم يردھا
خمساً لكن اكثر من خمسين وزنة . وقد آل به الامر
ان يترجم الى السريانية بعض كتبه كما سبق شرحه .

ولابن العبري قصيدة بموضوع « الحب الالهي » جار
بها سلطان العاشقين عمر بن الفارض ، ويتخذ الحمرة مثلاً
لهذا الحب بطريقة الخيام المعروفة . كما تأثر ابن العبري
بالفارابي ، فاخذ عنه آراء في السياسة والاجتماع ، كما

اصممد فكرة ، الممكن الوجود ، كما تطرق في بحثه عن
خلقة الملائكة الى نظرية الفيض كما اوردها الفارابي .

هذا ، وتركت العربية اثاراً اخرى في النحو السرياني
والشعر ، فان الربان انطون المكريتي الفصيح ادخل الى
الشعر السرياني القافية تشبهاً بالعرب ، وادخل ابن العبري
الى النحو السرياني ابواباً عديدة اقتباساً من نحو العرب .

هذا ، ونأمل ان تتاح لنا الفرص لنقدم دراسات
واقية فيما يخص العربية والسريانية .

★ استدراك ★

ورد في صحيفة ٣١٩ في الحاشية :

الصحيح صليبي بسكون الصاد نسبة الى عرب الصليبي

والصواب : الصحيح صليبي بسكون الصاد لا نسبة

الى عرب الصليبي الرحيل الخ .

٣ - كتاب ديوسقوريدس الطيب المينزربي اليوناني
المشهور في المفردات الطبية (مفقود)

٤ - كتاب القانون لابي علي ابن سينا الشيخ الرئيس
نقل اربعة كرايس فحالت المنية دون اتمامه (مفقود)

ثالثاً : في حياة الكنيسة : لقد اثر الطابع العربي حتى
في حياة الكنيسة ، ويبدو هذا الاثر ، في الطقس الكنسي ،
فمن المعلوم ان طقس الكنيسة هو سرياني قلباً وقالباً كما
سيأتي شرحه في الجزء الخامس ، غير ان اللغة العربية
فرضت نفسها عليه ، فنقل معظم اجزائه الى العربية .
واول قداس عربي ذكر في كنيستنا كان في بلاد العراق
في القرن العاشر ذلك ان مفران تكريت قلّد في سنة
٩١٢ الاسقفية رجلاً من العرب ، فكان يقدّس لهم
بالعربية (١٢٠) . وترجمت قراءات الكتب المقدسة ايضاً الى
العربية وصارت تقرأ فيها . ومن الاثر الذي تركته العربية
في هذا المجال ايضاً شيوع الالهام العربية الاسلامية ،

(١٢٠) المرشد لابي نصر يحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ .

بين السريان ولا سيما لبعض البطارقة والمطارنة والرجبان
مثالهم البطريك ديونيسيوس يحيى ، والبطريك خلف ،
والبطريك اسماعيل ، والبطريك شهاب . وقد وقفت على
اسماء الفلاسفة السريانيين في تكريت ، حسن ، علي ،
يحيى ، حميد الخ .

رابعاً : في الفكر السرياني : اخذ علماء السريان

يدرسون فلسفة العرب منذ القرن العاشر فما بعد ،
ويأخذون بها . وقد اقتبس كثيرون منهم النظريات الفلسفية
العربية ، وان السريان امتسأغوا هذه الافكار العربية
لانها صادرة عن عقول تؤمن بالله وخلود النفس والقيامة
والدينونة ، ولأن فلاسفة العرب المسلمين استقوا الحكمة
والمعرفة من اصول سريانية ويونانية عن طريق السريانية ،
ولم يقف فلاسفة السريان موقف الاخذ واقتباس الافكار
الدينية الفلسفية فحسب بل نهجوا منهجهم في ملوك الطريقة
الرمزية في الشعر الفلسفي ، والطريقة الرمزية هذه تعبر
عن الافكار بالالغاز والرموز . ولها وجهان ، احدهما
يمثل الحقائق المجردة بالرموز الحسية ، والثاني يعبر عن
الامور الحسية بالرموز المجردة ، وقد نهجها فلاسفة العرب ،
مثل ابن سينا في رسالة الطير ، وفي رسالته التي تضمنت

فيها الرسائل البليغة والخطب الفصيحة .

ومن الاحبار الآخرين .

سوريوس يعقوب البرطلي ٢١٥٨ + والمفريان صليبا

الرهاوي ١٢٥٨ + .

اما الذي احرز قصب السبق على الجميع ، فهو العلامة

الفد مار غريغوريوس يوحنا المعروف بابن العبري ١٢٨٦ +

له تصانيف بالعربية منها :

١ - رسالتان في علم النفس البشرية وجيزة ومطوّلة ،

افرغهما في قالب الفصاحة والبلاغة . نشر الاولى بولس

شيخو عام ١٨٩٨ ، ونشر الثانية البطريرك افرام برصوم

عام ١٩٣٨ .

٢ - تاريخ مختصر الدول الفه اجابة الى رغبة بعض

علماء مراغه المسلمين . ضمنه فوائد تتعلق بعلماء العرب

المسلمين ، صفحاته ٥٢٢ . نشره اولاً بوكوك ونقله الى

اللاتينية سنة ١٩٦٣ ثم نقله بور الى الالمانية عام ١٧٨٣ ثم

طبعه الراهب انطون صالحاني سنة ١٨٩٠ ، واعيد طبعه في

بيروت عام ١٩٥٨ .

٣ - منتخب كتاب جامع المفردات اي الادوية المفردة
لابي جعفر احمد بن محمد خليل الغافقي الاندلسي المتوفى
سنة ٥٦٠ هـ ، في ثلاث مجلدات اختصره ابن العبري ومسئل
بذلك الانتفاع به وعنوانه بـ « منتخب الغانقي في الادوية
المفردة »

٤ - كتاب منافع اعضاء الجسد جمع فيه بتفضيل آراء
الاطباء بأسرها في المواد الطبية وهو مفقود .

٥ - كتاب شرح فيه فصول ابقراط .

٦ - كتاب تحرير مسائل حنين بن اسحق الطبيب .

٧ - خطب بليغة لمناسبات دينية .

ونقل من العربية الى السريانية :

١ - كتاب الاشارات والتنبيهات للفيلسوف ابن سينا ،
بانشاء في غابة الجودة .

٢ - كتاب زبدة الاسرار في الفلسفة لاثير الدين
الابهرى ت ١٢٦٤ (مفقود) .

ومن تلاميذ يحيى بن عدي :

٥ - الحسن ابن الخمار (١١٧) : ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار البغدادي من اكابر الفلاسفة وافاضل الحكماء . ولد في بغداد عام ٩٤٢ ، وتميز بالاضطلاع من السريانية والمريية وحذق صناعة الطب ، وتبحر في الحكمة . نقل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي مع الاجادة والاتقان . وله مصنفات كثيرة منها كتاب الوفاق بين قول الفلاسفة والنصارى ، وكتاب الصديق والصدّاقة ، وفي سيرة الفيلسوف ، وكتاب في خلق الانسان وتركيب اعضائه ، ومقالة في الصرع . عاش في النصف الثاني من المئة العاشرة .

٦ - عيسى بن زرعة (١١٨) : من بغداد ، له عدة تأليف فلسفية وطبية ونقول عن اليونانية ، ومن اثره الباقية الى اليوم كتاب في صحة مذهب النصارى

(١١٧) اللؤلؤ المنشور من ٤٤٦ والمجلة البطريركية السنة ٤ ص ٣١٣ القدس .

(١١٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٥ ، وتاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي من ٢٤٥ والفهرست لابن النديم من ٢٦٤ .

وفساد مذهب اليهود ، وكتب لاهوتية وفلسفية عديدة .
وهناك عدد كبير من الفلاسفة والاطباء ، والنقلة ،
والعلماء ، واللاهوتيين ، لا يسع المجال لسرد تراجمهم هنا
امثال ، عبدالمسيح بن عبدالله بن ناعمة في القرن التاسع ،
والراهبان ، روفيل وبنيامين استاذا المنطق في بغداد ،
والفلاسفة ابوزكريا دنحا السرياني ، وابو اسحق ابراهيم بن
باكوس ، وابو الحسن علي ، في القرن العاشر . والاب
دانيال المارديني الفيلسوف السرياني المصنف في القرن الرابع
عشر للميلاد .

ومن البطاركة الذين حذقوا اللغة العربية :

يوحنا بن شوشان ١٠٧٢ + : له رسالة عربية
مجمية الى بطريرك الاقباط .

اثناسيوس السادس ١١٢٩ + : درس العربية وحذقها
فازت الفصاحة على قلمه (١١٩) .

يوحنا بن المعدني ١٢٦٣ + : برع في العربية ، دبج

(١١٩) الأوّل الثور من ٤٦٤ .

احصى له العلماء سبعين كتاباً ورسالة ومقالة في علوم
اللاهوت ، والفلسفة ، والطبيعات ، والجسد والطب ،
والادب . وبعض هذه الكتب نقلها من السريانية الى
العربية الفصحى . غير ان الزمان اخنى على معظمها وبقيت
منها بقية قليلة ، وقد اتى على ذكر مصنفاته البطريرك افرام
برصوم في كتابه الذي نشره عن يحيى بن عدي في شيكاغو
عام ١٩٢٨ .

ومن اشهر كتبه : كتاب تهذيب الاخلاق ، الذي تناوله
بعض العلماء والمستشرقين بالدراسة والتحقيق وقد احصى
الاب سمير خليل اليسوعي اربع عشرة طبعة لهذا الكتاب
٦ منها في القاهرة ١٨٧١ - ١٩٤٦ ، ٣ منها في بيروت
١٨٦٦ - ١٨٩٧ ، واثنين في القدس ١٩٣٠ و ١٩٣٤
وواحدة في كل من اسطنبول ١٨٩٦ ودمشق ١٩٢٤
وشيكاغو ١٩٢٨ .

وفي عام ١٩٧٨ طبعه صديقنا العزيز الدكتور ناجي
التكريتي الامتاز في كلية الآداب في جامعة بغداد ، وبذل
جهداً كبيراً في دراسة هذا الكتاب وتحقيقه باللغة الانكليزية ،
وعندما زارنا في دير مار متى بصحبة شقيقه اللواء راجي ،
اهدى الينا منه نسخة .

من المستشرقين الذين تناولوا دراسة هذا الفيلسوف :
اوغسطين بيريه ، عام ١٩٢٠ ، وجورج جراف عام
١٩٤٧ ، وجرهارد اندرس عام ١٩٧٧ .

٣ - ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي الطيب (١١٥) :
من كتبة القرن الحادي عشر ، تلميذ يحيى بن عدي ويحيى
ويحيى بن زرعة ، له كتاب يدعى « المصباح » المرشد الى الفلاح
والنجاح في قواعد الشريعة المسيحية والقوانين الرسولية .

٤ - ابو سعد الفضل التكريتي (١١٦) : هو اخو ابي
نصر يحيى المذكور آنفاً ، وصفه ابن ابي اصيبعة بكثير
الاطلاع في العلوم ، وفاضل في صناعة الطب ويقول انه
خدم الامير نصير الدولة بن مروان . وقد ذكر له مقالة
في اسماء الامراض واشتقاقاتها كتبها الى بعض اخوانه ،
وكتابه هذا مفقود ، وله كتاب حسن في القرايين . وكان
فيلسوفاً ، وقد نقل من السريانية الى العربية كتباً علمية
عديدة ، توفي في اواسط المئة الحادية عشرة .

(١١٥) طبقات لاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٤٣ .

(١١٦) « « « « « « ١ : ٢٤٣ .

وقال فيه معاصره ابو الحسن علي بن الحسين المسمودي
« ولا اعلم في هذا الوقت احداً يرجع اليه في ذلك (المنطق
والفلسفة) إلا رجلاً واحداً من النصارى ، بمدينة السلام ،
يعرف بابي زكريا بن عدي ، » .

يعد يحيى من مشاهير النقلة والمترجمين وقد نقل من السريانية
الى العربية اكثر من عشرة كتب ، واصلح وهذب ما نقله
بعض المترجمين .

كان ملازماً للنسخ كتب بيده كثيراً من الكتب ،
ذكر انه كان يكتب خطأ قاعداً بيناً في اليوم والليلة مئة
ورقة واكثر .

تمسك بالارثوذكسية ودينه السرياني ، ودافع عن عقائدها
مثبتاً حقها يبراهين منطقية . كان قد اوصى تلميذه ابا علي
اسحق بن زرعة ان يكتب على قبره حين حضرته الوفاة
وهو في بيعة مار توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين من
الشعر .

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقياً قد مات جهلاً وعيياً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تمدوا الحياة في الجهل شياً

توفي عام ٩٧٤ ودفن في بيعة مار قوما بقطيعة الدقيق في بغداد ، وكان عمره احدى وثمانين سنة .

اسّس مدرسة فكرية عرفت بمدرسة بغداد الارسطوطالية، استمرت بعده اجيالاً وممن اخذ عنه : ابو علي عيسى بن زرعة الفيلسوف السرياني ٩٤٣ - ١٠٠٨ ويحيى ابن جرير التكريتي وغيرها .

وقد اثرت آراء يحيى ونظرياته الفلسفية في فلاسفة العرب المسيحيين مثل ابن العسال ١٢٥٥ وعبد يشوع الصوبايوي ١٣١٨ وفي فلاسفة المسلمين مثل ابن سينا وابن رشد ولا سيما هذا الاخير فقد اقتبس بعض نظرياته وادجها في مقالته « العقل الهيلائي » واقوى دليل على اهمية يحيى بن عدي في الفكر الاسلامي الفلسفي ما قاله موسى بن ميمون في الفصل ٧١ من كتاب دلالة الحائرين قال : فلما جاءت ملة الاسلام ونقلت اليهم كتب الفلاسفة ، نقلت اليهم ايضاً تلك الردود التي الفت على كتب الفلاسفة ، فوجدوا كتاب يحيى النحوي وابن عدي وغيرها في هذه المعاني فتمسكوا به ، وظفروا بمطلب عظيم بحسب رأيهم (١١٤) .

(١١٤) تحقيق مقالة في التوحيد ليحيى بن عدي : ص ١٣٧ الاب سمير خليل .

العربية الفصحى ، ضمّ تراجم ٣٥ فاضلاً من علماء السريانية
ومعظمهم اطباء ، وفلاسفة ، ومؤرخون ، ومنهم المترجمون
الذين نقلوا العلوم القديمة الى اللغة العربية (١١١) .

تكريت مركز ثقافي هام : ان اول موقع سرياني

انطلقت منه شرارة التأليف والتصنيف في لغة الضاد كانت
تكريت (١١٢) . وقد احتلت هذه البلدة المباركة في تاريخنا
الكنسي منزلة مرموقة ، دينياً وثقافياً منذ القرن السادس
الميلادي . فمن الناحية الدينية والكنسية ظلت فترة طويلة
من الزمن تقدر بسبعة قرون ، القاعدة الدينية لرئاسة
كنيسة المشرق السريانية ، حيث كان يقيم فيها الرئيس
الاعلى المحلي المفريان . ومن الناحية الثقافية والفكرية
والعادية ، فقد اضحت تكريت لمدة ثلاثة قرون من اوائل
القرن التاسع وحتى اوائل القرن الثاني عشر مركزاً فكرياً
عربياً يشار اليه بالبنان . فقد برز في تلك الحقبة التاريخية
مشاهير اعلام السريان ، كتبوا بالعربية منهم :

(١١١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ١١ : ١٩٣١ ص ١٩٢

(١١٢) كلمة سريانية معناها المتجر ، وهي اليوم احدى محافظات الجمهورية

العراقية ، واقعة على ضفة دجلة اليمنى تبعد عن بغداد ٢٥٠ كم

وتسمى اليوم صلاح الدين .

١ - حميب ابن خدمة ابو رائطة التكريتي : وهو اقدم كاتب عربي عند السريان ، كان متبسّطاً في علم المنطق والفلسفة ، له مقالات ورسائل لاهوتية باللغة العربية ، وهو ايضاً من جملة نقلة الكتب من السريانية الى العربية . اشتهر في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع .

٢ - يحيى بن عدي ٩٧٤ + : هو الشيخ العلامة ابو زكرياء يحيى بن حميد بن زكرياء المشهور بابن عدي المنطقي الفيلسوف والعالم السرياني المتبحر ، حجة دين النصرانية . تكريتي المنبت ، بغدادي المنزل والوفاة . قرأ في بغداد على ابي بشر متى بن يوسف المنطقي ، وعلى ابي نصر محمد الفارابي . نبغ في علوم المنطق واللاهوت والفلسفة حتى انتهت اليه الرئاسة ومعرفة العلوم الحكيمية في وقته ، وهو العصر الذي دعي بعصر الفلسفة ، واستعمل عقله في دقائق الامور توصلاً الى الحقيقة . وكان ضليعاً من السريانية والعربية ، وقد اثني عليه كثير من مشاهير المؤرخين اخصهم ابن النديم ، قال : واليه انتهت رئاسة الفلاسفة المنطقيين في زماننا (١١٣) .

(١١٤) نقلاً عن مقالة في التوحيد للشيخ يحيى بن عدي ص ٢٠ تحقيق الاب سمير خليل اليسوعي .

السريان بطاركة واساقفة وعلماءهم كانوا يحسنون التحدث والتفاهم باللغة المربية قبل وبعد الفتح العربي ، سيما المطارنة الذين كانوا يتولون رعاية الابريشيات العربية ، امثال مار جرجس اسقف العرب ٧٢٥ + مطران بني طي وعقيل وتنوخ ، ويعقوب اسقف عانة ٨٦٠ + اسقف العرب التغالبة . ويوحنا مطران بصرى ٦٥٠ + مطران بلاد العرب وغيرهم . اما البطاركة فلا بدء من ان اكثرهم كانوا يحسنون التحدث بها ، وإلا فكيف كان يتسنى لهم مقابلة الخلفاء الامويين والعباسيين وطرح مشاكلهم امثال مار ديونيسيوس التلمحري البطريرك ٨٤٥ + الذي قابل المأمون العباسي في بغداد ثلاثاً ، والمعتصم مرة . ونهض بهمة سياسية انتدبه اليها المأمون ؟ اما ما ذكره مار جرجس اسقف العرب ٧٢٥ + في احدى رسائله انه لا يعرف سوى اللسان السرياني ، فهو يعني بذلك انه يجهل اليوناني . وانما اراد هاتين اللغتين اللتين كان يحذقهما الائمة للدرس العلوم الفلسفية واللاهوتية ، ولكن هذا لا يعني انه كان يجهل العربية ، لانه لا يبلي العرب من يجهل لسانهم (١٠٩) .

(١٠٩) اللؤلؤ المنشور ص ٢٨٨ .

وفي القرن التاسع وما بعده نجد اجباراً وعلماء يتقنون اللغة العربية ، نحواً ، وقواعد ، وبلاغة امثال ثاودوسيوس مطران الرها ٨٣٢ + والراهبان روفيل وبنيامين من اساتذة المنطق البارزين في بغداد ، وعليهما قرأ المنطق بالعربية ابو بشر بن متى . ودنحا الفيلسوف ٩٢٥ م الذي جرى بينه وبين ابي الحسن علي المسعودي مناظرات كثيرة ببغداد ، وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء . ولا شك ان اداة النقاش والمناظرة لا يمكن ان تكون إلا العربية الفصحى ، ولا يمكن ان ينزل الى هذا الميدان العلمي من لم يكن متمكناً من العربية .

ثم تطورت ثقافة السريان العربية ، فاقبلوا بصورة جدية ومنتظمة بدراسة اللغة العربية وآدابها ، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء الكبار احكموها على مستوى عالٍ واخذوا بناصية بلاغتها ، فانقادت لهم ، فحملوا القلم واتوا بروائع البيان وبدائع الكلام نثراً وشعراً . وقد وضع البطريرك افرام برصوم مقالةً شيقاً بعنوان « نوابغ السريان » (١١٠) في

(١١٠) نعي بالسريان هنا الذين كانت اللغة العربية دخيلة لديهم ولا نعي المسيحيين العرب الذين كانت العربية لغتهم مثل الذين ترجموا الانجيل في القرن السابع ، او الاخطل الذي يمد من مشاهير شعراء النصرانية في العصر الاموي ، وغيرهم من الشعراء والعلماء

كانوا (السريان) لنا سبلا وآلات مؤدية الى علم كثير ،
فانهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا هذه الاوائل الحقية « (١٠٥) .
ويقول علي مصطفى الفارابي « بهذا يمكننا ان نقول ان
السريان هم الذين علموا المسلمين الفلسفة اولاً . وهم الذين
ترجموها لهم ثانياً ، ولهذا تأثر المسلمون بالفلسفة التي كان
يعرفها هؤلاء السريان (١٠٦) .

اثر العربية في السريانية

اخذت العربية ، والعروبة ، تتغلغل في حياة السريان
والسريانية ، وتتفاعل في حياتها الفكرية والاجتماعية منذ
الفتح العربي اللغوي خاصة الذي ظهرت بوادره في اواخر

(١٠٥) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٠٢ .

(١٠٦) تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علوم الكلام عند المسلمين ص ١٣٩

القرن التاسع ، ونشط في القرن العاشر ، ودهين على كافة مرافق الحياة السريانية فيما بعد . ودفعاً للأسباب ، وايضاحاً للأمر ، فوجز هذه الحركة التاريخية بالامور التالية :

اولاً : استعراب السريان : لما بلغ الفتح العربي اشده ، انصهر السريان الآراميون في البوتقة العربية ، وحملوا الهوية العربية ، فصاروا « عرباً » انتقالاً كما سبق شرحه (١٠٧) . وفقد الاسم السرياني من ثم مدلوله القومي ، واضحي مرادفاً لمعني « المسيحية » اي لا يعني سوى مدلول ديني صرف فقط . وكان السبب المباشر ، والعامل الاقوى في احداث هذا التحول التاريخي الخطير في حياة السريان ، غلبة اللسان العربي الذي ساد المرافق السريانية كافة ، وتغلغل حتى في الحياة الكنسية والدينية . واضحت اللغة العربية لغة التخاطب والتعامل ، ثم لغة الثقافة والادب ، واما السريانية ففقدت لغة دين وكنيسة ولا يزال الامر حتى اليوم (١٠٨) .

ثالثاً : التحدث والكتابة : مما لا شك فيه ان اجبار

(١٠٧) انظر هنا ص ٤٨ .

(١٠٨) راجع هنا ص ٤٩ .

سادساً : في العامية : تحوي بعض اللهجات العربية العامية اثاراً كثيرة من السريانية منها :

١ - سكان المتحرك في اول الكلمة كقولهم كبير ، مـليـح . وهذه خاصة لا توجد الا في السريانية .

٢ - قلب الميم الى نون في ضمير المخاطبين وضمير الغائبين نحو ابوكن . بيتهن بدلاً من ابوكم وبيتكم . وهذه من خواص السريانية .

٣ - اسكان آخر الفعل الماضي نحو : قام . باع بدلاً من قام وباع الخ .

٤ - التصغير على الصيغة السريانية ، فيقال خلدون تصغير خالد ، وزيدون تصغير زيد .

٥ - بعض الالفاظ مثل : شبط اي سرق . سكر : اغلق . شوب : حر . فهذه الالفاظ كلها سريانية . ومن طريق الامور ان كلمة « غشيم » تعني بالعربية العامية ،

ساذج وفي المعاجم تعني الظالم البطّاش . فلفظة « غشيم »
المستعملة بالعامية لفظة سريانية مأخوذة من
Goshmo اي جسم . فكأنه يقال لمن تقال الكلمة :
انت غشيم اي انت جسم فقط بدون عقل . وقد وضع
بعض الباحثين كتباً خاصة جمّوا فيها الالفاظ العامية في
اللهجات العربية منهم : الدكتور داود الجلبي الموصلّي صاحب
كتاب « الالفاظ العامية في لهجة الموصل العامية » والدكتور
عيسى بك صاحب كتاب « المحكم » في اصول الكلمات
العامية في اللهجة المصرية . وغيرها .

سابعاً : اسماء القرى : لا تزال قرى عديدة في لبنان
وصورية ، والمراق ، تحمل اسماء سريانية محضة سيّما التي
تبتدىء بـ كفر Kfar وبيث Beth . (راجع مجمع اسماء
والمدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها لانيس فريجة) .

ثامناً : في الفكر : استقى بعض فلاسفة العرب كابن
سينا الحكمة والمعرفة عن اصول يونانية عن طريق السريانية
كما سبق شرحه . وقال الكندي في احدى رسائله « فقد

ذلك ان ابا الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م
والذي يعتبر منشىء النحو العربي ، كان قد ذهب الى
الكوفة وتعم هناك السريانية الفصحى كما يخبرنا المؤرخ التركي
احمد رفيق ، واتصل بعلماء السريان واستعان بهم في اول
نحو نظمه في اللغة العربية^(٩٩) . فانسج في تبويبه على
منوالهم^(١٠٠) ووضع قوائده على نمط القواعد السريانية^(١٠١)
وقد اعتمد كثيراً على السريانية^(١٠٢) . ومن اهم كل ذلك
استمد الشكل^(١٠٣) اي اقتبس النقاط السريانية التي تميزها
الكلمات فالحركات التي كان قد استنبطها قبيل ذلك العلامة
يعقوب الرهاوي ، وهذا العمل الاخير يعتبر اللبنة الاولى
في بناء النحو العربي .

(٩٩) كتاب التاريخ العام ج ٥ ص ٣٦٤ .

(١٠٠) جرجي زبدان : تاريخ ادب اللغة العربية ج ١ ص ٢٤١ .

(١٠١) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٨٣ .

(١٠٢) احمد حسن الزيات : الادب العربي ص ٢٠٦ طبعة ٢٥ القاهرة

(١٠٣) حسن عون : اللغة والنحو ص ٢١٥ ط ١ ١٩٥٢ الاسكندرية

« رسلاً كلنا حاهم رسول
بمألاً بهوى انفسهم فرينفا كذبوا »

(مخطوط لمصحف كوفي قديم في دار الكتب المصرية
بالقاهرة . موجود في معرض المصاحف تحت رقم ١١٥
مصاحف وعليه ملاحظة كتب عليها « هذا المصحف مكتوب
على طريقة ابي الاسود الدؤلي تم كتابته في اوائل القرن
الثالث) (١٠٤) .

(١٠٤) نقلاً عن (ابو الاسود الدؤلي) الدكتور فتحى عبدالفتاح
المدجني : الكويت ١٩٧٤ .

الآرامي ، وان الخط العربي الكوفي ليس هو إلا الخط
الاسطرنجيلي الآرامي بتطور يسير (٩٧) .

واورد المطران قليميس يوسف داود بعض البراهين
يثبت فيها اقتباس العرب فن الكتابة والخط عن السريان
منها :

١ - من ترتيب الحروف العربية الذي يقال فيه اجد
هوز الخ اذ هو نفس ترتيب الحروف السريانية .

٢ - من القوة العددية التي للحروف العربية في حساب
الجمال اذ هي كما يستعملها السريان من دون ادنى اختلاف .
ومن طريف ما يذكر بهذا الخصوص ، ان الرقم ١٣ مثلاً
اضحى لدى الناس رقماً مشؤوماً ، فكثيرون لا يأتون باي
عمل في اليوم المصادف ١٣ من اشهر السنة لاعتقادهم انهم
لا يتوفقون في تأدية ذلك العمل وربما يعود عليهم بامر
محزن . غير ان حقيقة الامر هي كالآتي : ان رقم ١٣
يعني يوم الاحد ، المتألف من ثلاثة حروف ا . ح . د ،

(٩٧) تحقيقات تاريخية لغوية ص ٢٧ .

فالالف بالنسبة لقوة العددية ١ ، والحاء ٨ ، والذال ٤ ،
ويكون مجموعها « ١٣ » . ومن تعاليم الكنيسة المسيحية
ان يوم الاحد هـ-و يوم الراحة ، يوم الرب . لذلك يجب
ان يكرّس للعبادة والراحة ، ولا يجوز القيام فيه باي عمل
كان ، ومن اتى عملاً يوم الاحد يحل عليه غضب الله .
لذلك يتمسك المسيحيون بيوم الاحد الرقم (١٣) من
الناحية الدينية ، فيجلّونه ويقدمونه .

٣ - من الادلة القاطعة على ان الكتابة العربية هي
في الاصل سريانية ، حذف الالف اذا جاءت حرف مد في
حشو الكلمة ، وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية .
وكان ذلك شائعاً كثيراً في مبادئ الكتابة العربية كما تشهد
مصاحف القرآن القديمة اذ يكتب فيها بلا الف :

ابرهيم ، اسرئيل ، اسمعيل ، الرحمن ، الخسرون ،
الملئكة ، بدلا من ابراهيم ، اسرائيل ، اسماعيل ، الرحمان ،
الخاسرون ، الملائكة (٩٨) .

خامساً : النحو : تأثر نحو اللغة العربية بالنحو السرياني ،

(٩٨) المطران يوسف داود : الفصاري ص ٢٥ .

السريانية لتعبير عن بعض الافكار او المواد التي تدل على درجة معينة من المدنية (٩٣) وان المعاجم العربية مشحونة بهذه الالفاظ وقد جمع بعض اللغويين الكبار تلك الالفاظ في كتب خاصة ، اجودها واحسنها الكتاب القيم الذي وضعه البطريرك افرام برصوم والذي دعاه « بالالفاظ السريانية في المعاجم العربية » نشره تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

نذكر منها على سبيل المثال الالفاظ المتعلقة بالمسيحية نحو : باعوث ، جهنم . تسبيح ، صلاة الخ . وبواسطة السريانية دخلت الى العربية الفـاظ يونانية مثل : زنار ، ايقونة ، امكيم ، فندق ، انجيل الخ . ومن المصطلحات العلمية مثل ، فلسفة ، جغرافيا ، مفسطي ، اقليم ، اثير وقد دخلت العربية لا كأنها يونانية ولكن كأنها سريانية لانها لم تدخل في العربية من اليونانية رأساً لكن بواسطة اللغة السريانية . وان العرب يلفظون الكلمات اليونانية المعربة كما يلفظها السريان لا كما يلفظها اليونان فيقولون مثلاً مقراطيس ،

(٩٣) لغة العرب وكيف تنهض بها ص ١١٥ .

اقليم ، فندق ، طقس ، لا سكرانيس ، طليما ، بندوخيون ،
تكسيس كما يقول اليونان . ومما يستحق الاعتبار ان العرب
سموا اليونان بالاسم السرياني كما سمعوه من السريان ، لا
بالاسم اليوناني هليس(٩٤) .

ثالثاً : الارقام : اقتبس العرب الارقام الهندية من
السريان(٩٥) .

رابعاً : الكتابة والخط : في القرن الاول قبل الاسلام
اقتبست العربية من الخط السرياني الاسطرنجيلي اجديتها
وخطها الذي عرف بالكوفي . فاستعمل بمدئذ لكتابة
القرآن الكريم شأن الاسطرنجيلي عند السريان بالنسبة
للانجيل المقدس(٩٦) . وقال المطران بولس بهنام « لا شك
ان العرب اخذوا خطهم الذي نراه اليوم من الخط النبطي

(٩٤) يوسف داود : القصارى ص ٢٠ .

(٩٥) مجلة المشرق البيروتية ١٤ - ١٩١١ - ٢٣٩ نقلاً عن
المستشرق نو .

(٩٦) الابراشي : الآداب السامية ص ١٩٧ .

عليه النقلة لم يصل اليه المشتغلون بالادب العربي فيما بعد ،
ولا فاقوهم من حيث الجودة والامانة . اما فهمهم للمواضيع
المنقولة فهو كاتقانهم اللغات وقد اطرى الشرقيون والغربيون
نبوغهم وعلمهم وقال في ذلك قدامة البطريرك افرام برصوم
« ناهيك بعلم من ينقل امثال هذه الكتب » ولم ينعتهم
جرجي زيدان بأهل الذكاء والنشاط جزافاً ، ولم يضعهم
المستشرقون في الذروة من صرح الفلسفة ، ولم يجعلهم في
مصاف الامم الراقية عفواً ، سيما وهم خصمهم في العقيدة
المسيحية ، بل انما جاء ذلك اقراراً بالحقيقة والواقع
ليس الا ، .

اثر السريانية في العربية

في الوقت الذي كان فيه لغة الآرامية السريانية الغلبة
والانتشار ، اثرت في اللغة العربية تأثيراً عظيماً وواسعاً .
ومن هنا نستنتج ان العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى
السريان فكان لتلك المدنية اثر عظيم في اعداد العرب لان
يمثلوا دوراً هاماً جداً في تاريخ العالم (٩٠) .

(٩٠) محمد عطية الابراشي : لغة العرب كيف نهض بها ص ١١٤ -
١١٥ القاهرة ١٩٤٧ .

وينحصر تأثير السريانية بالعربية بما يلي :

اولاً : تعلمها : سبق ان اشرنا الى العلاقة الوثيقة الطيبة بين العرب والسريان كما تفيدنا المراجع التاريخية الصحيحة ، ومن حيث الاتصال اللغوي فقد اتصل العرب بالسريانية منذ الجاهلية ، وقوي هذا الاتصال بعد الفتح الاسلامي ، وعرف كثير من العرب اللسان السرياني . ونجد الرسول محمداً يحث على تعلم السريانية ، فقد روى محمد بن عمر المدائني في كتابه القدر والدواة قول الرسول لزيد بن ثابت : اتحسن السريانية ؟ قال : لا ، قال : تعلمها ، فتعلمها زيد في سبعة عشر يوماً (٩١) . فمن هذا الحديث نصل الى حقيقة هامة وهي ان اللغة السريانية كانت منتشرة في البلاد الاسلامية (٩٢) .

ثانياً : الالفاظ : امتزجت العربية كثيراً من الالفاظ

(٩١) صحح الاعش مج ١ ص ١٦٥ واحمد امين : فجر الاسلام ص ١٤٢ .

(٩٢) الدكتور فتحي عبدالفتاح الدجني : ابو الاسود الدؤلي ونشأة النحو العربي ص ٥٩ .

قال جالينوس في كتابه « في الاسماء الطبية » يروي بيتاً من
الشعر لارسطوفانس لم يستطع حينئذ ترجمته لانه لم يفهم
معناه ، وتركه بدون ترجمة مدعيماً ان لا علاقة له بالموضوع
كما ان مشكلة قلة المخطوطات والكتب في ذلك العصر كان
يرهق المترجم كثيراً فقد ذكر لنا حنين بن اسحق احد
المقلة المهرة « ان احد الثقات اخبره ان نسخة من كتاب
جالينوس في النبض يناقض فيه ارخيجانس موجودة في
حلب ولكن الجهود التي بذلها في التساؤل عنه في حلب لم
تجده نفعاً ، وعندما كان يفتش عن كتاب البرهان شملت
جهوده العراق وسوريا وفلسطين ومصر بما في ذلك مدينة
الاسكندرية ، غير ان هذه الجهود لم تجده نفعاً ايضاً
بامتناء مخطوطة غير كاملة عثر عليها في دمشق وفيها جزء
يقرب من نصف الكتاب الذي كان يفتش عنه ، وقد
استعان حنين في اكمال الاجزاء الباقية من المخطوطة اليونانية
بترجمة مار يعقوب الرهاوي لكتاب البرهان التي بذل فيها
جهداً كبيراً للحصول عليها ، وبعض مؤلفات جالينوس لم
تكن متوفرة ، ولم يكن يعرف حنين احداً رآها او
قرأها » مناهج العلماء المسلمين للدكتور روتقال ص

٥٠ - ٥١ .

ولما كانت هذه الترجمة بهذه الخطورة والصعوبة فقد اعير لها أهمية وعناية وجعلت علماً قائماً بذاته ، مستقلاً عن فروع الثقافة الأخرى كما أخبرنا فوقاً الرهاوي فدخلت إليها أساليب وطرق مبتكرة تضمن لها الأمانة والصحة ، وتذلل ما يعترضها من صعوبات ومشقات . كما سبق شرحه .

وأما عن مستوى الترجمة العلمي فحدث ولا حرج ، فهو أشهر من نار على علم ، فقد تزلعوا من اللغات اليونانية والسريانية والعربية ، وادركوا أعماقها ، وسبروا غورها ، فصلة السريان باللغة اليونانية عشرة قرون ، وتصميمهم إياها في معاهدهم العلمية اطلاقاً دليل يبين على اتقانهم إياها ، وقد أكد ذلك صاحب كتاب فجر الإسلام بقوله « لم يدع السريان كتاباً في الحكمة إلا عربوه ولا سيما مؤلفات من اللغة اليونانية لانهم كانوا قد تعلموها واتقنوها غاية الاتقان من القرن الرابع للميلاد وادخلوا تدريسها في مدارسهم ، فلخصوا وهذبوا وزادوا وبوّبوا واصلحوا والتفوا ، انظر كتاب ظهر الإسلام أيضاً ص ١ : ٨٨ - ٨٩ . أما اللغة السريانية فهي لغتهم الخاصة ، وأما اللغة العربية فكانوا يتقنونها كل الاتقان أيضاً ، قال الدكتور فرانتز رونثال « ولا شك أيضاً في أن المستوى العلمي الذي كان يعمل

فطلبها ملك الروم ولم يجد لها ببلاده اثرأ فاخذ في السؤال والبحث واخيراً هده احد الرهبان الى بيت قديم كانت قد كدمت فيه تلك الكتب ، واغلق بابه وقفل عليه الملوك اقفالاً ، فلما اهتدى اليها الملك وبمشورة ذلك الراهب اخذ منها جانباً بغير علم ولا فحص خمسة احمال وسيرت الى المأمون « ومن ثم حقاً للجاحظ ان يقول « ان الروم لم يكونوا اهلاً للاستفادة من ذلك العلم فتركوا كنوز اليونان الفكرية في خزائهم حتى جاء المسلمون وكشفوا عن هذه الذخائر ، لذلك نرى السريان يحتضنونها ، فينقلون ما يحتاجونه الى لغتهم لدعم قواعد دينهم المسيحي دون ان يهتموا للمستلزمات السيامية باعتبارهم هيئة كنسية صرفة لا تبغي تجاوز هذا الحد ابداً ، ثم اخذت تهاجر بلاد الروم وغيرها وتغير ملبسها ومسكنها وتنتقل الى بلاد العرب ، فتلقى فيها عصا الترحال ، فتحييا حياة سعيدة تحت لوائهم اذ تبنوها ودلوها واقاموا لها هيكلًا وعبدوها .

ومن هذا يدرك كل الادراك ، ما كان للسريان من فضل عميم على تطور الفكري البشري ، ورفع شأن الحضارة الانسانية ، مما ادى بأهل الشرق والغرب الى الاعتراف

بفضلهم ، وتمجيد اعمالهم كما يتضح من الاقوال التي افترضنا
بها بحثنا هذا .

الامانة في الترجمة وصحتها

من الثابت ان الترجمة فن شاق ، وامر ليس اتيانه
من الهنات الهيئات ، فهي اصعب من التأليف ، لان المؤلف
حر في تصوير افكاره وتنسيق الفاظه ، والمترجم والناقل
مقيد بمعاني النص المنقول والفاظه لذلك وجب على المترجم
ان يتقيد بما اشترطه الجاحظ ه ان يكون حسن الاطلاع
في اللغتين ، ملاماً بالموضوع الذي عاجه المؤلف الماماً لا يقل
جودة عن المام المؤلف ذاته .

وفي فترة الترجمة التي نحن بصددھا ، كان الناقل او
المترجم يجابه صعوبات جمة ويلاقي مشقات كثيرة بالاضافة
الى ما يلقاه المترجم عادة ، واكثرها مشقة وصعوبة ، ان
تلك الكتب ترجمت مراراً من لغة الى اخرى قبل ترجمتها
الى العربية ، وفي حالة كهذه طبعاً تزداد الصعوبات التي
تتعلق بصحة النص والتثبت من اصلته . وقد كان بعضهم
احياناً يلاقون صعوبة ويقفون ازاءها موقف اليأس الخائب

والارزاق من بيت المال حتى يقال كان المأمون ان يفلسه
حين كافأ التراجمة عن عملهم بمثل وزن الكتب التي ترجموها
ذهباً . ونظراً لموقف المأمون هذا اطلق عليه لقب
« اغسطس العرب » . ولم يحل عام ٨٥٠ حتى كان معظم
الكتب اليونانية القديمة قد ترجم الى اللغة العربية كمؤلفات
فيثاغورس في الحساب والموسيقى وغيرها من العلوم
الرياضية ، ومصنفات افلاطون في النفس والسياسة والمدنية .
وكتب ارسطو في المنطق والحكمة والعلم الطبيعي والحيوان
والنبات ، واسفار ابقراط وجالينوس في الطب .
وديوسقوريوس في الادوية ، واقليدس في الهندسة ، وبطليموس
وغير ذلك .

واما المترجمون ما بين القرن التاسع والعاشر فكثير
اشهرهم : حنين بن اسحق ، اسحق بن حنين ، قسطنطين بن
لوقا البعلبي ، يوحنا بن البطريق ، يحيى بن عدي ، ابوبشر
مقي بن يونس ، يوحنا بن ماسويه ، ابو اسحق ابراهيم ،
ابو علي عيسى ، اسحق بن زرعه ، عبدالمسيح بن عبدالله
ناعمة الحمصي . على ان اجودهم نقلاً وافحصهم عبارة وامتنهم
في بلوغ المعاني كان يحيى بن عدي الذي اصلح لكثيرين
من العربيين .

وبفضل هذه الحركة كان المسلمون في العصر العباسي
سيّما عصر المأمون يثلون طليعة الحضارة العالمية على سطح
الارض ، حتى تمكنوا ان يتخذوا مركز الامتياز في العالم
ذلك انهم قوارثوا حكمة الشرق والغرب ، وبذلك انقابوا
من جنود محاربين الى علماء متضلعين .

وانت ترى ان حركة الترجمة هذه ليست الا قصة
الحضارة الانسانية بلذات ، تلك الحضارة التي ولدت على
ضفاف الدجلة والفرات ، وذرّ قرنها في تربة وادي النيل ،
ثم نمت وانتشرت في بلاد الهند والصين ، وتلاقت اخيراً
في بلاد اليونان حيث اقامت هناك عهداً طويلاً وتجنست
بالجنسية اليونانية غير انها لم تمت بموت الحرية اليونانية
وسقوط العصر الهلنستي بل بالعكس افتتحت لنفسها اقطاراً
جديدة فشقت طريقها الى داخل آسيا الصغرى ، وفينيقية
وفلسطين ، واخترقت سوريا ، وتخطت نهري الدجلة والفرات
بل وصلت الى الهند ، وكانت اينما حلت تصب ماء حياة
الفكر اليوناني في الدم الثقافي الذي يجري في عروق ابناء
تلك البلاد ، غير ان بعض تلك الاقوام لم تحترمها ولم تحملها
المحل اللائق بها كالروم مثلاً يشهد على ذلك القفطي بقوله
« ان المأمون لما راسل ملك الروم وطلب منه كتب الحكمة ،

ابتدأت حركة الترجمة منذ العصر الاموي وبتشجيع
من الخلفاء الامويين . يقول ديورانت « كان بنو امية
حكما اذ تركوا المدارس الكبرى المسيحية او الصابئة او
الفارسية قائمة ولا سيما في حران ونصيبين وجنديسابور
وغيرها ولم يمسوها باذى ، فاحتفظت بامهات الكتب الفلسفية
والعلمية ومعظمها في ترجمته السريانية ، وما لبثت ان ظهرت
ترجماتها الى العربية على ايدي السريان المسيحيين » . ولقد
تمت اول ترجمة في عهد الخليفة مروان بن عبد الملك
٦٤ - ٦٥ هـ فنقل بامره من السريانية الى العربية ماسرجويه
الطبيب اول كتاب طبي وهو الموسوعة الطبية ويسمى
بالسريانية « كناش » تأليف اهرن ابن ايجية الاسكندراني .

وفي العهد العباسي ، وفي تضاعيف المئة التاسعة والمئة
العاشرة لمعت جهود النقلة السريانيين للعلوم اليونانية . قال
الاستاذ جمعة « كان العصر العباسي الاول عصر الغرس وبذر
البذور ، فجاء العصر الثاني للحصاد وجني الثمار ، ويجدر
بنا ان نرد الفضل الى ذويه ونعترف بسرور ومن طيب
خاطر بان الذين اشتغلوا بنقل العلم والفلسفة في العصر
العباسي الاول كان معظمهم من ادباء اهل الكتاب من
غير المسلمين » ففي عهد خلافة المنصور بالذات نقلت العلوم

والفلسفة اليونانية الى العرب ، وهو اول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة . وقد زادت عناية الرشيد واهتمامه بترجمة الكتب ، فامر بترجمة جميع ما وقع في حوزتهم من الكتب اليونانية ، كما وسع ديوان « التعريب » الذي كان قد انشأه المنصور لنقل العلوم وزاد عدد موظفيه . ولما تولى المأمون الخلافة اهتم هو الآخر بالترجمة والتأليف واخذ يضمن شروط الصلح مع ملوك الروم ارسال كتب الحكمة ، فكان احد شروط الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث ان يترك له (المأمون) على احدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية . كما ارسل جماعة من افاضل علماء ذلك العصر الى بلاد الروم للتفتيش عن المخطوطات . وقد اضاف الى بيت الحكمة في بغداد مرصداً فلكياً ، ومرصداً فلكياً آخر في جبل قاسيون بدمشق^(٨٩) وانشأ ايضاً في بغداد مجماً علمياً ، ومكتبة عامة ضمن بيت الحكمة ، انفق في سبيل ذلك مائتي الف دينار ، اقام فيه طائفة من المترجمين ، لقوا من التشجيع والرعاية والمساعدة من خلفاء بني العباس ما لا يوصف ، فقربوهم واكرمهم واجزلوا لهم المطايع

(٨٩) ابن العبري مختصر الدول ص ٢٣٧ .

الى العرب ، فنقل بعد ذلك الى اوربا في القرون الوسطى «
وليم رايت .

« ان تاريخ الفلسفة ليذكر هؤلاء المترجمين بالتجلة
والتبجيل ، لما كان منهم من دقة في الترجمة ، وامانة في
النقل ، وما استفادته اللغة العربية من هذه الكتب المترجمة .
فقد وثبت بفضل هذه الحركة الوثبة الثانية بعد النهضة
الاولى التي نهضتها بعد نزول القرآن « محمد عطية الابراشي
« كان لتلك الحركة (الترجمة) اثر عظيم في اعداد العرب
لان يمثلوا دوراً هاماً جداً في تاريخ العالم « محمد
عطية الابراشي .

هذا جانب مشرق آخر من جوانب الثقافة السريانية ،
انه الترجمة من اليونانية والسريانية الى العربية . تلك الحركة
الكبرى في تاريخ الفكر البشري التي تعتبر جسراً مرتت
عليه الحضارة الشرقية الى الغرب ، وارسلت اضواءها
الفلسفية والعلمية من مختلف مراكزها الى سائر الآفاق
الاوربية . لا بل شقت ترعاً من التفكير الفلسفي من
نبعه الاغريقي الاصيل ، فسارت جداولاً مترققة ، وانهاراً

متدفقة في ارجاء البلاد العربية ، قامت على ضفافها بلابل
الفكر ، وهزارات النبوغ . ثم تتبعت مجراها حتى غمرت
بلاد الغرب فحولتها من صحار قفار الى رياض واخضرار .
وقد اكبر ابن خلدون من شأن هذه النهضة ، وعزا اليها
اليقظة الاسلامية الكبرى . واعتبرها ديورات مثابة النهضة
الاوربية التي اعقت القرون الوسطى . وتناولها المستشرقون
درساً وتتبعاً ، فتركوا لنا فيها بحوثاً قيمة ازدانت بها
المكتبات العالمية . فليس بالكثير علينا اذن ان نوليها العناية
الكاملة المتكاملة ونحيطها بسياج من البحث والاستقصاء
الكافيين .

بعد ان مرَّ العرب ، بادوار كثيرة ، واستتب لهم
الامر ، وانتظمت شؤونهم ، وقامت لهم دولة مثالية ،
عظيمة الشأن ، عزيزة الجانب ، تحتمل مكان الصدارة في
العالم ، وجدوا انفسهم بحاجة ماسة الى العلم واخصاب
منتوجهم الثقافي المحدود ، فاعتمدوا في ذلك على الاقوام
التي امتزجوا فيها ، وبنوع خاص على السريان لكونهم سكان
البلاد القدماء ، والمواطنين العاملين المخلصين . ونظراً لما
ترابطهم بهم من وشائج القربى والجنس واللغة هذا فضلاً
عن التقائهم في عقيدة التوحيد .

يدين احدهما بالمسيحية والآخر بالاسلام .

قال الاستاذ مصطفى الشهابي « للسريان علاقات وثيقة مع العرب واواصر ، ارخى عراها كراياام وتقلب الحكام وتفشي الجهل ولكن دون ان تفصمها . فمن السريان الاقدمين علماء اعلام مستعربون اتقنوا العربية والتفوا فيها ، وترجموا تصانيف ذاع صيتها واستفاضت شهرتها ، كما ان من العرب عدداً دان بمذهب السريان قبل الاسلام خاصة واختلط بافراد هذه الملة حتى عدّ منهم . واللغة العربية في ايامنا هذه تحتاج الى من يتقن العربية والسريانية ويكشف لنا عمّا ابقته الايام من آثار السريان المجيدة وعمّا خدموا به اللغة العربية في مختلف العصور الاسلامية » (٨٨)

وقد كان لهذه الصلات الوثيقة ، والعلاقات الوطيدة ان حدث تفاعل وتأثير ، وتبادل ثقافي ما بين العربية والسريانية من حيث اللغة ، والفكر ، والاجتماع ، تملخص بما يلي :

(٨٨) مصطفى الشهابي - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ١٢ سنة

١٩٣٢ ص ٦٣ .

١ - الترجمة من اليونانية والسريانية الى العربية .

٢ - اثر السريانية في العربية .

٣ - اثر العربية في السريانية .

الترجمة الى العربية

او

اثر السريان في الحضارة العالمية

« وامسك المسيحيون السوريون بشعلة الحضارة اليونانية واسلموها للعرب ، واخترق بها هؤلاء افريقيا الى اسبانيا » . ديوزانت

« للسريان الفضل في يقظة العرب عامة ونهضتهم الفكرية في بغداد زمن العباسيين ما لم يكن مثله لامة واحدة سواهم ، تلك النهضة التي عدت ولا تزال مفخرة العصر الاسلامي القديم » فيليب حتي .

« حمل الكتاب السريان بايديهم مصباح الفكر الاغريقي

النجاة) (٨٥) . والكلمة سريانية *Fortougo* وهي اسم فاعل من فعل *Fraq* الذي يعني ، فصل ، خلص ، وبهذا المعنى جاء الفاروق في عرفنا . اما فعل فرق العربي فلا يتناول معنى خلص ونجا . والمصدر من *Fourgono Frap* ومعناها خلاص ونجاة . وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم في سورة الانفال « ان تقوا الله يجعل لكم فرقاناً » فشرحه ابن سعيد بقوله الفرقان : النصر على الاعداء . وكذلك شرح ابن دريد قول القرآن « يوم الفرقان » يوم النصر أخذاً عن السريانية (٨٦) .

اما المناسبة التي دعت السريان ان يطلقوا على عمر هذه الصفة : ذلك ان السريان في بلاد سورية والعراق وغيرها من البلدان كانوا قد ذاقوا الأمرين من الروم البيزنطيين لمخالفتهم ايام بالاعتقاد الديني المسيحي . فنفسوا اساقفتهم ، وطرحوا مطارنتهم في السجون ، واضطهدوا بطاركتهم ،

(٨٥) البيروني ص ٣١١ .

(٨٦) اغناطيوس افرام برصوم : الالفاظ السريانية ص ١٣٠ - ١٣١

وراح من الشعب آلاف الضحايا . فلما جاء العرب المسلمون بقيادة عمر وقضوا على الروم والفرس ، تهلك السريان واستبشروا خيراً . فقد كان عهد العرب عليهم عهد خير وبركة وسلام ، فشرعوا ينظمون امورهم الادارية والروحية والاجتماعية ، ورفعوا راية النهضة العلمية والفكرية ، وانصرفوا الى العمل باطمئنان ذلك ان الاسلام شملهم بالامان وصان حقوقهم بالعهد والمواثيق^(٨٧) .

ثم اخذت تلك الصلات تشدد وتقوى حتى بلغت اوجها في عهد الخلفاء العباسيين كما هو معلوم لدى كل مطلع .

قامت تلك العلاقات على امس روحية متينة وعلى قاعدة جنسية صلبة ، فالسريان المسيحيون ، والعرب المسلمون يلتقون روحياً في عقيدة توحيد ذات الله سبحانه ، والايان باليوم الآخر ، وكلاهما شعبان ساميان من اصل واحد ومنبت واحد واللغتان السريانية والعربية لغتان شقيقتان تفرعنا عن الدوحة السامية الكبرى . واخيراً يلتقي الطرفان بعد الفتح العربي اللغوي تحت راية العروبة ويصبحان شعباً عربياً واحداً

(٨٧) السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٩٤ - ٩٥ .

ابحاث في الجغرافيا . اما في علم الطب فقد كان طبيباً بارعاً
مثل ابيه . نقل الى السريانية كتاب ديوسقوريدس في الادوية
المفردة واربعة كراريس من قانون ابن سينا الكبير ، والف
كتاباً مطولاً حوى جميع الآراء الطبية . وصنّف بالعربية
المختار من كتاب الغافقي الكبير ، وشرح فصول ابقراط
وكتاب منفعة اعضاء الجسد ، وشرح مسائل حنين بن
اسحق حتى باب الترياق .

وهناك عدد كبير آخر من العلماء السريان الثفوا كتباً
طبية امثال يحيى بن عدي وغيره سنأتي على ذكرهم .



العرب والسريان

قامت العلاقات بين العرب والسريان منذ انبلاج الفتح العربي المبين . واخذت تتسع في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الملقب بـ « فاروق » .

فاروق لفظة سريانية تعني منقذ او محرر ، اطلقها السريان على الخليفة عمر بن الخطاب (٨٤) .

ان كلمة فاروق في العرف المسيحي ومفهوم الانجيل هو السيد المسيح المخلص والفادي . جاء في مصحف الناموس للروم في فصل « حقوق الله » هكذا يقول سيدنا المسيح ووسيطنا وفاروقنا ، وقال البيروني (وكالفاروقة وتفسيرها

(٨٤) الطبري مج ٤ - دار المعارف القاهرة ١٩٦٣ ص ١٩٥ والالفاظ السريانية في المعاجم العربية للبطريك برصوم ص ١٣٠ - ١٣١

٣ - يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + : له كتابه الفخيم الايام الستة ، بحث فيه عن المادة وخواصها ، والعناصر الاربعة ، وتناول المعادن والنترات والاملاح بدراسة علمية دقيقة ، ومرجه الجغرافي في هذا الكتاب بطولميس .

٤ - داود بن فولوس في القرن التاسع : له مقالة في الجغرافيا عنوانها « حدود الاقاليم وتقلبات الايام والليالي » .

٥ - موسى بن كيفا ٩٠٣ : له كتاب الايام الستة طرح فيه بعض العلوم الطبيعية .

٦ - الرهاوي المجهول في القرن العاشر : بحث في المادة ، والعناصر الاربعة ، والمعادن ونوع تركيبها ، والمواد التي تتألف منها . ضمن هذه المواضيع وغيرها في كتابه « علة كل العلل » .

٧ - سويريوس يعقوب البرطلي ١٢٤١ + : حوى كتابه الموسوم بالكنوز فصولاً في الهيئة والجغرافيا . وحوى كتابه الديالوغ فصولاً موجزة في علم الفلك والحساب ، والمساحة ، أخذاً عن الفيلسوف نيقوماخس وفيثاغوري آخر مجهول ، وعلوم العرب .

٨ - ابن العبري ١٢٨٦ + : درس العلوم الطبيعية
دراسة دقيقة . فبحث الاجسام والذرات وتجزأها ، وقوتها ،
والحركة الطبيعية ، والعناصر والغازات ، والتركيب ،
والتحليل الماديين ، وعمل الحرارة والبرودة ، والمادة
والمعادن واصنافها وتركيبها .

وترك في علم الهيئة ثلاثة مؤلفات هامة ١ - فسر
كتاب المجسطي لبطليموس وهو بحث في علوم النجوم
وحركات الافلاك وهذا الكتاب مفقود ٢ - الزيج الكبير
اي معرفة حركات الكواكب لاستخلاص التقويم السنوي ،
وتعيين الاعياد والاصوام المتنقلة ، وقد بقي من هذا
الكتاب نسخة قديمة هي الآن محفوظة في المكتبة الفاتيكانية
٣ - الصمود العقلي ، جعل كل مصطلحاته العلمية باليونانية ،
يبحث عن هيئة الارض والسماء ، والشمس والقمر والكواكب
والسيارات . وهيئة الارض والاجرام السماوية . وتقسيم
الارض الى سبعة اقاليم . ويتكلم عن الجزر والبحار والانهار ،
وقد رفع مؤلفه من قيمته العلمية اذ ضمنه رسوماً واشكالاً
هندسية كثيرة تظهر مواقع الشمس والقمر والارض .

وفي كتابيه ، منارة الاقداس ، والاشعة ، وردت

(١)

- ٦ -

العلوم : الطبيعة ، والطبيعة ، والفلك ،

والهبيّة ، والجغرافيا

لم يهمل علماء السريان دراسة هذه العلوم ، فقد تركوا لنا فيها بحوثاً قيّمة اشاد بها المستشرقون وذوو الاختصاص سيما علم الطب الذي زاوله السريان اكثر من الف سنة ونبغ بينهم اطباء نظاميون امثال مرجيس الراسعيني ، واطنوس الامدي ، وثاودوسيوس بطريك انطاكية . وابن العبري وغيرهم .

ومن مشاهير الذين صنفوا في هذه العلوم :

١ - مرجيس الراسعيني ٥٣٦ : ترجم العلوم الطبيعة

- ٤٠٤ -

بجميع فروعها بما فيها الرياضيات ، ومؤلفات اقليدس ،
وبطليموس ، وبقراط ، وجالينوس ، وبعض كتب ارسطو .
وصنف كتاباً في تأثير القمر وعلق عليه مقالة في حركة
الشمس نشره ساخو .

٢ - ساويرا سابوخت ٦٦٧ : اول علماء الكنيسة
السرانية الذين استجلوا غوامض العلوم الفلكية والطبيعية
والرياضية فلقّب بساويرا الرياضي . وقد شهد المستشرق
الالمانى انطون بومشترك على تفوقه على علم الفلك على اليونانيين
انفسهم . وعلى يده وصلت الارقام الهندية الى العرب (٨٣) .
وله مقالة في الاسطرلاب . وصنف كتاباً موشوفاً بصور
منازل البروج ، وفي الارض العامرة والغامرة . ومساحة
الارض والسماء وما بينهما من المساحة ، وهل تجوز الشمس
تحت الارض وفوقها في جسم الفلك . كما عمل نقلاً كاملاً
لكتاب نترابلون اي الكتب الثلاثة لبطليموس في تركيب
الكلام الرياضي .

(٨٣) عصر الريان الذهبي ص ١٣ نقلاً عن المشرق البيروتية مجلد ١٤
سنة ١٩١١ ص ٢٣٩ .

١٠ الرهاوي المجهول : في القرن العاشر ، الاسقف ، صاحب كتاب علة كل العلل ، فيه يعلم كيف تدرك معرفة الحق . اعتمد فيه المؤلف على البراهين العقلية متحاشياً النقلية ما عدا التوراة . وقد نشر هذا الكتاب كايتر سنة ١٨٨٩ في ليبسيك وحكى مؤلف هذا الكتاب عن نفسه : انه كان اسقفاً على الرها ، وانه بعد ان جلس على كرسي الاسقفية ثلاثين سنة زهد في الدنيا بسبب ما قاماه من تعنت رعيته وطلب العزلة لدى اثنين او ثلاثة من النساك ولف كتابه لخير الانسانية . وقد اتخذ سفر التكوين كما اتخذ المؤلفون في سمة ايام الخليفة اسامياً لاجاثه عن الكون ، وهذه الاجاث تشمل العالم السماوي والعالم الارضي والبشر والحيوانات والنباتات والمعادن .

١١ - سويريوس يعقوب البرطلي ١٢٤١ + : افرد للبحث الفلسفي في كتابه الموسوم بـ « الديالوغ » اي المحاورات تناول فيه المنطق والفلسفة على طريقة السؤال والجواب وغيرها من العلوم . واستعرض آراء الفلاسفة الاقدمين وقال « اقتصر في كتابي هذا على آراء الفلاسفة ومذاهبهم ، فاذا اصيب من الحياة قسمة نقضت باذن الله سبحانه ما يجب نقضه من آرائهم في كتاب خاص » وتناول

في كتابه المدعو بالكنوز مواضيع فلسفية عديدة في الصناية
الالهية والحرية والقضاء والقدر والخير والشر .

١٢ - ابن العبري + ١٢٨٦ : وهو يمثل ذروة الفلسفة
السريانية كما سبق خبره .

هذا وقد ضربنا صفحاً عن ذكر فلاسفة آخرين امثال
انطون التكريتي واوانيس اللاري في القرن التاسع ، ويوحنا
الاثاري العمودي في القرن الثامن وغيرهم .

اما الفلاسفة السريان الذين كتبوا بالعربية فسيأتي خبرهم .



نقل ايساغوجي برفوريوس ، وايساغوجي آخر مغمور
الاسم وكتب ارسطو المنطقية . ونقل مؤلفات يونانية كثيرة
لعلماء المسيحية الاولين .

٥ - يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + : نقل منطق ارسطو
وعلق عليه بعض الشروح . وترجم تفاسير فرفوروريوس مع
بعض الشروح . وكتب مقالاً طيباً في المصطلحات المستعملة
في الفلسفة ولا يزال محفوظاً في المتحف البريطاني . وصنف
كتاباً نفيساً في العبارات الفلسفية اسماء الشيريدون اي
المختصر . وقد مرّ خبره .

٦ - جرجس اسقف العرب ٧٢٥ + : مرّ خبره
ترجم كتاب الاورغانون لارسطو وقدم له والحقه بشرح .
نشر هوفان طرفاً منه . قال ارنست رنان الفرنسي « لم اجد
بين تفاسير علماء السريان الفلسفية كتاباً يضاهيه اهمية ودقة
وحقه ان يقدم في النشر على سائر المصنفات الفلسفية
السريانية » .

٧ - البطريك ثاودوسيوس ٨٩٦ + : هو رومانس
التكريتي المولد ، تهب وقرأ العلم في دير قرمتين . رسم

بطريكاً عام ٨٨٧ ورحل الى جوار ربه عام ٨٩٦
ومن تأليفه :

تفسير مسهب للكتاب المنحول ايرثاوس ، ورسالة فسّر
فيها حكم الفلاسفة الرمزية بعد ان نقل اكثرها من اليونانية
الى السريانية ، وضمنها ما اشتملت عليه رسالة فيثاغورس
وعددتها مئة واثننا عشرة حكمة ، وقد نشرها بالسريانية
والعربية زوتنبرغ سنة ١٨٧٦ .

٨ - موسى بن كيفا ٩٠٣ + : له كتاب في النفس
نقله برون الى الالمانية سنة ١٨٩١ ، وعربه في دراسة
جيدة المطران بولس بهنام عام ١٩٥١ وقدم دراسته له
اطروحة للبطريك افرام برصوم فحاز على درجة « ملفان »
في الكنيسة . وله كتاب في السلطة الذاتية والحرية .

٩ - ابن الصليبي ١١٧١ + : شرح المنطق شرحاً
وافياً مجملاً شروح جميع المفسرين السابقين في كتاب يقع
في ٧٧٠ صفحة من القطع الكبير . وفسّر ايساغوجي
برفيريوس ، والمقولات ، وعلم تأويل الكتب المقدسة ،
والتحليل القياسي لارسطو .

ورأس الأطباء في مدينة رأس العين . قرأ العلوم في مدينة
الاسكندرية فاحرز نصيباً كبيراً من العلوم اليونانية الى جانب
لغته السريانية ، وتبسط في العلوم الفلسفية والطبية . توفي
عام ٥٣٦ .

اعاد نقل ايساغوجي برفيريوس ، ومقالات ارسطو ،
وكون العالم . وعلم النفس لارسطو برمته . وترجم الفلسفة
الافلاطونية الجديدة والحقت بها حكم فيثاغورس في الفضيلة ،
وحدود افلاطون وحكمه التي كتبها لتلميذه . وجزء من
تأليف جالينس . واجاد سرجيس وافاد في تأدية المعنى
الاصلي بعبارة واضحة ، مراعيًا الامانة في نقله الذي يفضل
على الترجمة اللاتينية .

ومن تصانيفه كتاب في المنطق ، وفي اسباب الكون
بحسب مبادئ ارسطو وفي الجنس والنوع والفرد . وكتاب
في المقولات .

٣ - ساويرا سابوخت ٦٦٧ : من مواليد نصيبين ،
واول علماء البيعة في العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية .
ومن الفلاسفة تعمق في آداب اليونانية والسريانية . واجاد
اللغة الفارسية . تعين استاذاً في دير قنسرين . وكان امثل

علماء السريان في علم الفلك . وبرهن على تفوقه فيه على
اليونانيين أنفسهم^(٨٢) . وبكفيه فخراً انه استاذ مار يعقوب
الرهاوي . ورسم اسقفاً لقنسرين وقيل لديره عام ٦٣٨ .
وسار الى جوار ربه سنة ٦٦٧ . وسمي بساويرا الرياضي .

له مقالة مختصرة في تحليل القياس الثاني لارسطو ،
ورسالة شرح اعلم تأويل الكتب المقدسة (هرمنوطيقا)
وتفسير بعض نقاط من كتاب الفصاحة لارسطو ، وتفسير
بعض القضايا المنطقية ، وشرح مقالة بريرميناس اي العبارة ،
والحساب والمساحة والفلك والموسيقى .

٤ - اثناسيوس البلدي ٦٨٦ + : ولد في مدينة بلد
الواقعة على الضفة اليمنى من دجلة وقد دثرت . درس
العلوم وحذق السريانية واليونانية في دير قنسرين قراءة على
ساويرا سابوخت . وترهب في احد الاديرة وواظب على
الاشتغال بالعلوم الفلسفية ، وارتقى الى درجة الكهنوت
واقام في نصيبين . وفي اواخر سنة ٦٨٣ ميم بطريكاً .
وتوفي عام ٦٨٦ + .

(٨٢) اللؤلؤ المشور ص ٣٥٣ قلاً عن بومشترك ص ٢٤٦ .

دولباني (المطران يوحنا دولباني بعدئذ) عام ١٩١٦ . نقل الى العربية سنة ١٢٩٩ وسمي كتاب الورقاء في علم الارتقاء . ونقله الى العربية الفصيحة نقلاً جيداً ، المطران سويريوس زكا عيواص (قداسة البطريرك الجالس سعيداً) معتمداً على مخطوطة قديمة في المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو انجزت سنة ١٢٩٠ . ونشر النص والترجمة سنة ١٩٧٤ ضمن مطبوعات مجمع اللغة السريانية في بغداد مع مقدمة مستفيضة في النسك السرياني المسيحي ، وعلاقته بالتصوف العربي الاسلامي ملخصاً ذلك عن مقدمة المستشرق الهولندي ونسك الذي نقل الكتاب الى الانكليزية ونشره سنة ١٩٠٩ .

وقد وضع ابن العبري كتاب الامثال والحكم لاجل هذا الغرض ايضاً جمع فيه ما بين الدين ، والفلسفة ، معتمداً على تعاليم ارسطو والافلاطونية الجديدة ، والفيثاغورية الجديدة . وله ايضاً قصيدة « الكمال » في نفس الموضوع .

ومن علماء السريان الذين بحثوا في علم الاخلاق ، الفيلسوف محدي بن عدي في كتابه تهذيب الاخلاق كما سيأتي بيانه . هذا اذا ضربنا صفحاً عن كثير من الكتب التي تنطرق الى هذا العلم على شكل مواعظ ، ورسائل ،

صدرت من اقلام كبار العلماء السريانيين كالمنجي مثلاً ،
وبعض القوانين التي سنّها ابن الصليبي ١١٧١ + واذا رجعتنا
الى الوراء ، نرى في اشعار مار افرام السرياني ، وامسحق
الأمدي ، ويعقوب السروجي ، ومؤلفات افرهاط الفارسي ،
من جذور لفلسفة النسك ، ورسم سلوك الخلق والفضائل
ما لا نراه في غيرها .

تراجم النقلا والمؤلفين

١ - مار احودامة مطران المشرق ٥٧٥ + (٨١) :
له كتاب الحدود في المنطق ، ومقالة في القضاء والقدر ،
وفي النفس ، والانسان باعتباره العالم الاصغر . ومقالة في
تركيب الانسان من جسد ونفس . ويعد احودامة الفيلسوف
مبتكراً لنظرية « الانسان العالم الاصغر » التي ابرزها في
القرن التاسع عشر الفيلسوف الالماني هردير .

٢ - مرجيس الرأسعيني ٥٣٦ + : كان قساً ،

(٨١) السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٩٧ .

اليها مبادئ فيثاغورس ، فنشأ من ذلك الفلسفة النسكية
في المسيحية ، وتبناها فلاسفة السريانية وعلمائها .

ان اقدم اثر صوفي سرياني يتناول فكرة الصوفية ،
او الحياة النسكية او ما تسمى بفلسفة « الامتسراق »
هو الكتاب المنحول اريثاوس في القرن السادس الميلادي ،
وقد نسبه بعضهم الى اسطيفان بن صوديبي ٥١٠ . وترجم
الى العربية في القرن التاسع . وقد تأثر به فلاسفة السريان
الذين سذكروهم ، وفلاسفة العرب كابن سينا ٩٨٠ - ١٠٤٧
والغزالي ١٠٥٩ - ١١١١ واصبح هذا الكتاب المرجع
الاكبر لفلاسفة الشرق ، اذ نال اعجاب الجميع .

ان قوام هذه الفلسفة المتضمنة في هذا الكتاب تتلخص
باثارة الحب الالهي في نفس الانسان ، وبالجهاد الروحي
الذي يسميه « معمودية الآلام » ضد قوى الشر ، واهواء
الجسد ، والترفع عن المادة ، وممارسة الرياضة الروحية ،
ثم تصاعد العقل في درجات سلم الكمال .

ومن علماء السريان الذين قدموا بمحوثاً في هذا النوع
من الفلسفة ، البطريرك ثيودوسيوس التكريتي في القرن
التاسع ، والبطريرك يوحنا ابن المعدني ١٢٦٣ + حيث

نظم في ذلك ثلاث قصائد من الشعر السرياني ، قصيدة الطير الذي يرمز اليها الى النفس البشرية ، وقصيدة ثانية تدور حول النفس ايضاً عارض فيها قصيدة ابن سينا المشهورة : التي مطلعها : هبطت اليك من المحل الارفع . والقصيدة الثالثة هي الموسومة : « طريق الكاملين » وهي قصيدة صوفية محضة قلباً وقالباً ابداع فيها واجاد .

اما العلامة ابن العبري ، فقد بلغ الذروة ، ووصل الى القمة ، فقد تناول كتاب ايرثاوس ونقّحه ، ونقاه من الشوائب ، وجعله منطلقاً لفلسفته النسكية ، فوضع في هذا العلم كتابين هما الايثيقون في فلسفة الآداب الخلقية ، واشتمل من التعاليم ما ينظم حياة المسيحي من جميع نواحيها الدينية والاجتماعية . ورسم اساس السلوك والآداب الخلقية في المجتمع الكنسي . وقد نشر هذا الكتاب الأب بيجان سنة ١٨٩٨ ونقله بعضهم الى العربية . وكانت اجود ترجمة خرجت هي التي انجزها المطران بولس بهنام عام ١٩٦٦ . اما كتابه الثاني فهو الموسوم بالحمامة ، وهو مختصر في ترويض النساك ، اشتمل على فلسفة التصوف بشكل بديع ورائع جداً . نشره بالطبع كل من الاب بيجان في باريس ، والاب جبرائيل قرداحي في روما عام ١٨٩٨ ، والاب يوحنا

للتخيل كاجتماع الاضداد والمجانسة والاستعارة والمضادة
والتتابع والمقايسة والمساواة والدلالة والتحقيق وغير ذلك ،
والمجلد الثاني في العلم الثاني من الطبيعيات وسوف يأتي
الكلام عنه فيما يخص علم الطبيعيات ، اما ما يخص علم
الفلسفة ، فقد خص الكاتب الكتاب الثامن في الجزء
الاول من المجلد الثاني ، كتاب النفس . وخص الجزء الثاني
من المجلد الثاني خمسة كتب الاول في الفلسفة وابوابه ثمانية .
والثاني في العلم الالهي ويسمي ايضاً ما بعد الطبيعة ستة
ابواب وهو القسم النظري ، وله ايضاً كتاب تجارة الفوائد
في المنطق والفلسفة يشتمل على خلاصة كتاب زبدة الحكمة ،
وكتاب آخر اسمه حديث الحكمة وهو كتاب صغير في المنطق
والفلسفة نشره هرمن جانس ونقله الى الافرنسية سنة
١٩٣٧ ونشر البطريك افرام برصوم ترجمته العربية الفصيحة
عام ١٩٤٠ ، وله رسالة في النفس البشرية وجيزة ومطولة
دبجها بالعربية ونقد كتاب الاشارات والتنبيهات في المنطق
والفلسفة وما وراء الطبيعة لابن سينا من العربية الى السريانية
كما نقل الى العربية الى السريانية كتاب زبدة الاسرار في
الفلسفة لاثير الدين الابهري ١٢٦٤ .

فمن يطالع مؤلفات ابن العبري هذه يجد : كما ان

ارسطو يمثل ذروة الفلسفة اليونانية ، وابن رشد يمثل ذروة الفلسفة العربية ، وابن العربي يمثل ذروة الفلسفة السريانية .

فلسفة التصوف : التصوف في المسيحية هو ممارسة

حياة الزهد والنسك . وهو ارواء ظمأ النفس البشرية الروحي عن طريق التجربة الروحية بدلاً من البحث العقلي ، او العودة الى الله والتقرب اليه تعالى والاتحاد الشخصي بالحق ، والذوبان في الواحد ، والفناء في اللامتناهي . ويجعل فلاسفة التصوف الحياة النسكية « الحب » اسماً لذلك ، ويجعلون المفرد في هذا الحب مجاهداً والحياة جهاداً قاسياً اذ يمارس رياضة روحية شاقة من تبتل ، واعتزال ، وخلوة ، وسهر ، وصيام ، وصوم ، وتأمل ، وغير ذلك من انواع السلوك النسكي .

هذه هي خلاصة فلسفة النسك ، نشأت في العقل الاغريقي قبل الميلاد ، ولما جاءت المسيحية بتعاليمها السامية . وجهت نظر الانسان الى السماء ، وحصرت كل آماله الروحية ، واحلامه في محبة المسيح . واستأنس اساطير المسيحية بالاخذ بالفكرة اليونانية التي قررها فلاسفتهم وفي مقدمتهم فيثاغورس . فاستمدوا الافلاطونية الجديدة وازادوا

لعلة ازلية واجبة الوجود من ذاتها وهي الله ، ومن اقوال
الاولين ايضاً « ان النفس الانسانية مادة لطيفة متشكلة
بشكل الجسم » ولكنهم لم يبلغوا فكرة الروح المحض ،
والقديس يوسطينوس من اصحاب هذا الرأي ، وكذلك
القديس اقليميس الامكندري قد ظن ان النفس مادية
ولكن يجعلها لطيفة الى حد بعيد حتى يقال انها « لا
جسيمة » ويضعها فوق الماديات جميعاً ، بينما نرى موسى بن
كيفما يعرف النفس ويحددها تحديداً منقطع النظير . ونقرأ
في كتاب منارة الاقداس لابن العبري انه في بحثه عن
تجديد للنفس بفضل ما حدده القديس غريغوريوس اللاهوتي ،
وبعد ان يورده يعود فيعلق عليه تعليقاً تظهر عليه مسحة
الانتقاد ، وان اوريجانس الذي قرر وضع حدود فاصلة
بين الفلسفة والدين لم يوفق الى ذلك فاختلط عليه الامران ،
اما فلاسفة السريان فتوصلوا الى ذلك بدقة ما بعدها دقة .
وهذه كلها ادلة قاطعة على ان المسيحيين القدامى لم يبلغوا
الذروة التي بلغها فلاسفة السريان في تقرير النتائج .

مكانة ابن العري في الفلسفة السريانية

ان العلامة ابن العبري المتوفى عام ١٢٨٦ + مفران المشرق ، وضع كتاباً نفيساً في الفلسفة سماه « زبدة الحكم » من اجل ما خرج من قلبه وهو مجلدان ضخمان يميئان في ٩٥١ صفحة . المجلد الاول في العلم المنطقي الفلسفي تسعة كتب ١ - ايساغوجي ٢ - كتاب المقولات العشرة ٣ - كتاب برير منياس اي العبارة ٤ - الأناطوطيقي الاول وهو تحليل القياس ٥ - الانالوطيقي الآخر اي البرهان ٦ - كتاب طوبيقي او دياقطيقي وهو الجدل ٧ - انسوفسطيقي اي المغالطة او الحكمة الموهبة ٨ - ريطوريقي اي الخطابة ٩ - فوايطيقي اي الشعر . قال في خاتمه « هذا كل ما وقفنا عليه من تعليم استاذنا الفيلسوف الكبير ارسطوطاليس في كتاب الشعر . ويخال لي ان جزءاً غير يسير فضل منه ، اما انه لم ينقل من اليونانية او السريانية او العربية او نقل ولم يصل اليها . واذا شاء الله وكان في الاجل فسحة فانا ننوي وضع كتاب كاف في هذا الفن ، نستقي فيه من الاقيسة ما وافق هذه اللغة وحسن فيه وقعه وتتفق الفاظه وتجمل معانيه التي تصادف قابلية طبيعية

انهم باخذهم هذا تطور لديهم البحث اللاهوتي ، فراحوا يسكبون آراءهم العقائدية في اطارات منطقية وقوالب فلسفية الامر الذي ترك أثراً بعيد الغور في طبيعة النتاج الديني فالسريان والحالة هذه يعتبرون « اصدقاء اليونان وتلامذتهم » .

ذلك كان موقف الاخذ وعلاقة التلميذ ب معلمه ، غير ان هذه العلاقة لا تلبث ان تنقلب الى علاقة الخصم الادبي الصارم لخصم آخر ، وذلك لاحتوائها على آراء مشوشة تناقض الحقيقة المسيحية ، تلك الحقيقة التي بنوا صرحها على الدماء فترام يستعرضون آراءهم ويناقضونها ، ويقاومونها اشد مقاومة ، وتعزيزاً لموقفهم هذا ودعماً له استغلوا الاختلافات والمتناقضات في آراء فلاسفة اليونان انفسهم ، واخص المواضيع التي حامت حولها عقولهم هي ما له مساس بالعقائد الدينية واللاهوتية ، كالشرك و قدم المادة ، والتناسخ ، واصل النفس ، ووحدة الوجود ، وفي طليعة هؤلاء الفلاسفة المدافعين عن الحقيقة ، القديس احو دامه ٥٧٥ + الذي الف كتاباً اسمه « نقض آراء الفلاسفة » ، وموسى بن كيفا ٩٠٣ + مطران الموصل الذي يناهض ارسطو وافلاطون وغيرها من فلاسفة اليونان كما يتضح من الكتاب

الذي الفه في « النفس البشرية » ، ويعقوب البرطلي مطران دير مار متى ١٢٤١ + الذي يقول في مقدمة المجلد الاول من كتاب الديالوغ « اقتصر في كتابي هذا على آراء الفلاسفة ومذاهبهم ، فاذا اصبحت من الحياة قسمة ، نقضت باذن الله سبحانه ما يجب نقضه من آرائهم في كتاب خاص » . واخيراً الفيلسوف الاكبر ابن العبري ١٢٨٦ + الذي نال قصب السبق على الجميع كما هو باد في اكثر مصنفاته الفريدة .

ومما هو جدير بالذكر ان موقفهم هذا جاء حلقة مكملة في سلسلة الفكر المسيحي منذ بزوغه ، فالسبحية اصطدمت بالفلسفة اليونانية منذ اول امرها وما جرى للقديس بولس الرسول في محفل اريوس فاغوس خير دليل على ذلك ، ثم دار بينها وبين المفكرين المسيحيين القدامى نقاش وجدال حفظ بعضه الى اليوم ، غير ان موقف السريان المسيحيين جاء قوياً وواضحاً اكثر منهم ، فمثلاً ان يوسطينوس اخفق في المقارنة بين سفر التكوين وتياوس بقوله « ان الله اخرج الكون من المادة الخاوية » دون ان يذكر صراحة الخلق من العدم ، بينما ابن العبري يستعرض آراء ارسطو وافلاطون ويفندهما ويثبت بأقوى برهان بان هذا العالم معلول

المقدس التي نطق بها الروح القدس ، ونجده في بعض بحوثه
عن بعض الحقائق يؤيدها مؤمناً دون اللجوء الى الاستدلال
او المنطق كوجود النفس . كما نرى فلاسفة شرقيين كثيرين
يتجهون نحو هذه الناحية في عرض مثل هذه الحقائق
فالغزالي مثلاً يحاول في كتاب تهافت الفلاسفة ان يبين عجزهم
عن اثبات روحانية النفس بالادلة العقلية ، لا لانه ينكر
روحانية النفس بل يريد ان يتمثل هذه الحقائق الكبرى
من اللجاج الفلسفية . هذا ومن ناحية اخرى نرى العقل
يلعب دوره الهام داعماً العقائد بالادلة المنطقية مبرهنناً على
صحتها ، مشيراً الى مواطن الابهام فيها ، مطهراً اياها من
الخرافات التقليدية ، سائراً مع الوحي جنباً الى جنب ، قال
ابن العبري بهذا الصدد « لنا في اثبات الحقائق دليلاً
الكتاب المقدس والعقل الناطق ، وحيث ان الكتاب مصدره
الوحي الالهي ، ويعتمد على العقل ، والعقل عقيم يبعث
الوحي فيه حياة ، لذا يجب الاعتماد على العقل اذا طابق
الوحي والا يرفض ، هذا اذا ضربنا صفحاً عما قاله في
الرفع من شأن العقل فلاسفة السريان الآخرون كما موسى
بن كيفا ٩٠٣ والرهاوي المجهول في القرن العاشر ، وغيرها .
وعلى ضوء تحديد غايتي الفلسفة وهدفها وبيان دور

العقل في كل منهما نستطيع ان نراها في صورتين متغايرتين مختلفتين ، في الاولى يتصافحان وفي الثانية يتخاصمان ، أما المصافحة فتبدو في الاخذ والاقتياس والترجمة ، واما الخصام فيظهر في المناهضة ، وقد جاء قول صاحب كتاب فجر الاسلام ادق تعبير ، واوضح صورة لذلك حيث يقول « نلخصوا (السريان) وهذبوا وزادوا وبوبوا واصلحوا والفوا » فالسريان اذن وقفوا من فلاسفة اليونان موقفين رئيسيين هو الاخذ والمناهضة ، اما الاخذ فينحصر في قبولهم بعض نظرياتهم واخذهم العلوم العملية التي هي قدر مشترك بين أمم الارض جميعاً ، واقتباسهم المعارف الضرورية التي تناسبهم وعقيدتهم فقط ، وترجمتها الى لغتهم ، وذكر رينان واشتيتينيدر « ان التراجم السريانية للاورغانون كانت تقف دائماً عند الفصل السابع من التحليلات الاولى » ثم نهجهم في تأليفهم نهج ارسطو ونسجهم على منواله واعجابهم به اعجاباً شديداً . فان ابن العبري الذي وضع كتابه المدعو « زبدة الحكم » ، ان هو الا خلاصة البحوث اليونانية فقد اخذ عن ارسطو وسار على غراره ، كما نرى موسى بن كيفا ينجح احياناً الى افلاطون ويمجده ويسميه « الآلهي » ويؤيد له بعض الآراء في النفس ، والحق يقال

اما دور العقل في الفلسفة السريانية فليس كدوره في
الفلسفة اليونانية حيث كان هو الكل في الكل ، او كما
يلعب دوره الآن في الابحاث العلمية ، وقد برهنت التجارب
واثبتت النتائج ان دراسة الحقائق الدينية تحت الاضواء
الفلسفية فحسب تلقي الباحثين في قبضة الشك ، وتحت
سيطرة الكفر والالحاد ، واذا ادركوا شيئاً منها فتكون
لديهم هزيمة وهذا ما اصاب الفيلسوف ابن العبري فيما رواه
عن نفسه اذ حاول التوصل الى الحقائق عن طريق العقل
وحده فتاه في قفار البحث غير انه سرعان ما استعاد صوابه
واستطاع ان يتغلب على الازمة التي احدثتها الاضطرابات
الفكرية في داخله في برهة عذبة من حياته التعمت فيها
اضواء الايمان ، فعاد خاطر القوى واهن العزم ، ظمآنًا ،
يرتاد جداول الوحي « المياه الحية » مستلقياً تحت ظلال
« الكرمة الحقيقية » فنسمعه من ثم يقول « ما دمت
تطلب ان تعرف الله بواسطة الادلة والبراهين والشواهد
فانك تضرب على حديد بارد وليس فيك بعد من الايمان
بقدر حبة خردل » ومن هذا القول ومن غيره يظهر ان
الفلسفة « العقل » لا تصلح ان تكون اداة نافعة للحقيقة
لذلك يجب الالتجاء الى الايمان واتخاذ اداة نافعة ودليلاً

يقود الى ضفاف الحقيقة وقال مار فيلكسينوس المنبجي
« ان الحق لا يطن ذاته الا للايمان » وهذا لا يدل على
التقليل من قيمة العقل او الخط من شأنه او الاعتقاد
بان الحقائق المسيحية تتنافى والعقل ، سيما والمسيحية تحترم
العقل ولا تطلب ايماناً مبنياً على الاعتباط والجمود العقلي
والتقليد بل على « المعرفة » التي يفرضها الرسول بولس
فرضاً على المسيحية في مطلع كل رسالة من رسائله الاربع
عشرة ، والمعرفة هي « كمال العقل » كما يعرفها ابن العبري
الفيلسوف ولكن قيل ذلك لوضع حدود بين الايمان
والعقل ، والمتبع بمحوث المفكرين المسيحيين القدامى بدقة
تكون لديه فكرة كافية عن دور العقل في عقائدهم ،
ففي مقدمة كتاب المبادئ بين اوريجانوس ٢٥٤ + الحد
الفاصل بين الدين والعقل بقوله « حيث العقيدة واضحة
صريحة يجب الاستمسك بها ونظمها في مجموعة منسقة يبرهن
على اصولها بالعقل ، وحيث العقيدة غير صريحة فالباب
مفتوح امام العقل للمناقشة والتحصيل » وقال ابن العبري
في الباب الثاني من الركن الثاني من كتابه منارة الاقداس
في سياق كلامه عن الوجود والعالم « ان معرفة هذه الامور
لا نستطيع ادراكها بالعقل بل بالرجوع الى اقوال الكتاب

الفلسفة يظهر ان الحقيقة التي اتفق افلاطون وارسطو على
امكان الحصول عليها ، هي النقطة الوحيدة التي اخطأ فيها
الفيلسوفان اكثر مما اخطأا في اي نقطة اخرى على حد
قول بيرون .

اما هدف الفلسفة السريانية فهو هدف المسيحية قلباً
وقالباً ، وتشخيص هذا الهدف وتبلوره تشخيص لموقفها
وتبلورها بالذات .

ظهرت المسيحية « والحقيقة » بين يديها جاهزة واضحة ،
« عرفت الحق وحررها الحق » وعملاً بقول الحق
« وتكونون لي شهوداً » ولجت باب الفلسفة كما سبق شرحه
في « دخول الفلسفة الى المسيحية » وذلك كي تعرض الحق
المدرك الذي استعصي كشفه لدى فلاسفة اليونان ، وانقاذهم
من دياجير البحث المعقد الشائك ، ويظهر هذا واضحاً من
قول القديس يوسطينوس ١٦٧ + « ان هذا الحق الذي
بمحت عنه الفلسفة ولم تسمه اما المسيحية فقد شخصته »
وقال ايضاً « ان المسيح كلمة الله » اللوغوس « ينير عقول
البشرية منذ البدء فاخصبت بذوراً منه واهتدت الى بعض
الحقائق ، وكل ما قاله الفلاسفة والمشرعون وما اكتشفوه

من جميل انما بلغوه بفضل تأثير جزئي من اللوغوس ،
ولما كانوا لم يعرفوا اللوغوس بأكله فقد اخطأوا احياناً
وناقض بعضهم بعضاً فكل ما قيل من حق في كل زمن
في الانسانية جميعاً هو ملكنا نحن المسيحيين ، وقال القديس
اقليميس الاسكندري ٢١٧ + موجاً كلامه الى الوثنيين
« انكم تؤمنون باقاصيص غاية في الزرابة ولا تؤمنون
بالحق الذي نعلمه » .

ومن ناحية اخرى ان انصرافهم الى الفلسفة هي شوقهم
الى « الاتحاد بالحق » بناء على طلب الحق ذاته « اثبتوا
في » وقد عبر عن ذلك الفيلسوف السرياني الكبير ابن العبري
بقوله « ان النفس الطاهرة لا تتسامى بالمعرفة لاجل المجد
الذي يناله العارفون في هذا العالم ، بل ليتضاعف شوقها
الى الله ، وتستطيع الارتفاع الى المأ الاعلى » وقد اعلن
عن هذه الفكرة القديس يوستينوس احد المفكرين المسيحيين
الاول الذي درس الفلسفة يحدوه « الشوق الى معرفة الله »
قال في تحديده الفلسفة بقوله « انها علم الموجود الحق ،
وان الغاية منها تحقيق السعادة ، وانما تتحقق السعادة بمعاينة
الله الحق بالذات والخير الاعظم » .

اللفظ الصحيح . كما ابتكر ايضاً العلامة ساويرا ما بوخت
٦٦٧ + طريقة لهد الغرض . ومما يدل على حرص الترجمة
وشدة اهتمامهم بذلك امران هاما ، اولهما التدريب والممارسة
على الترجمة ، فقد عالج فوقا الرهاوي احد كتاب القرن
الثامن ضرورة تدريب الاشخاص الذين يودون ان ينصرفوا
الى فن الترجمة الشاق تدريباً شديداً . وثاني الامر ان هو
الممارسة الدقيقة للكتب المترجمة للتأكد من صحة النقل ،
وهي طريقة علمية سليمة اتبعها العلماء في المدرسة الاغريقية
السريانية واقتبسها حنين بن اسحق وتبناها حتى نسبها
اليه البعض .

بالرغم من هذا كله ، فلم يكن هؤلاء المترجمون
من السريانيين نقلة وقفوا عند حد النقل ، وانما كانوا
اصحاب جهود موفقة في الشرح والتحليل والاستنباط
والموازنة ، والترجيح ، بل كان لبعضهم آراء خاصة في
بعض الموضوعات الفلسفية^(٨٠) وفي آخر البحث تنبت اسماء
النقلة والمؤلفين مع تراجم حياتهم ونشاطاتهم الفلسفية نقلاً
وتصنيفاً .

(٨٠) محمد عطية الابراشي : الآداب السامية ص ٧٢ .

نظرة السريانية الى الفلسفة الاغريقية . كانت غاية
الفلسفة اليونانية البحث وراء الحقيقة . وهي تمتاز بالذاتية
اي انها تقوم على التفكير الحر والمقل المستقل الذي هو
العامل في جميع الاتجاهات ، والمعتمد عليه في حل المشكلات ،
وتقرير النتائج ، فلم تكن تؤمن برسل ولا انبياء ولا آلهة
وضع سقراط اسمها واقام دعائها من بعده تلاميذه افلاطون
وارسطوطاليس ، هذه الفلسفة التي كانت اول لبنة من
لبنائها هذه الجملة المشهورة التي كانت مكتوبة على معبد دلفا
والتي اتخذها سقراط شعاراً له (اعرف نفسك بنفسك)
ولم يكن سقراط يؤمن بالآله اليونانيين (ابولون) وكان
يسخر منه ومن اليونانيين في محاوراته ونقاشه مع تلاميذه
وقد ظل معتصماً بذلك حتى وهو في اشد نكباته واعصب
وقت في حياته يوم ان وقف امام قضائه ليحاكم عن
خروجه عن الدين وعمله على هدم العرف والتقاليد .

لقد شغف اليونان بهذه الفلسفة وسمعوا وراءها بجميع
قوامم اذ كانوا يجدون فيها بهجة ولذة ، فان ديموقريطس
الذي افتقر واخشوشنت معيشتهم التجأ الى الفلسفة وقال
« ان الكشف عن برهان واحد في الفلسفة خير لي من
الحصول على عرش فارس » ومن ماجريات تاريخ هذه

سوريا والعراق وتحمل منزلة مرموقة في قلوب المفكرين ونفوس العلماء ، وتترك أثراً في مصنفات السريان الفلسفية والمنطقية .

وعندما أسس يوحنا ابن افنونيا دير قنسرين سنة ٥٣٠م اغرق في العلم فاصبح في القرن السابع محط رجال طلاب العلوم اليونانية ومنها للعلوم الفلسفية ومركزاً هاماً لتعليم اللغتين اليونانية والسريانية فتعلق نخبة من الرهبان باهداب مصنفات يوحنا فيلوفونوس الفلسفية كما سبقهم اليها سرجيس الراسعيني . وراجت فيها سوق للفلسفتين الارسطوطالية والافلاطونية الجديدة المتأخرة التي هي فلسفة بلوطين ، وفيها يتبلور الموقف الفلسفي ويمنح الى التراث الاغريقي ، واصبحت في القرنين السادس والسابع ميداناً فسيح الجوانب يتبارى فيها اعظم ادباء النصرانية وفلاسفتهم فوسعوا نطاق المعارف ، وبدأت حركة التأليف والتصنيف .

لقد برهن السريان في ذلك كله ، على انهم على مستوى عالٍ من الفكر والرقي ، وانهم حازون على ثقافة تؤهلهم للقيام بهذا العمل الخطير ، وقبولهم هذه المبادئ المنطقية والفلسفية . فهم والحالة هذه يعتبر السريان اول امة شرقية ولجت باب الفلسفة والمنطق .

مرحلة التأليف والتصنيف : لا نجد شيئاً من الابتكار
الفلسفي في حقبة القرون ٤ ، ٥ ، ٦ عند السريان مع
اننا نجد بينهم فلاسفة ذوي مواهب عقلية نادرة . والسبب
في ذلك ان السريان منذ اول عهدهم بترجمة فلسفة اليونان
اتخذوا الفلسفة وامسطة لا غاية تذرعوها بها لاثبات آرائهم
اللاهوتية ضد خصومهم . واكتفوا بالمنطق اليوناني لاثبات
النظريات الالهية لذلك لم يحتاجوا الى الابتكار لانشغالهم في
امور كانت بالنسبة الى عصرهم اكثر اهمية من الابتكار
الفلسفي . فقد اكتفوا اولاً بالنقل ، وركزوا على النقل
كل ثقلهم ، واحاطوه بالعناية البالغة ، فادخلوا عليه اساليب
وطرقاً تضمن لها الامانة والصحة ، وتذلل ما يعترضها من
صعوبات ومشقات . قال ولـيم رايت الانكليزي « كانت
الترجمات السريانية في كثير من الحالات حرفية لتكون اشد
سبكاً في اصطلاح لغتهم الخاصة ، هذا ما جعل لها اكثر
قيمة . فتستطيع ان تعتمد في تركيب النصوص الاصلية ،
غير ان المترجمين المتأخرين تصرفوا بالترجمة تصرفاً عظيماً .
ويخبرنا فوق الرهاوي ان مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + ومار
اثناسيوس البلدي ٦٨٦ + ابتكرا طرقاً واساليب جديدة
تصون الناقل من الخطأ وتساعد على تأدية المعنى الصحيح في

اشبه بحيرة تكون زاهية وارفة الضفاف ما دامت ترفدها
انهار وسواق . وبالمكس اذا انقطعت عنها اسنت وعلاها
الطحلب . فهذه الامة اليونانية بالذات التي تعتبر فلسفتها
وعلومها مستقى لجميع امم الارض وشعوبها ، ما هي إلا
روافد وسواق وجداول جاءت من الأمم الغابرة . يقول
ابن المبري « في هذا الزمان اشتهر في الفلسفة طاليس
الملطي صار الى مصر واخذ الحكمة من القبط ثم رجع الى
ملطية . والقبط اخذوا من الكلدانيين ولم يكن من اليونانيين
شيء من الحكمة » (٧٧) وقال ايضاً « ان ارسطو لم يخترع
منطقه كما ظن ، ولكنه جمع اشقائه ورتبه ترتيباً » (٧٨) .
ويظهر ايضاً ان تعاليم سقراط هي اشبه بأسلوب حكمة
احيقار الفيلسوف الآرامي التي استمد منها اليونان افكارهم
من الحكمة والالغاز (٧٩) . فالنقل والاطلاع على ثقافة الغير
ضروري لا كمال عنصر الثقافة في الامم والشعوب .

والسريان ، ادركوا ذلك بعمق ذكائهم وثاقب بصيرتهم ،

(٧٧) مختصر الدول ص ١٣٧ طبعة ثانية .

(٧٨) فيه ص ٥٤ .

(٧٩) المطران بولس بينام - الفاسفة المشائية ص ٩ .

فلمبوا في هذا المضمار وعلى مسرح الفكر دوراً هاماً اخذوا
عن اليونان واعطاء للعرب كما سيأتي ذلك .

اخذ السريان ينقلون الفلسفة والعلوم الاغريقية الى
لسانهم كما اخذوا ينقلون كتب ملائكة الكنيسة الموضوعه
باللغة اليونانية لتأثرها بالمنطق من الوجهة الصورية على الاقل .
وهكذا انتشرت الفلسفة اليونانية بين مسيحيي الشرق وعلى
الاخص بين السريان في سوريا . وتلت مرحلة النقل ،
مرحلة التأليف والتصنيف .

ففي اواسط المئة الخامسة بدأ السريان لأول مرة
يتعلمون الفلسفة المشائية ، ويعلمون اللغة اليونانية في مدرسة
الرها الى جانب اللغة السريانية . فنقلوا ايساغوجي برفوريوس
الذي تم بهمة هيبا مطران الرها ٤٣٥ - ٤٥٧ لفائدة طلاب
مدرسة الرها . ثم اعقت مدرسة الرها نفسها ترجمتين
اخرين لايساغوجي برفوريوس . وفي الوقت نفسه ترجم فروبا
(بروبس) تلميذ هيبا وارخدياقون كنيسة انطاكية ورأس
الاطباء الايساغوجي ترجمة رابعة ثم قام كومي الرهاوي
تلميذ هيبا بترجمة كل كتب ارسطو الى السريانية . وعلى
هذا الشكل وعن طريق النقل تدخل آراء فلاسفة اليونان

والانطاكية ، سلكت كل منهما طرقاً فلسفية خاصة لكي
تحل مشاكل الابددي وهو التوفيق بين العقل والايان او
العلم والدين . فاتخذت المدرسة الاسكندرية الفلسفة الافلاطونية
المعتمدة على الرموز ، واعتمدت المدرسة الانطاكية على فلسفة
ارسطو المؤسسة على البرهان والمنطق .

الفلسفة الاغريقية والفكر السرياني

اخذت الفلسفة الاغريقية تتغلغل في حياة الفكر
السرياني منذ القرن الرابع ، وبرزت بشكل ملحوظ في القرن
الخامس ، واتخذت مكاتها على ساحة الثقافة السريانية في
القرن السادس وما بعده ، اي في المرحلة الثانية من تاريخ
الثقافة السريانية .

اطلَّ القرن الخامس على الكنيسة السريانية حاملاً بين
طياته بدعاً متنوعة ، وتمايم فاسدة مختلفة ، تضاد عقيدتها
التي درجت عليها طيلة القرون الاربعة الماضية ، فنشب
بسبب ذلك حرب فكرية بين حماة العقيدة المسيحية السليمة ،
الذين هم السريان ، وبين هؤلاء المبتدعين ، الامر الذي
الجأ كل فريق الى ان يتخذ الفلسفة وسيلة للدفاع عن

آرائه ودحض آراء خصمه . لا بل أصبح العالم الديني (لاهوتياً وفيلسوفاً) في آن واحد ، إذ استعملت الفلسفة خادمة للاهوت . والسريان اهل الحق ، والعقيدة الصحيحة ، دعمهم الحاجة من ثم الى النزول الى الميدان الفلسفي والمنطقي بصورة جديدة . فقطعوا بذلك مرحلتين ، المرحلة الاولى هي مرحلة النقل والثانية مرحلة التعليق والشرح ثم التأليف والتصنيف .

مرحلة النقل : الامم والشعوب في سلسلة الانسانية عيال بعضها على بعض ، تعطي حيناً وتأخذ حيناً وذلك عن طريق الترجمة والنقل . فالترجمة هي رسول الفكر الى الفكر ، يجتاز الحدود المرسومة ، ويتخطى المسافات المعينة ، ويتحدى مرور الزمن ، فهو كالسلك الوهمي يربط ابناء الانسانية ببعضهم على اختلاف اجناسهم واديانهم ونزعاتهم . ومن دلائل الامم الراقية الا تكفي بنتوجها العلمي الخاص ، فتضع حداً لتفكيرها ، وتعيش في جوها الثقافي المحدود ، ومهما اتسعت ثقافة امة من الامم ، وارتفع مستواها الفكري فهي تضيق ان تتناول جميع نواحي الحياة ، فلا بد ان يبقى هناك ما لا تمتد اليه طاقتها فتلجأ والحالة هذه الى ان تستورد بضاعتها الثقافية من الاسواق الخارجية . فالثقافة

وامساقفتها وكبار علمائها باللغة اليونانية لغة الدولة والادب ،
وتأدبوا بآدابها ، وصنفوا بها مصنفاتهم . وذلك اسوة باكابر
علماء الكنيسة من سائر الاجناس .

لذلك ، ونظراً لهذه الاسباب لا نرى نشاطاً فلسفياً
هاماً في القرون المسيحية الاربعة الاولى . وفي المرحلة
الاولى من تاريخ الثقافة السريانية . ولكن هذا لا يعني
جمود المعرفة ، وحمود الحياة الفكرية في الكنيسة السريانية ،
فاننا نجد ادباً وفلسفة خلال تلك الفترة في وزن وحجم
مقبولين . فالسريان الاوائل لا شك انهم كانوا مطلعين على
تراثهم الوثني كقصة احيقار مثلاً قبل الميلاد كما سبق شرحه .
وفي العهد المسيحي وفي منتصف القرن الثاني للميلاد كان
هنالك مارا بن سرافيون ، هذا وان لم يكن مسيحياً انما
كان يؤمن بوحدانية الله ، معتبراً السيد المسيح حكيماً .
فقد بعث رسالة الى ابنه تم عن مبادئ الفلسفة الرواقية .
وان اساطين المسيحية بالذات وعلماءها وقفوا على الثقافة
الهلينية ادباً وفلسفة كما يظهر ذلك من مؤلفات ططيانس
الآثوري ١٨٠ م وبرديسان ٢٢٢ وماني في اوامط القرن
الثالث . وكما يظهر ايضاً من مصنفات البطريرك ثاوفيلس
الانطاكي باليونانية ١٨٢ + التي فند فيها البدع ذاكرًا

اساطير هرقليس وامكولاييوس وجبال ايدا التي كانت يوماً مكتظة بالآلهة والآلهات . شارحاً ما بين مبادئ الفلاسفة والشعراء اليونان مندداً بآراء افلاطون الاشتراكية . ولا غرو في ذلك فالمسيحية منذ فجرها ادركت ان الفلسفة هي اكبر قوة تواجه العالم ، وان الناس يعتمدون عليها ويؤمنون بمبادئها ، ويثقون بنتائجها ، ولذا وجدت نفسها بحاجة اليها . فان الكنيسة منذ كانت طفلة في مهدها نشأت لها خصوم الداء من الداخل ومن الخارج يحاربونها عن طريق الفلسفة العالمية ، فمن الخارج اليهود والوثنيون حيث ظهر بينهم فئات تحارب عن طريق الفلسفة ، ومن الداخل اهل البدع الذين مرقوا من ساحتها وناصروا لها الداء ، فقدحوا بصحتها وحقيقة ايمانها ، لذا وجدت الكنيسة انها بحاجة الى هذا العلم لمجابهة الخصوم ، ومقارعة اهل البدع والمرتدين ، بمن اجل الدفاع عن حق الانجيل اتشحت المسيحية برداء الفلسفة واتخذتها واسطة عملاً بقول الرسول بولس « صرت لليهودي كيهودي لاربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كآني تحت الناموس لاربح الذين تحت الناموس » (٧٦) ومن هنا نشأت المدرستان الاسكندرية

(٧٦) اكو ٩ : ٢٠ .

الكثير منهم يرى ان جميع الحوادث تقع بمشيئة الله فلا
سيطرة للنجوم عليها ثم قبلوه بعد ان حصل فيه تحويل
وتأويل ، كما انهم بالرغم من بروزهم في علم الطب وايجادهم
آلات طبية جديدة فقد بقي فرع الجراحة عندهم متأخراً
وذلك ناجم عن النجاسة التي تنتقل بالمس جثة ميتة ،
فجعل الناس ينظرون الى التشريح على انه عمل خال من
الانسانية وفيه قسوة بالغة . ولكن لما تعلم العرب من
ارسطو التشابه في علم الحياة ووظائف الاعضاء بين الحيوان
والانسان وحصل نتيجة هذا تقدم الى حد ما في علم
التشريح بطريقة المقارنة . ويذكر عن الطبيب يوحنا بن
مأمويه ٧٧٧ - ٨٥٧ انه لما عجز عن الحصول على جثة
بشرية للتشريح عمد الى القرود فشرحها (٧٥) .

وفي المسيحية الغربية كان البابا جريجوري . ٥٩٠ - ٦٠٤
يستشهد احياناً بالكتاب المقدس مستنكراً العلم الانسانية
وتزايد مع الزمن اهمال دراسة الكتاب الوثنيين القدامى
واعمالهم وكثير التساؤل الذي كان يحمل بين طياته اكثر
من مغزى ودلالة « هل تنقذ قواعد اللغة اللاتينية النفس

(٧٥) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٧٨ .

الخالدة؟! ما الفائدة التي يمكن ان نجنيها من الكتابة عن آلهة او فلاسفة الديانة الوثنية القديمة او اعمال هرقل او سقراط؟ كان « كل شيء من اجل الدين » في الغرب ، وفي القرن الثاني عشر بالذات كان الهدف الرئيسي في دراسة العلوم في الجامعات الاوربية اعداد الطالب لخدمة دينه وكنيسته ، فكان على الطالب ان يدرس اللغة اللاتينية ليتعلم قراءة الكتب الدينية ، والهدف من دراسة اجرومية اللغة هي تمكينه لقراءة العلوم الدينية قراءة صحيحة . والمقصود من تعليم الموسيقى هو تعليم الطالب ما يلزمه من اجل الاشتراك في التراتيل والترانيم الكنسية ، والغرض من الحساب والفلك هو تحديد ايام اعياد القديسين . اما المنطق والبلاغة فكان الهدف منها تقويم لسان الطالب حتى يتمكن من القيام بالوعظ والارشاد والرد على الخارجين عن تعاليم الكنيسة . وكانت الفلسفة الارسطوطالية ممنوعة دراستها رسمياً في جامعة باريس في عامي ١٢١٠ - ١٢١٥ ، ولما دخلت دراستها الجامعات اصبحت مسارة لمفهوم الايمان المسيحي وللتأمل في المسائل اللاهوتية .

٣ - مع ان السواد الاعظم من ابناء كنيسة سوزية كانوا سرياناً جنساولغة فقد برع كثيرون من بطاركتها

ويبدو بكل وضوح ان الفكر السرياني متأثر تأثيراً كبيراً بالفلسفة اليونانية ، حيث استقى فلاسفة السريان من ينبعوها .

تحدثنا سابقاً عن الملائق القوية بين السريانية واليونانية ، وعن تأثير الطابع اليوناني في حياة الكنيسة السريانية من وجهات عديدة ، وهنا اتماماً لذلك نقول : ان السريان لم يقفوا عند تعلم اللغة اليونانية فحسب بل وقفوا على الادب الهليني عاماً وفلسفة ايضاً . غير ان النشاط الفلسفي في القرون المسيحية الاولى كان فتراً ولم يعر علماء الكنيسة للفلسفة والعلوم اهمية بالغة وذلك لجملة اسباب منها :

١ - كثرة الاضطهادات الشديدة العنيفة التي اثرت على المسيحية ، ودامت قرابة اربعة قرون ، لم تتيح لهم فرصة الاستقرار الفكري ، فانصرف العلماء الى كتابة اخبار الشهداء الكثيرين ، وتسخير كل طاقتهم لنشر الدين المسيحي الذي كان شغلهم الشاغل ، وعانيتهم القصوى ، ثم التهاثم برفع الاحتجاجات الى القياصرة الوثنيين . وما تبقى لهم من الفراغ كان يملأ في دراسة الاسفار القدسية والعلوم الدينية . وتنظيم شؤون الكنيسة الناهضة المضطهدة المرهقة .

٢ - ان جدودنا السريان حين اعتناقهم الدين المسيحي المبين ، في فجر المسيحية ، تلقوه بشنف وذابوا في هواه ، وضحوا في سبيله باغلى ما عندهم ، حتى انهم ضحوا بالتخلي عن اسمهم الآرامي الاصيل ، واستبدلوه بالاسم « السرياني » . واحرقوا كل ما كان في حوزتهم من التراث الفكري . وقضوا على الآثار المدنية والعلمية والحضارية المكتوبة بالآرامية خشية ان توقع معالمها الوثنية احفادهم في شرك الوثن ، واعتبروا هذا التراث ضاراً في صالح المسيحية ، عديم الفائدة لارتباطه بالوثنية . ورأوا ان المنطق والفلسفة وغيرها من العلوم تتنافى والدين المسيحي .

وهذه الظاهرة نجدها عند العرب المسلمين ، والمسيحيين الغربيين ايضاً . ففي الاسلام ، لبثت الثقافة محصورة في القرآن والحديث والامور الدينية . ولما بدأ المسلمون يتعلمون المنطق ومساثر « العلوم الدخيلة » كما كانوا يسمونها ، لاقوا معارضة عنيفة من المحافظين حتى ذهب المثل القائل « من تمنطق تزندق » وضع الاسلام الفلاسفة في صنف الملحدين هذا ما حدث كله في القرن التاسع في عصر المأمون الخليفة العباسي . كما لم يقبل العرب المسلمون بالتنجيم حيث كان

من عهد القديس بطرس حتى سنة ١٢٨٥ . وثانيهما عن تاريخ جثالقة المشرق ومفارنته من ايام القديس توما الرسول وختمه بترجمة مسهبة لنفسه . وضمنه ايضاً اخبار جثالقة النساطرة نقلاً عن مؤرخهم ماري بن سليمان . صفحاته ٦٣٣ نشره بلوس ولامي منقولاً الى اللاتينية سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٩ .

وله ايضاً تاريخ الزمان من اول الخليفة حتى سنة ١٢٨٥ ضمنه تاريخ العالم والدول والعلماء بغاية ما يكون من الضبط والدقة آخذاً عن مصادر سريانية وعربية وفارسية وقف عليها في خزانة مراغة . طبعه بيجان سنة ١٨٩٠ ثم بدج منقولاً الى الانكليزية عام ١٩٣٢ . وله كتاب مختصر الدول وهو تاريخ الزمان نقله بتصريف من السريانية الى العربية ، جرياً على غرار المسعودي عند العرب فلم ينظم الحوادث حول السنين بل حول الدول والملوك والشعوب . صفحاته ٥٢٢ نشره اولاً بوكوك ونقله الى اللاتينية سنة ١٦٦٣ ثم نقله بور الى الالمانية عام ١٧٨٣ ثم طبعه الراهب انطون الصالحاني سنة ١٨٩٠ ثم طبع مرة اخرى في بيروت عام ١٩٥٨ .

الفلسفة

كيف دخلت الفلسفة الى المسيحية

الفلسفة علم اختص به الاغريق دون سائر الشعوب ،
وان الفكر الانساني على تنوع حركاته ، وتلون تياراته ،
شرقياً كان ام غربياً ، قديماً ام جديداً ، مدين للفلسفة
اليونانية ، وهذا ما كان مدار نقاش بين ارنست ماخ
وشردنجر حيث انكر الاول فضل الاغريق ، واعتبر
الحضارة مستقلة عن امها الحضارة اليونانية ، اما الثاني
فيسخر من قول ماخ ويدحضه ويبرهن على ان كل فكر
واقع تحت تأثير افلاطون وارسطو . وقد اجمع المفكرون
الباحثون على ان الفلسفة اليونانية غزت الشرق والغرب
وهيمنت على وضع العلوم والمعارف ، واثرت في الديانات
اليهودية والمسيحية والاسلامية .

البطريك ديونيسيوس التلمحوري ٨٤٥ + : صنف
تاريخاً نفسياً من سنة ٥٨٣ - ٨٤٣ عمله باقتراح ايوانيس
مطران دارا . وكسره على مجلدين . نقل عنه كثيراً ميخائيل
الكبير وابن العبري ، ولم يفضل من اصله سوى خمس
صفحات نشرها السمعاني .

المؤرخ المغمور ٨٤٦ : له تاريخ عام ديني مدني على
ترتيب السنين يبدأ بالخليقة وينتهي بزمانه نشره بروكس ونقله
الى اللاتينية .

البطريك مار ميخائيل الكبير ١١٩٩ + : عمل تاريخاً
كنسياً دينياً ومدنياً عاماً ، من اول الخليقة حتى عام ١١٩٣
في عدة مجلدات . وجعل كل صفحة منه ثلاثة اعمدة خص
اولها بالتاريخ الديني والثاني بالمدني ، والثالث دوّن فيه
غرائب احداث الدنيا . يقع في ثمانمائة صفحة بالقطع الكبير
والخط الدقيق لم تكتحل عين الزمان بتاريخ قديم نظيره .
نشره شابو منقولا الى الفرنسية في خمسة مجلدات سنة
١٨٩٩ - ١٩١٨ . ونقل الى العربية عام ١٧٥٩ وفي عام
١٢٤٥ نقله القس يشوع الحصفكي الى الارمنية مختصراً .
وطبع في اورشليم ١٨٧٠ و ١٨٧١ ونقله لنكلوا الى

الفرنسية ونشره .

ان شهرة مار ميخائيل الكبير تتركز على تاريخه هذا الذي اضحى مصدراً لكل المؤرخين . ويحق له ان يلقب بـ « هيروددس السريان » كما لقب المسعودي بهيروددس العرب . كما انه جدير بان يحتل مكانته العلية على الساحة السريانية بـ « مؤرخ الكرسي الانطاكي » .

الرهاوي المجهول : كان يعيش في القرن الثاني عشر . عمل تاريخاً جميلاً مفصلاً في مجلدين اناف على ٨٣١ صفحة . تناول في الاول احداث العالم من بدء الخلق حتى سنة ١٢٣٤ . واشتمل الثاني على احداث الكنيسة منذ عهد قسطنطين الكبير حتى سنة ١٢٠٧ وفصل احداث الصليبين واخبار وطنه الرها . في عام ١٩٠٤ نشر السيد افرام رحمانى المجلد الاول وردت فيه اخطاء كثيرة . واستأنف البطريك افرام برصوم معارضته بالاصل بدقة . ورسم المجلد الثاني بالتصوير الشمسي اصعافاً للمستشرق شابو الذي ابرزه برمته في طبعة انيقة سنة ١٩١٦ ونقله الى اللاتينية .

ابن العبري مفران المشرق ١٢٨٦ + : عمل تاريخاً كنسياً في مجلدين يشمل اولهما على تاريخ بطاركة انطاكية

النصرانية ثمانين الفاً ، وانشأ لهم اكثر من تسعين بيعة
واكثر من عشرة اديار . وبعد وفاة ثاودومسيوس الاسكندري
سنة ٥٦٦ رأس المترجم ارثوذكسي القسطنطينية ومساثر بلاد
الروم . وعام ٥٧١ امعن يوسطينس واما قفة العاصمة الملكيون
في التنكيل بالارثوذكسيين ومنهم المترجم الذي ذاق منهم
المراثر ، فاعتقل في سجن مضمّن ثم نفي اربعين شهراً ثم
اعتقل ثانية ، وثالثة ، وابعده من العاصمة هو وصحبه عام
٥٧٨ . وتوفي عام ٥٨٧ ونعت بمنصر الوثنين ومكسّر
الاصنام ومؤلف تواريخ البيعة .

صنف تاريخاً كنسياً في ثلاثة مجلدات من عهد يوليوس
قيصر حتى عام ٥٨٥ وهو ٤١٨ صفحة . المجلد الاول
مفقود ، والثاني نقل برمته تقريباً الى التاريخ الذي ألفه
الراهب الزوقيني عام ٧٧٥ اما الثالث فوصل الينا وسقطت
منه بعض الفصول . نشره اولاً كورتن سنة ١٨٥٣ ونقله
بيان سميث الى الانكليزية عام ١٨٦٠ وشونفلدر الى الالمانية
سنة ١٨٦٢ . ثم نشره ثانية بروكس ونقل الى اللاتينية .
وعمل ايضاً سنة ٥٦٦ - ٥٦٨ تاريخاً آخر ضمنه سير النساء
الشرقيين وهو جزءان يقمان في ٦١٩ صفحة . وقد نشره
« لاند » سنة ١٨٦٨ ونقله هو وفان دوين الى اللاتينية

ونشراء في امستردام عام ١٨٨٩ ثم بروكس منقولاً الى
الانكليزية سنة ١٩٢٤ .

وله ايضاً رسائل تاريخية .

يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + : بعد ان صحّح خرونيقون
اوسايموس نسج على منواله فمسل كتاب تاريخه المختصر بدءاً
من السنة العشرين لقسطنطين الكبير حتى سنة ٦٩٢ بقي
منه ٦٧ صفحة نشرها بروكس .

الراهب الزوقيني ٧٧٥ : سنة ٧٧٥ الف راهب فاضل
من دير زوقنين القريب من آمد تاريخاً كبيراً في مجلدين
من الخلقه حتى زمانه بسط القول بما كان في زمانه من
الاحداث الدينية والمدنية والكوائن الطبيعية فاورد وقائع
مفصلة تتعلق باواخر الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية
الى زمان المهدي وتفرد بكثير منها ، فلا تجده في اي
تاريخ سرياني او يوناني او عربي . وفي سنة ١٨٩٥ نشر
القس يوحنا شابو الجزء الرابع منه منقولاً الى الافرنسية
ونحله مار ديونيسيوس التامجري ٨٤٥ + ثم نشره شابو
في مجلدين وقعما في ٧٣٢ صفحة بالقطع الكبير سنة
١٩٢٧ - ١٩٣٣ واسماه التاريخ المجهول ونقله الى اللاتينية .

والشهداء ، كما فعل ماروثا الفارقي ٤٣١ + (٧٣) الذي
صنف سير اشهر الشهداء الشرقيين الذي نكّل بهم الطاغية
شابور الثاني الملقب بذي الاكتاف في الاضطهاد الاربعيني
٣٣٩ - ٣٧٩ ، واذا استثنينا ايضاً بعض التواريخ الخاصة
باحداث سورية وما بين النهرين من سنة ٤٩٥ - ٥٠٦ م
الذي وضع في اوائل القرن السادس ، وتاريخاً آخر يعرف
بتاريخ الرها من سنة ١٣١ ق . م حتى ٥٤٠ م ، تكون
اول كتابات تاريخية ظهرت عند السريان تاريخ زكريا الفصيح .
قال العلامة شابور : اجمع علماء المشرقيات ان التواريخ
السريانية اوسع التواريخ المسيحية في العصور القدمى
والوسطى ولا تقل عن زهاء سبعة عشر مجلداً (٧٤) .

والمؤرخون السريان ثلاثة اقسام . قسم كتب في التاريخ
العام وهم المؤرخون الرسميون . وقسم كتب في تاريخ مملكة
معينة او دولة ما وسمي ذلك بالتاريخ الخاص . وقسم
ثالث اقتصر على تراجم مشاهير الاعلام .

(٧٣) تجد ترجمة حياته في هذا الكتاب .

(٧٤) الادب السرياني ص ١٥٩ .

المؤرخون الرسميون

١ - زكريا الفصيح : كان يعيش في القرن السادس .
ولد في غزة . ودرس علم النحو والبيان في المدرسة
الاسكندرية سنة ٤٨٥ - ٤٨٧ . ثم علمي الفقه والفلسفة
في مدرسة بيروت الفقهية . اشتغل بالمحاماة في القسطنطينية
زماناً . وبعد سنة ٥٢٧ سقف على جزيرة مدالي . وتوفي
بعد سنة ٥٣٦ .

صنف تاريخاً دينياً مدنياً مفصلاً من سنة ٤٥٠ - ٤٩١ م
الفقه باليونانية ثم نقل الى السريانية ، وفقد الاصل اليوناني .
وصنف ايضاً سيرة مار سويريوس الانطاكي باليونانية ثم
نقلت الى السريانية . وقد نقلها « كوجنر » الى الفرنسية
وطبعها .

٢ - يوحنا الافسي ٥٨٧ + : ولد في ولاية آمد
عام ٥٠٧ ، ولما بلغ اشده انضوى الى احد الاديرة .
فتروض في درس الكتب القدسية ، واتقن اللغتين السريانية
واليونانية ثم ترهب . عانى كثيراً من الاضطهاد الخلقيدوني .
وحوالي سنة ٥٥٨ رسمه مار يعقوب البرادعي مطراناً
لافسس فنسب اليها . واحرز نجاحاً عظيماً اذ هدى الى

والطقس كلمة يونانية تعني « تنظيم » ويشتمل على الصلوات القانونية ، والليتورجية ، وخدمة الاسرار المقدسة ، وقراءات الكتاب المقدس ، وكل ما يتعلق بفروض العبادة والصلاة ، ويعتبر مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + منسقه الاكبر ، ويليه علماء آخرون .

وحيث ان الجزء الخامس من كتاب السريان ايمان وحضارة ، سيتناول « الطقوس والعبادة » لذا سنترك البحث في هذا الموضوع الهام الى ذلك الحين . حيث سنتناول دراسته تاريخياً ، وعقدياً . وروحياً ، في جميع مراحلها واطواره .



التاريخ

يتصدر علم التاريخ فروع الثقافة السريانية اهمية ومكانة في مرحلتها التاريخية الثانية . حيث ابدأ يظهر فيها سلسلة تواريخ نفيسة واستمرت حتى اليوم . تميزت بالتمحيص ، والدقة ، والامانة . وقد استقى السريان مصادر تواريخهم عن اوسابيوس القيصري ، فنقلوا تاريخه الى لغتهم قبل السنة ٤٦٢ . ثم استعانوا بتواريخ زوسيمس ، وافريقيانس ، وسقراط ، وثاودريط ، واندرونيقيس . وبعد هذا اخذوا يصنفون التواريخ البيعية والمدنية بلغتهم السريانية .

اذا استثنينا المادة التاريخية التي تمهدت عن طريق القصص والسير التي تنقلت شفاها ، ومن القصص والابخار الدينية التي حيكّت حول شخصيات الرسل والقديسين

والمخلصين . والف يوحنا ابن اندراوس ١١٥٦ + ميمراً
يهجو فيه الخارجين عن القانون . وانتقد ميامسة اكليروس
زمانه نقداً لاذعاً . فقررَّع القسوس والشامسة المتتردين على
اساقفتهم . وانبَّ الرهبان الذين استمضوا عن قوانينهم بالعمل
في كروم العنب والزيتون كسباً للمال . ووبخ الرهبان
لخروجهم عن طاعة الاحبار .

ويطيب لنا ان نعيد ما سجلناه في الجزء الثاني من
كتاب السريان ايمان وحضارة ص ١٥٥ د عندما اختار
بجمع الاساقفة ميخائيل الكبير بطريكاً اصرَّ على الممانعة
مدة ولم يطاوع الاساقفة إلا ان اشترط عليهم ان يسلكوا
بموجب احكام وقوانين الآباء والقديسين . . . فلم يطاوعه
جميع الاساقفة على هذا بل قاومه بعضهم . فهض مار
ديونيسيوس يعقوب ابن صليبي مطران آمد ١١٧١ + وقد
اخذته الفيرة على بيت الرب وخطبهم قائلاً « اننا منذ سنين
طويلة نحن وابناؤنا ذوو الذكر الطيب نشمر بنخس الضمير
الذي يمزقنا لاننا لا نسير بموجب قوانين الجامع التي عقدت
لاستئصال الضلال ومسوء السلوك ، واصلاح شؤون الطائفة ،
والآن بعد ان حرك الله غيرة من اختير راعياً علينا ليعيد

رونق القوانين الأبوية . فهل يسوغ لنا ان نقاوم ارادته .
الحق اقول لكم كل من لا يطاوع فهو ابليس » .

الطقس : اتخذت الكنيسة المسيحية في مفتح عهدها
للطقس اللغات الدارجة يومذاك وهي السريانية في بلاد
المشرق ، واللاتينية في رومية وملحقاتها ، واليونانية في بلاد
اليونان . وعرفت هذه اللغات ، بلغة الآباء الرسمية
. Patrologia .

ويتميز الطقس السرياني عن غيره من الطقوس المسيحية
بانه اول طقس لاول كنيسة مسيحية قامت هي كنيستي
اورشليم وانطاكية .

وفي الثقافة السريانية ، يمثل الطقس السرياني ذروة
الفكر المسيحي ويشكل النبع الثر التي صبّت فيه كل
فروع الثقافة السريانية فقد اسهم في بناء صرحه الشامخ
لمدة عشرة قرون ، اللاهوتي ، والمفسر ، والمشرع ،
والمؤرخ والفيلسوف . والفقير . وقد استهدف في انشائه
خلق الحياة الروحية ، وتفاعل تعاليم الانجيل في المؤمنين
اكثر من تزويدهم بثقافة بمعنى الحصر .

٨٨٣ + والبطريك ديونيسيوس الثاني ٩٠٩ + والبطريك
يوحنا بن شوشان ١٠٧٢ + ويوحنا مطران ماردين
١١٦٥ + وديونيسيوس يعقوب ابن صليبي ١١٧١ + له
مختصر في القوانين الرسولية وقوانين الجامع واهداه الى
البطريك ميخائيل و ٤٥ قانوناً في الخطايا والنذور والقرايين
والاستغفار . والبطريك مار ميخائيل الكبير ١١٩٩ +
وابن العبري ١٢٨٦ + له كتاب الهدايا الذي اشرنا اليه ،
في الشرح الديني والمدني وقع في ٥٤١ صفحة تناول فيه
كل ما يتعلق بالمؤمنين من امور دينية ودينية مرجعه فيه
القوانين المنسوبة الى الرسل ، وتعليم ادي والجامع ، والآباء
والبطاركة ، ومراسيم الملوك ، نشره بيجان سنة ١٨٩٥
ونقل الى اللاتينية .

وان ننسى لا ننسى ان نذكر مار يعقوب الرهاوي
٧٠٨ + الذي سن^١ قوانين كنسية كثيرة في الطقس
والاسرار وغير ذلك بلغت ١٦٦ قانوناً اختارت البيعة منها
ما شاءت فضمت الى كتاب الهدايا لابن العبري . ونقل
قوانين مجمع قرطاجنة الاول ، وقوانين الجامع المسكونية
الثلاثة . وله مجموعة فتاوى بصورة اجوبة على الامثلة التي

وجهها اليه القس آدای وقد نشر هذه القوانين بول دي
لاكارد وطبعها كايزر طبعة انتقادية اوفى مع ترجمة المانية
عام ١٨٨٦ في ليبسيك . كما صنف مار يعقوب مقالة في
درجات القرابة التي تحول دون الزواج ذكرها باومشترك
ودوفال ورايت .

ولشدة حرص الرهاوي على التمسك بالقوانين استقال
من منصبه ذلك انه كان قد ازعجه بعض الاساقفة الغير
الشرعيين ، وتنازع مع البطريك اثناسيوس البلدي والاساقفة
غيرة على حفظ القوانين البيمية فلم يصغ احد على احتجاجه ،
بل كانوا يشيرون عليه ان يوافق الامور على مجرى احوال
الزمان . فحملته نخوته ان يأتي بمصحف القوانين البيمية
ويحرقها امام باب الدير الذي كان يسكنه البطريك قائلاً
بصوت عال : ها انا قد احرق القوانين التي رسمتموها
ولم تحفظوها لكونها غير ضرورية وليست بذات فائدة .

وفي المجمع الذي عقد في دير مار برصوم عام ١١٥٥
برئاسة البطريك اثناسيوس يشوع بن كمرأ سن فيه المطارنة
اربعة قانوناً وقمها البطريك والاساقفة إلا انهم لم يراعوها
بل استمروا على عوائدهم فامتعض كثيرون من الطيبين

وبعضها من تعاليقه . وامسب وابدع في ابواب الشرع المدني
مما جادت به قريحته الوقادة واجتهاده العجيب فاضحي كتابه
دستوراً للكنيسة .

ومن اشهر المشرعين وواضعي القوانين عند السريان
هم ماروثا الميافريقي (٧٠) في اواخر القرن الرابع واوائل
الخامس ، ومار يوحنا اسقف تلا ٥٣٨ + الرجل البار
والمجاهد الجبار في سبيل الايمان . ولد في الرقة عام ٤٨٣ ،
وتعمق في ادبي السريانية واليونانية . وانضم الى ملك الجنود
مديدة ، ثم زهد في الدنيا فترهب في دير مار زكا بظاهر
الرقة سنة ٥٠٦ ورسم قساً . ثم رقي الى اسقفية تلا سنة
٥١٩ . وبعد سنتين نفاه القيصر يسطينس لتمسكه بالايمان
الارثوذكسي القويم « فاولى الى بعض بلاد الجزيرة وانتهى
الى مدينة سنجار مواصلاً جهاده وهناك سام للمؤمنين
جماهير من الاكليركيين بلغ عددهم بضعة آلاف . واقام
على الجهاد والنسك ست عشرة سنة . زار بلاد الفرس
ثلاثاً ورحل الى العاصمة عام ٥٣٢ - ٥٣٣ دفاعاً عن المعتقد

(٧٠) تجد ترجمة حياته في هذا الكتاب .

مؤلفاتهم دساتير عقائدية ، وفرضت تدريسها على الطلبة .

ويلي هؤلاء علماء آخرون .

الشرع الكنسي (الفقه) : سنّ آباء الكنيسة السريانية

وعلماءؤها ، منذ نشوئها في اورشليم وانطاكية في العهد الرسولي ، من خلال المجامع ، مجموعة من القوانين الكنسية تخص جميع مرافق الحياة المؤمنين ، الكنسية ، والدينية ، والمدنية ، فيما يتعلق بالطقوس الكنسية ، والعبادة ، وممارسة الاسرار السبعة ، والواجبات المترتبة على الاكليروس على اختلاف درجاته ومراتبه ، وامور المؤمنين في كل مناحي الحياة كبيرها وصغيرها ، وكل ما من شأنه ان ينظم الحياة المسيحية وينهض بالحياة الروحية ليحيا المؤمن كما يحق لانجيل المسيح .

وكان كلما تقدم الزمان ازدادت القوانين وغزرت مادتها

مسيما على اثر نشوء البدع والمهرطقات ، وما حدث من نزاعات طويلة ما بين البطارقة والمفارنة والاساقفة حول تحديد حقوقهم وما يتعلق بهم .

من المعروف في تقاليد البيعة ان الرسل الاطهار قد

سنوا قوانين كثيرة لتهديب المؤمنين خاصة في مجمع اورشليم
الاول عام ٥١ م . لاننا نعلم ان اشياء كثيرة هي من الرسم
الالهى وليست مكتوبة في الاسفار المقدسة بل اذاعها الرسل
انفسهم ووصلت الينا بالتقليد من ذلك كتاب المعروف
بقوانين الرسل .

ونقلت الكنيسة السريانية الى اللغة السريانية القوانين
التي سنت في المجمع في القرون الثلاثة الاولى . كما نقل
مار ماروثا الميافرقيني قوانين مجمع نيقية بطلب اسحق جاثليق
المدائن في القرن الخامس . كما ترجمت الى السريانية قوانين
عديدة تعود الى القرون الاولى .

ومن بطاركة انطاكية ، واساقفة الشرق ، قوانين
عديدة خلال المجمع التي عقدها بشكل متواصل حتى
يومنا هذا .

وقد نلخص ابن العبري القوانين الكنسية والمدنية في
كتابه الموسوم بالهدايات الذي طواه على اربعين بابا وضمنه
قوانين مفقودة لجرجس اسقف العرب ٧٢٥ + وميخائيل
الكبير ١١٩٩ + وغيرها . وازاد اليها قوانين مجهولة

ومن اجل مصنفاته كتاب الايام الستة طبعه شابو واوشالد
عام ١٩٣٢ وهو اول من طرق هذا الموضوع بين مؤلفي
السريان وقد غادره ناقصاً فأكماله صديقه جاورجي اسقف
العرب ٧٢٥ + .

٣ - البطريرك قرياقس التكريتي ٨١٧ + (٦٨) : له
كتاب في العناية الآلهية .

٤ - ايوانيس الداري ٨٦٥ : له كتاب في الرتب
الساوية والرتب الكنسية ، والكهنوت ، والكاهن ،
والقيامة ، والابالسة ، والفردوس ، والخليقة ، وقيامة
المسيح ، والعنصرة ، ووجود الصليب ، واعمال الفادي .

ترهب في دير الزعفران - ماردين . واجاد اللغة
السريانية ، وتوفر حظه من العلوم الفلسفية واللاهوتية .
وفي حدود سنة ٨٢٥ رسم مطراناً لدارا . توفي عام ٨٦٥ .

٥ - مار موسى بن كيفا ٩٠٣ + (٦٩) : بحث في

(٦٨) السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ١٠٤ .

(٦٩) نجد ترجمة حياته في هذا الكتاب .

وجود الله ووحدانيته وتثليث اقنيمه. وفي اقنومي الكلمة والروح القدس . وفي الملائكة ، والفردوس ، والقيامة . والنفس .

٦ - ديونيسيوس ابن الصليبي ١١٧١ + (٦٩) : له كتاب في علم اللاهوت تناول مواضيع لاهوتية عديدة . وكتاب آخر في العناية الآلهية . واشتمل كتابه الموسوم « بالمجادلة » كل صنوف هذا العلم .

٧ - يعقوب البرطلي ١٢٤١ + (٦٩) : له كتاب الكنوز تناول فيه معظم العلوم اللاهوتية بشكل موجز . وله كتب اخرى مفقودة .

٨ ابن العبري ١٢٨٦ + (٦٩) : شأنه كما في سائر العلوم فقد ادرك ذروة العلم اللاهوتي وترك فيه موسوعته اللاهوتية التي اسمها « منارة الاقداس » نقل المستشرق جان باكوس سنة ١٩٣٠ الركنين الاولين منه الى الفرنسية ونشر ذلك الى النص السرياني . ثم لخص المفريان كتابه هذا في كتاب آخر سماه « الاشعة » .

واعتبرت الكنيسة هؤلاء اللاهوتيين مرجعاً وحجة ، فهم ثقة في كل الامور اللاهوتية الغامضة ، واتخذت

علمه بمادته المختصة بها علوماً دينية أخرى ليؤدي مادته كما يقتضى . فالشرع في الكنيسة مثلاً ليس بمقدوره ان يسن قانوناً ما لم يكن متضلعاً بعلم الكتاب الآلهي واللاهوت مثلاً ، وهكذا قل في غيره .

وفي هذه المرحلة الثانية من تاريخ الثقافة السريانية ، تختلف اختلافاً كبيراً عن الاولى ، انها نبتت عن عصر الانشقاق الديني ، والصراع العقدي ، الناتجين عن مجمي افسس الاول ٤٣١ والخلقيدوني ٤٥١ حيث ظهرت عقيدة القول في المسيح طبيعتان منفصلتان والحط من قيمة التجسد والصلب ، كما ظهرت آراء كثيرة منافية للعقيدة الرسولية السليمة . اصف الى ذلك خلافاً عديدة في الاسرار وبعض العقائد الحسامية . كما تميزت هذه المرحلة عن السابقة باستخدام القياس الفلسفي والمنطقي ، وبذلك يتخذ البحث الديني اسلوباً جديداً يختلف عن اسلوب مار افرام والسروجي وغيرها من اقطاب العلوم الدينية في المرحلة الاولى .

ان هذه العلوم الدينية ولئن كانت وحدة متماسكة لا تنفك غير اننا سنبحث فيها كلاً على حدى بعد ان بحثنا موضوع الكتاب المقدس في بدء الفروع الثقافة السريانية .

اولاً : اللاهوت : تشتمل المواضيع اللاهوتية عند السريان على وجود الله ، وصفاته وتثليث الاقانيم الالهية وتوحيد الجوهر . تجسد الكلمة وطبيعته الواحدة المركبة . انبثاق الروح القدس من الآب . العناية الالهية . اسرار الكنيسة السبعة . القيامة ، الملائكة ، الابالسة ، النفس البشرية . الفردوس . وقد تميز العلامة اللاهوتي ابن العبري اذ جعل « نظرية المعرفة » قاعدة لكتابة اللاهوتي العجيب الموسوم بمنارة الاقداس .

ومن اشهر اقطاب علم اللاهوت هم :

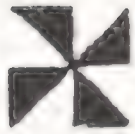
١ - القديس فيلكسينوس المنبجي ٥٢٣ (٦٦) + : له بحوث في التثليث والتوحيد والتجسد . طبعها واشالده منقولة الى اللاتينية عام ١٩٠٨ .

٢ - مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + (٦٧) : له مؤلف عنوانه « العلة الاولى ، الخالقة الازلية القادرة على كل شيء غير المخلوق وهي الله حافظ كل شيء » وهو مفقود .

(٦٦) السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٤٨ .
(٦٧) تجد ترجمة حياته في هذا الكتاب .

اما من يقرأ الحوسايات (صلوات الاستغفارات) يجد فيها
مواطن قوة الانشاء السرياني ، من بلاغة ، وفصاحة ،
وبيان . كالتى دمجتها يراع يوحنا بطريك انطاكية ٦٤٨ +
وسعيد ابن الصابوني مطران ملطية ١٠٩٥ + وابو نصر
البرطلي ١٢٩٠ .

مواضيع معينة : وهذا ما عمله العلماء المتأخرون وفي
تليعتهم الملامة ابن العبري في كتابه القصص المضحكة او
الاحاديث المطربة اتتخب فيه فوائد من اناس ينتمون الى
حضارات مختلفة من ذلك فلاسفة اليونان وحكام الهند
وملوك العرب ، ورهبان ونسك واطباء ، واسخياء ،
وبخلاء ، وفكاهات المشعوذين والمضحكين وغير ذلك .



(٣)

العلوم الدينية

الكتاب المقدس - اللاهوت - الفقه - الطقس

اتجهت عناية السريان واهتمامهم بهذه الفروع الدينية المشتملة على الكتاب المقدس وتفسيره وشروحه ، واللاهوت ، والفقه والشرع ، والطقوس الكنسية ، منذ فجر المسيحية لضرورة تفهم معاني الكتاب المقدس ، واستيعاب روح الدين المسيحي ، وادراك المقائد الكنسية ، ومعرفة ممارسة اصول العبادة والاسرار . كما استخدمت الفلسفة خادمة لها بعد القرن الخامس كما سيأتي .

ان العلوم الدينية هذه وحدة متماسكة مرتبطة ببعضها فالعلم اللاهوتي سنده الكتاب المقدس ، وعلم الشريعة والطقس مرجعه علم اللاهوت ، فالعلم بواحد منها ، ملتبس في الكل . فقد كان على اللاهوتي او المشرع او الطقسي ان يجمع الى

ضاعت الترجمة السريانية للآيانية والاولدوسية ولا نجد لها اليوم اثرًا إلا بيتاً واحداً فقط .

ان الادب السرياني الذي بين ايدينا اليوم قسمان ، المنظوم ، والمنثور . اما المنظوم فهو الشعر والميامر والقصائد والمداريش وقد تحدثنا عنها . اما المنثور فنراه مبثوثاً ومنتشراً في ثلاثة امور : الرسائل ، المقالات والمواعظ ، مواضيع معينة لدى المتأخرين . وحتى في هذه ايضاً يبدو الادب السرياني ادباً كنسياً ، دينياً ، مسيحياً ، وهذا ما عناه البطريرك افرام برصوم بقوله « واذا اعتبرت ثقافة يونان حكيمية ، وثقافة العرب بيانية ، فان ثقافة السريان تعد دينية » (٦٥) .

ادب الرسائل : ان فن انشاء « الرسالة » مستمد من الكتاب المقدس - العهد الجديد - الرسائل البولسية والجامعة . وحذا هذا الحذو آباء الكنيسة الاولون في القرون المسيحية الاولى كالقديسين اقليميس الروماني ،

(٦٥) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ .

والبطريك اغناطيوس النوراني . ثم جاء علماء السريان
وادخلوا الى الثقافة السريانية هذا الفن الجميل .

تطرق واضعو الرسائل السريانية الى مواضيع دينية
متنوعة تخللتها مواضيع ادبية عامة تتماشى مع الدين وخلق
المسيحي . وقد تناول هذا الفن معظم علماء السريان
الكبار . وللمطران بولس بهنام دراسة مستفيضة في هذا
الموضوع في كتابه الموسوم « ادب الرسالة عند السريان »
نشر ضمن سلسلة الدراسات السريانية التي يصدرها المطران
يوحنا ابراهيم ، والذي يحمل الرقم (٣) في هذه السلسلة .
لذا لا نرى حاجة للاسترسال في شرح هذا الموضوع ،
فمن اراد المزيد فعليه بمراجعة ذلك الكتاب .

المقالات والمواظ : بلغ الادب السرياني شموخه
وعنفوانه في كتاب « طريق الكمال » للقديس فيلكسينوس
المنبجي ، فقد نثر فيه لآلئ الفصاحة ، بانشاء فخم جداً
بلغ القمة . طرق مواضيع روحية وخلقية وتهذيبية ، الايمان ،
والبساطة ، والورع ، والفقر الاختياري . كما نجد ادباً رفيعاً
في « المواظ » والتي تسمى بالسريانية **المواظ**

له ايضاً رسالتان منظومتان بالوزن السباعي قرظ بهما
الطبيين الوجيهين فخرالدين ماري وتاج الدولة ابا طاهر ،
وشاهما بالبديع اللفظي والمعنوي ملتزماً الحرفين الاولين من
اسمي المدوحين .

البطريك يوحنا ابن المعدني (٦٤) ١٢٦٣ + : له ديوان

شعر سرياني ، اشعاره منظومة على البحر الاثني عشري
واكثرها مقفي ، اشهرها قصيدتان مختارتان في النفس
عنوان الاولى في الطير وهي ١٢٢ بيتاً ، والثانية تائية في
شرف عنصر النفس وسقوطها بالعصيان استهلها بقوله
« هبطت اليك من ذروة القداسة » معارضاً قصيدة ابن
سينا « هبطت اليك من المحل الارفع » . ٢٥ بيتاً
وقصيدة في طريقة الكاملين وطبقاتهم ١٢٦ بيتاً وهي من
براعته الماثورة . وقصائد اخرى متنوعة . نشر ديوانه في
القدس الراهب القس يوحنا دولباني عام ١٩٢٩ .

المفريان ابن العبري ١٢٨٦ : له ديوان شعر يحوي

ثلاثين قصيدة ومقطعات نيفاً ومائة من وصف وحكم

(٦٤) راجع السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ١٢٧ .

واخوانيات ومديح وذنم ورثاء ، اكثرها على البحر السروجي . ومرة بك ما قلناه في شعره . طبع ديوانه اولاً اوغسطين شبّابي الراهب الماروني سنة ١٨٧٧ ونشر القس جبرائيل القرداحي قصيدة الحكمة ، ونشره في طبعة انيقة مضبوطة في القدس الراهب يوحنا دولباني سنة ١٩٢٩ .

الادب : سخر علماء السريان كل طاقتهم الفكرية والثقافية للعلوم الدينية والكنسية والتاريخية والفلسفية . اما الادب بمعناه الحضري فهو قليل جداً بالنسبة للمطامير الاخرى ذلك ان السريان لم يعيروا له اهمية بالغة ومما يدل على ذلك اننا نرى ان علماء السريان عند دراساتهم التراث الاغريقي اقبلوا على درس وترجمة الفلسفة والطب والعلوم اقبالاً شديداً . غير ان اقبالهم على الادب والقصص كان فتراً ضئيلاً . لذلك لا نرى من يتصدى لنقل الادب والقصص اليونانيين . حتى جاء ثيوفيل الرهاوي فنقل الالياذة والاولدوسية لهوميروس نحو سنة ٧٨٥ م ، وكان النقل بليفاً محكماً ، الا ان السريان لم يهتموا بذلك لما فيه من « الالغاز والرموز » على حد تعبير ابن العبري . لذلك لا نرى نسخاً من هذا القبيل تعيش طويلاً ، وهكذا

ومات بعد ان بلغ من العمر عتياً .

سعيد ابن الصابوني ١٠٩٥ : ملطي المولد والمنشأ .

ترهب في دير عرنيش وحاز اوفر قسط من السريانية واليونانية والعلوم الحكيمية . رسم مطراناً للمطية باسم يوحنا عام ١٠٩٥ . ولم يمض له اربعون يوماً حتى قتله جبرائيل اليوناني الحاكم ظلاماً وتعسفاً .

يعد ابن الصابوني من فرسان البلاغة والهزار الصادح في روضة الفصاحة ، ومن اشماره ، قصيدة طنانة نظمها على البحر الاثني عشري ذكر فيها محاسن القديس يعقوب السروجي الملقب وهي ٢٧٩ بيتاً ابداع فيها وجرى في اسلوب الشعراء المجددين فجاءت من غرر القصائد .

يوحنا ابن اندراوس ١١٥٦ + : ولد في بلدة فرزمان

في حدود رعبان وحقق آداب اللغتين السريانية والارمنية . ترهب وسيم قساً ثم مطراناً لمنبج حول سنة ١١٢٤ وشاءت الظروف ان ينقل الى طور عبيد عام ١١٥٥ حيث توفي في السنة التالية .

يعتبر من الطراز الاول من الشعراء المفلحين ، بلاغة

وسجراً وبياناً . له قصيدة سروجية الوزن مقصّدة من
فاخر الشعر في ٥٠٥ ابيات انفذها الى صديقه الراهب
ميخائيل في عكا استهلها بقوله « لسكوت وقت ولا كلام
وقت آخر » كل شطر من ابياتها يبدأ باحرف قصيدة
ثانية من البحر الخمسي اولها الى اخينا ميخائيل في فلسطين ،
وينتهي باحد احرف قصيدة ثالثة بالوزن نفسه ، عرض فيها
بنقد سياسة اكايروس زمانه نقداً لاذعاً . وله قصائد
ومداريش اخرى .

سويربوس يعقوب البرطي ١٢٤١ + : ولد في برطي

من قري الموصل . وترهب في دير مار متى . وقرأ العلم
الديني على نفسه . ورسم كاهناً . اخذ علم النحو ومبادئ
المنطق عن يوحنا ابن زعي الراهب النسطوري ثم درس
المنطق والفلسفة بالعربية على الفيلسوف كمال الدين بن يونس
الموصلي . رسم مطراناً لدير مار متى عام ١٢٣٢ وتوفي عام
١٢٤١ ودفن في ديره . وترك مؤلفات في مختلف الفروع
الدينية .

وقد اشرنا الى نشاطاته اللغوية ، التي ضمها كتابه
الديالوغ المشتمل على النحو والفصاحة والبيان والشعر واللغة .

اقام في دير مار سرجيس في الجبل القاحل وترأس فيه .
وتوفي في العقد الثاني من المئة التاسعة .

ومن تصانيفه ديوان رسائل منظومة ومنتشرة على البحور
الثلاثة . في مواضيع متنوعة المرامي ، حبية ، لغوية ،
تفسيرية ، عقدية ، تهذيبية ، اجتماعية ، زهدية .

ودبّج ايضاً قصيدة افرامية مطوّلة في الاشجار واثارها
وانواعها وخواصها ، ونحل اثنتين وعشرين قصيدة افرامية
الوزن جميلة في محبة الحكمة والمعرفة ، تشمل الاولى على
الف واحدة والثانية على باء واحدة وهكذا .

هذا وقد اشرنا الى نشاطاته اللغوية .

الربان انطون التكريتي : وقد اشرنا الى كتابه المرسوم

« معرفة الفصاحة » فهو من الشعراء ، واللغويين ، ونعت
بالفصيح وعد حامل لواء البيان عند السريان .

هو تكريتي الاصل ، تهرب في بعض اديار الشرق ،
وسيم قساً ، بعد ان اكب على اللغة السريانية فتبحر في
درس اصولها وبيانها وشعرها . ودرس اليونانية ، واولع

النظير ، « اللؤلؤ المنثور » قائمتين باسماء شعراء السريان
ينظمهم بالنسبة لتفاوتهم في الميدان الشعري (٦٢) .

تراجم

مشاهير علماء اللغة

في النحو والفصاحة والشعر

القديس مار احودامه ٥٧٥ (٦٣) + ألف كتاباً في
النحو على طريقة النحو اليوناني . وهو مفقود .

الربان سبروي : في القرن السابع . كان امثاذاً نحويّاً
لغويّاً . وقد سبق خبره .

الربان راميشوع والربان جبرائيل : وقد مرّ خبرها .
اشتهرا كاستاذين في النحو واللغة ، وتعددا كتباً شتى ضبطاً
وتصحيحاً وتشكيلاً . ويعتبر راميشوع مستنبطاً لنقط تتميز
بها حروف العلة .

(٦٢) اللؤلؤ المنثور ص ٥٢ - ٥٦ .

(٦٣) راجع السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٩٧ .

مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + : وقد سبق خبره
ونشاطاته اللغوية . وفي حقل الشعر له مداريش شائقة
شجية ترتل ليلة الجمعة العظيمة بلحن (قوم فولوس) وليلة
اثنين الآلام وايات الآلام الخاصة بهذا الاسبوع .

جرجس اسقف العرب ٧٢٥ + : وقد مرّ خبره .
له ست قصائد طويلة على البحر الاثني عشري ، في الميرون ،
سيرة مار سويريوس الانطاكي . في النساك ، في السعانيين ،
في شهداء سبسطية الاربعين . وله ايضاً موعيث افرامي
لطيف في ابراهيم الخليل وقربانه .

الانبا داود بن بولس آل ربان : ولد في قرية ساهان
في كورة نينوى من اسرة ربان اي الاستاذ . اجاد اللغة
السريانية حتى صار من اعلامها البارزين تهرب في دير
خنوشيا بالقرب من منجار ودرس اللغة اليونانية . وتمهد
في علم اللاهوت وورقي الى درجة الكهنوت . ومن خبره
انه برح ديره وتلميذه زكريا واربعين راهباً خلف شجر
بينهم واسقفهم يوحنا فخرجوا الى بعض الاديار غربي الفرات .
وبعد سنة وثمانية شهور عادوا الى ديرهم سنة ٧٨٠ . ثم

السريان القافية في اشعارهم نسجاً على منوال العرب ،
فاخذوا ينظمون القصيدة على قافية واحدة او يلتزمونها في
كل بيتين او اربعة ابيات . وفي اواخر المئة الثالثة عشرة
انبرى الغلاة منهم فطفقوا يقلدون بدائع العربية اللفظية من
جناس وطباق .

وتطرق الشعراء في هذه المرحلة ايضاً سيما بعد القرن
الحادي عشر الى ابواب جديدة ، واغراض مستحدثة ،
كالاخوانيات ، والرثاء ، والمديح ، والهجاء اموة بالعرب
ايضاً . وقد يكون العلامة ابن العبري ١٢٨٦ + ابرز
شاعر يمثل كل تلك الامور من اغراض وفنون في هذه
المرحلة .

وتميز ابن العبري عن سواه من الشعراء بان نظم قصائد
في النفس ، والى اقتران الفلسفة والتصوف بالشعر . ومثله
فعل ابن المعدني البطريرك ١٢٦٣ + .

لابن العبري قصيدة فلسفية في البحث بقول سقراط
الفيلسوف « الشريعة جميلة إلا ان الفلسفة افضل منها »
غير ان ابن العبري يخرج بنتيجة يفضل الشريعة على الفلسفة
مناقضاً قول الفيلسوف سقراط .

ونظم ابن العبري ايضاً قصائد لاهوتية على طريقة
الصوفيين فطوراً يتغزل بالكلمات الالهية كعمر بن الفارض ،
ويصفها طوراً بصورة الخمرة الطيبة ، وتارة بهيئة فتاة فريدة
الخصال والجمال كما في نشيد الانشاد .

ولا يجهد احد من المطلعين على الشعر السرياني ،
قصيدته في الحكمة الالهية التي يستهيا بقوله :

حد حد حلكم ملكا
ومرره واحصم امهه

وقد عرب البستاني قسماً يسيراً منها وهذا مطلعها :
بدت تجلو في عالمنا منهاها فنور الشمس يخجل من ضياها
ثم تناولها ، المطران بولس بهنام احد رواد الادب
السرياني في القرون العشرين ، فنقلها نظماً الى العربية
برمتها ومطلعها :

خطرت والشمس في راد الضحى تنوارى خجلاً من طهرها
غادة والحسن في اجفانها وبهاء الشمس في منظرها
وكان البطريق افرام برصوم قد اعد في كتابه المنقطع

اقسام اقتداء بالزخشي ، بحث فيها عن الاءماء والافعال
والحروف والمشارك من احوال الاءلاءة . وكان نءاة السريان
اءسمونها قبله على طرلقة الاءونات الى سبعة اقسام . كما
اقبس عن العرب اموراً اخرى كءلرة .

عنى بنشر هذا الكءاب فى بارلس سنة ١٨٧٢ الاء
مرءلن العلاءة المسءشرق الافرئسى .

واما « المءءل » فهو ارءوزة منظومة بالوزن السباعى
مقفاة ، ءبكه فى بغداد فى مءة اسبوعلن ، معلقاً علىه
شروءاً وءفاسلر مسءءءاة لم اءسع لها المءن ، نامءباً على
طرلقة ابن مالك فى الفلءه . نشره بالطبع المعلم مرءلن
المءكور . وكان قد سبقه الى طبعه الءكءور برءو فى ءوئا
سنة ١٨٤٣ ، وفسرّه الى اللاءلنلءة ، وءبئله بشروء وافاءاء
شءل .

وله كءاب ءالك ءمئه ءلاصة قواعد اللءة اسماء « الشرارة »
إلا ان الموء عاجله قبل اءامه ، وهو مفقوء .

وللبطرلرء اعناطلوس ابن وهب كءلء وضعه بانشاء
ءسن عام ١٣٠٤ وسمه بكءاب المواء مفسراً فىه ءروف

الابجدية بالسريانية ونبتة في الحروف الستة التي يقع عليه الترقيق والتفليظ .

الفصاحة : يعتبر الربان انطون التكريتي الملقب « بالفصيح » او البليغ في القرن التاسع رائد هذا الفن ، فقد وضع فيه كتاباً سماه « معرفة الفصاحة » لم يسبقه ولم يلحقه فيه احد ، خمس مقالات خص اربعاً منها للبيان وفصاحة الانشاء وطرف من فقه اللغة .

وليعقوب البرطلي ١٢٤١ + في كتابه الديالوغ بحث في البيان .

الشعر والادب : تحدثنا عن الشعر السرياني في مرحلته الاولى من تاريخ الادب السرياني ، واما وضعه في المرحلة الثانية ، فهو كالآتي :

كان الشعر في المرحلة الاولى طاغياً على جميع فروع الثقافة كما علمنا ، اما في المرحلة الثانية فقد كتب العلماء نثراً في جميع فروع الثقافة .

اما بالنسبة لفنونه ، ففي صدر المئة التاسعة ادخل

ومن اللغويين البارزين الربان سبروي في القرن السابع وولديه راميشوع وجبرائيل اللذين تعهدا كتباً شتى ضبطاً وتصحيحاً وتشكيلاً ، وقد اجمع التقليدان السرياني الارثوذكسي والشرقي على اعتبار راميشوع مستنبطاً لنقط تميز بها حروف العلة . ولداود بن فولوس رسالة وجهها الى القس حنانيشوع شرح فيها الفاظاً بحسب الابدادية ، وفي الحروف وتقسيمها ، وفي النقاط الموجودة في المصاحف المقدسة ، وفي ضبطة اللغة . وكتب ايضاً في الحروف المتبدلة التي تقبل الترقيق والتفليظ .

ومن الذين اشتغلوا في العلوم اللغوية ايضاً الراهب برحذبشبا من رهبان دير مار متى في القرن التاسع ، والقس ابدوكوس الملطي في القرن العاشر اللذان اشتغلا بضبط الكتب السريانية .

ومن الذين بزوا في هذه الصناعة العلامة مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران دير مار متى ١٢٤١ + الذي وضع كتاباً سماه « ديالوغ » وقد اشتمل جزء كبير منه على النحو والفصاحة والبيان والشعر واللغة ، ونظم فيه النحو نظاماً محكماً بالوزن الاثني عشري وسمه بالمساوقة راداً فيه على

حنين بن اسحق ويشوعيا بن ملكون مطران نساطرة نصيين ، واثبت في مقالة اللغة الفاضلاً اخاعتها السريانية اهاناً وحفظتها العربية . يقول البطريك افرام برصوم « من تأمل مقالة البرطلي في اللغة رأى ان السريانية اعطت هذا الامام المستعصم بها ، مقادتها فوسعها مبحثاً ولفظاً ، وجمع شعاعها ، وشرع اوضاعها وقيدها وايدعها ، وتصيّد شواردها . » وقد نشرت اجزاء من كتاب الديالوغ على ايدي مركس ومارتان ويوليوس روسكا والخورى اسحق ارملة .

اما الذي احرز قصب السبق ، ورفع راية هذا العلم عالياً ، هو العلامة المفريان ابن العبري ١٢٨٦ + فهو امام النحويين السريان المغاربة والمشاركة كما قال الاب لويس شيخو (٦١) لم يدع مطلباً الا استوعب شرح اصوله ، ولم يترك مبحثاً الا استوفى ذكر فصوله . وقد وضع ابن العبري في هذا الفن كتابين هما « اللمع » و « المدخل » فاللمع وهو احسن نحو سرياني خرج للناس ، واضحى دستوراً للطلبة ، عمله على مذهبي المشاركة والمغاربة وحذا مثال العرب وامتهج سبيلهم ، فقد قسم كتابه الى اربعة

(٦١) نبذة في ترجمة وتأليف ابن العبري ص ٣٢ .

نحوها اول كتاب سماه « غراماطيقي » طبقاً لليونان . لذلك
عدّ مار يعقوب الرهاوي واضع امس هذا العلم عند السريان .

كانت اللغة السريانية حتى اواخر القرن السابع تكتب
بدون تشكيل ، ثم استعمل السريان حروف العلة الثلاثة
الالف والواو والياء كحركات لضبط اللفظ . ولكن هذه
الطريقة كثيراً ما تربك القارىء ، حيث لا يميز فيما اذا كانت
هذه الحروف قد استعملت في الكلمة كحرف او كحركة .
اما التنقيط فقد استعمل قبل القرن السابع كتشكيل
لل كلمات ، ولما يعقوب الرهاوي رسالة في ذلك يوضح فيها
طريقة وضع النقط تحت الحرف او فوقه ضبطاً للمعاني وتمييزاً
بين المرادفات وما اليها مثال ذلك .

لوحف يريدون من **رجا** اراد توضع النقطة
فوق الواو ليستقيم المعنى .

و **لوجج** يفرسون من **لوجا** غرس توضع
النقطة تحت الواو ليستقيم المعنى .

و **لخاه** كفعل مستقبل للمجمع المتكلمين توضع
النقطة فوق .

و **بجاء** كفعل مستقيل للمفرد الغائب توضع
النقطة تحت .

ولا يزال السريان المغاربية يستعملون احياناً طريقة
التنقيط . وقد استنبط مار يعقوب الرهاوي علامات الحركات
اخذاً عن اليونانية لتكون اكثر وضوحاً للقارىء من مجموعة
النقط الصغيرة . ثم تطورت هذه الطريقة فوضعت الصوائت
كملاحظات صغيرة فوق الحروف او تحتها ، فيكون مار يعقوب
الرهاوي مبتكر الحركات السريانية ايضاً .

وكان مار يعقوب يحاول اصلاح الحروف السريانية
ايضاً ، ويظهر لنا من رسالة كتبها الى بولس قسيس
انطاكية انه اراد تطوير الحروف واصلاح الكتابة السريانية ،
ولكن السريان لم يكونوا على استعداد لقبول هذا التطور
في لغتهم لذلك يقول لبولس « لقد رغب كثيرون قبلي وقبلك
في هذا ولكن خشية ضياع الكتب القديمة المدونة بهذه
الحروف الناقصة هي التي اعاقتهم عن هذه الاستفادة . » وله
ايضاً رسالة الى جرجس اسقف سروج في الخط السرياني
وضبط الاملاء والالفاظ يوصي بها النساخ بالامانة في النقل
وفي غير ذلك من القواعد النحوية .

فنقول *Leshono Souryoyo* اللسان السرياني . ولا اثر
للفظة *Lagos* عندهم .

تشتمل العلوم اللسانية عند السريان على النحو ،
والفصاحة ، والشعر .

النحو : اطلق السريان على صناعة علم النحو *Touros*
Mamlo اي تقويم الكلام او الغراماطيق وهي لفظة
يونانية تعني القياس .

وكان العرب بالذات قد اطلقوا على هذا العلم مصطلحات
اشهرها ثلاثة ، العربية^(٥٧) ، الكلام^(٥٨) ، الاعراب^(٥٩) .
اما اصطلاح كلمة « نحو » فقد ظهر في القرن الثاني للهجرة .
اما كيف جاء ذلك الى العرب فهذا ليس من موضوعنا .
ما نريد ان نقوله : ان السريانية حافظت على اطلاق التسمية
الصحيحة الاصلية لهذا العلم فدعته « تقويم الكلام » كما
كان يدعى من قبل العرب .

(٥٧) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥ طبعة ليدن ١٩١٣ .

(٥٨) خبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٣ .

(٥٩) التحفة البهية والطرفة الشهبية ، الرسالة الرابعة للسيوطي ص ٤٩ .

أخذ السريان قواعد لغتهم عن طريق المشافهة من أبائهم بشكل تقليدي وبكل اجادة واحكام ، دون الاستناد الى اصول النحو او الاهتداء بضوابط وقواعد . ولبثوا كذلك حتى القرن السادس حيث ابتداء بعضهم يؤلف في هذا الفن فوضعوا اصول النحو وجمعوا المفردات وسنوا ضوابط وقواعد للغة السريانية واماليب الفصاحة والبيان والشعر وذلك اقتداءً باليونان ووقاية لها من الفساد والضياع بسبب اختلاط السريان باقوام اخرى ، واخيراً لاجل ضبط قراءة الكتاب العزيز قراءة صحيحة سليمة .

لقد عدَّ بعضهم القديس مار احودامه (٦٠) ٥٧٥ + اول مفارئة المشرق ، اقدم نحوي سرياني ، غير ان نحوه مفقود لا اثر له .

ان الذي حاز الفضل الاكبر برسمه طريق النحو السرياني هو العلامة مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + الذي اولى عناية كبرى للغة السريانية فوضع مناهجها ، ونقاها من الالفاظ الاعجمية ، وردّها الى فصاحتها ووضع في

(٦٠) راجع سيرته : السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٩٧ .

العلوم اللسانية

(اللغوية)

النحو - الفصاحة - الادب والشعر

كلمة مفيدة

قلنا العلوم اللسانية ، ذلك ان كلمة لسان ترجع الى اقدم اللغات السامية ، وهي من المعجم الاساسي المشترك في اللغات السامية . فهي في العبرية لاشون ، وفي السريانية لاشونو ، وفي العربية لسان . وتفيد في كل لغة بالمعنى المادي كجزء من الفم ، ثم المعنى المعنوي ايضاً ، فقد تحدثوا عن اللسان العربي - اللسان السرياني - اللسان العبراني . واستمر استخدام كلمة اللسان بالمعنى المعنوي قروناً طويلة . وعندما تأسست في القرن الماضي مدرسة للغات والترجمة اطلق عليها اسم « مدرسة الألسن » وكان يستخدم فيها

كلمة لسان مثلما تستخدم اليوم كلمة « لغة » وتجدده في القرآن
الكريم « بلسان عربي مبين » الفصل ١٩٤ وتجدده عند
كتاب العرب .

اما كلمة لغة فترجع الى اصل غير سامي ، انها من
الكلمة اليونانية Logos ومعناها كلمة ، كلام ، لغة . وقد
دخلت هذه الكلمة الى العربية في وقت مبكر ، فالغويون
العرب جامعو اللغة في القرن الثاني للهجرة تحدثوا عن
لغات القبائل وكثيراً ما وضعت الصيغة اللغوية التي اعتبروها
ثانوية او جانبية بانها « لغة » وقالوا مثلاً ان كلمة شهد او
كبر فيها اربع لغات تشهد ، تشهد ، شهد وكذا كبر ،
فاللغات هنا هي الصيغ او الاشكال الفرعية . ولكنهم
تحدثوا ايضاً عن اللغة بالمعنى الاصطلاحي الذي نعرفه اليوم
لكلمة كلام ، قالوا لغته فاسدة ، او لغته جيدة ، ثم تغيرت
دلالة هذه الكلمة في العربية الى ان حلت شيئاً فشيئاً محل
كلمة « لسان » (٥٦) .

اما السريانية فلا تزال تحتفظ بالصيغة السامية الاصلية

(٥٦) الدكتور محمود فهمي الحجازي - علم اللغة العربية ص ٣١٢ .

ولاهوت . ورسم شامساً . ولما عرف فضله واشتهر علمه
رقي الى درجتي الكهنوت فالاسقفية على ابرشية مرعش
وصمي ديونيسيوس وكان ذلك في عام ١١٤٨ . ومن سنة ١١٥٥
ضمت اليه ابرشية منبج . وفي السنة التالية اغار على مرعش
عصابة ارمنية نهبوا اهلها وجلوهم وفيهم الحبر المترجم الذي
لم يرعوا له حرمة بحيث دخلتهم : فتخلص الى دير كاسليود
راجلاً . والأظهر انه لزم بعد ذلك وطنه منصرفاً الى
التصنيف حتى اوائل سنة ١١٦٧ التي فيها نقل الى آمد ،
فمعي بتجديد بيعتها . وجاور ربه في العام ١١٧١ فلودع
جثمانه بيعة آمد الكبرى .

ترك مصنفات عديدة في مختلف انواع المعرفة الدينية
والبشرية . وتميز بعلم تفسير الكتاب المقدس اذ علا كعبه
في هذا الباب فانه اغنى اسفار العهدين بتفاسير مطولة جمع
فيها فواعى واجاد . اورد كل ما جادت به قرائح من تقدمه
من المفسرين . فسرَّ العهد القديم في عدة مجلدات ثم
اختصره بتفسير مطول كافٍ ، ففقد الاول وبقي الثاني
وكذلك تفسير العهد الجديد .

نشر ميدلاك وشابو نصف تفسير انجيل متى والاعمال
والرسائل الجامعة والرؤيا منقولة الى اللاتينية . وترجم العهد

الجديد الى العربية . كما نقل البطريرك افرام بروم بعض
الفصول من اسفار اشعيا الى العربية .

مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري ١٢٨٦ (٥٥) :
له كتاب مخزن الاسرار مجلد ضخيم فسر فيه اسفار العهدين
فيه يظهر طول باعه في مختلف ترجمات الكتاب المقدس
ونقوله . قال مارتان سبرنكلن الاميركي « ان ابن العبري
اكبر كاتب في تاريخ الادب السرياني باجمعه فضلاً عن
كونه اعلم رجال عصره ، وقد سخر لكتاب الله العزيز
علمه باسره في « مخزن الاسرار » وكل من اللاهوتي
والمؤرخ والباحث في علم الانسان وفي النفس ، والفيلسوف
يجد ذخراً لابحاثه في هذا المصنف الجامع الذي دمج رجل
القرن الثالث عشر النبيه » .

هذا وقد اغفلنا عن ذكر مفسرين آخرين امثال الراهب
لعازر آل قنداسا ٧٧٣ الذي فسر بعض رسائل مار بولس
الرسول . ومار جاورجي الاول بطريرك انطاكية ٧٩٠ +
الذي شرح انجيل متى في مجلدين . وغيرها .

(٥٥) راجع سيرة حياته في كتاب السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص
١٣٢ وفي هذا الجزء ايضاً .

واعترف من العلوم اللغوية السريانية والفلسفية والفلكية
واللاهوتية والتاريخ . ترهب ورسم اسقفاً لعرب بني طي
وعقيل وتنوخ فعرف باسمقف العرب عام ٦٨٦ . جعل مقر
كرسي ابرشيته في عاقولا (الكوفة) توفي عام ٧٢٥ .

مار ايوانيس اسقف دارا ٨٦٠ + فقدت تفاسيره .
ترهب في دير الزعفران بقرب ماردين - تركيا . واجاد
اللغة السريانية ، وتوفر حظه من العلوم الفلسفية واللاهوتية .
في حدود سنة ٨٢٥ رسم مطراناً لدارا . توفي عام ٨٦٠ .
وترك مؤلفات في المواضيع الدينية .

مار موسى بن كيفا ٩٠٣ + : فسّر العهدين ، وصل
الينا جزء من شرح سفر التكوين وتفاسير الاناجيل
الاربعة . ورسائل مار بولس الرسول .

هو موسى بن شمعون المعروف بابن كيفا ولد في بلدة
كحيل حوالي سنة ٨١٣ . دخل دير مار سرجيس في
الجبل القاحل بين منجار وبلد . وقرأ السريانية على رئيسه
الربان قرياقس واعترف من علوم الكتاب العزيز والفلسفة
واللاهوت . وذهبت له سمعة ادنته من مستوى العلامة

الرهاوي . رسم اسقفاً لبارمان ويث كيونا عام ٨٦٣ باسم
سويريوس وضمت اليه زماناً ابرشية الموصل . واقام نائباً
لكرسي مفرانية تكريت في اثناء فراغه مدة عشر سنوات .
وجاور ربه سنة ٩٠٣ .

مار ديونيسيوس يعقوب بن صليبي (٥٤٠) ١١٧١ :
من حسنات ملطية وابرز احبار السريان على الاطلاق ،
دفاعاً عن النصرانية ، وصيانة للعقيدة الارثوذكسية ، عالماً
كبيراً ، تميز بتفسير الكتاب المقدس ، سريانياً بحتاً ، حريصاً
على محبة بني جنسه يدب عنهم بقلبه ونفسه . قال الاملتان
ميخائيل الكبير وابن العبري « كان ابن صليبي ملغاناً منطقياً
كوكب عصره صنف كتباً وتفسير محكمة الوضع . وعمه
الاسي بفقده . نعتة الاول بالمجاهد نظير يعقوب الرهاوي ،
وعدّ الثاني تفاسيره من الكتب المفروضة دراستها على
الاكليروس .

ولد يعقوب في مدينة ملطية ، وعن اساتذتها اخذ
صنوف العلوم من لغة وادب وتفسير وتاريخ وفقه وفلسفة

(٥٤) الصحيح صليبي بسكون الصاد نسبة الى عرب الصليبي الرحل
الذين ينتجعون سهول البادية السورية شرقي حمص . ولا يمكن
ان ينسب الى عائلة صليبية مطافاً ، عندما يقول ابن الصليبي .

انجيل لوقا ، ورؤيا حزقيال النبي ، وآيات عديدة ، ومواضيع
كتابية لا حصر لها نقلت الى السريانية .

٣ - مار يوحنا بن افتونيا ٥٣٨ : فسّر سفر نشيد
الانشاد . هو راهب رهاوي فاضل توفي والده وهو لا
يزال طفلاً صغيراً ، فاحسنت امه افتونيا تربيته على التقوى
والعلم . ادخلته دير مار توما الرسول في سلوقية . ترهب
وتخرج بالعلوم الدينية والمنطقية . رسم كاهناً ، وتقلد
رئاسة ديره . خرج برهبانه هرباً من اضطهاد يسطينس
الى الجزيرة الى شاطيء نهر الفرات الايسر . فانشأ في
حدود سنة ٥٣٠ ديراً في موضع يعرف بقنسرين فسمي به .
رحل الى القسطنطينية وكان كاتباً في مؤتمر ديني عقد هناك
حلت وفاته في ديره عام ٥٣٨ م .

مار دانيال الصلحي ٥٤٢ + : كان في اول امره
رئيس دير الصالحين واليه ينسب . ثم رسم اسقفاً لقل
موزل بعيد سنة ٥٤٢ . وكان من خيرة اجبار زمانه
علماء ، ضليعاً في علم الكتاب الالهي . لا يعلم سنة وفاته .

فسّر سفر المزامير تفسيراً مسهباً ، اختصره داود
الحمصي عام ١٤٦١ . وفسّر ايضاً سفر الجامعة .

مار ماروثا التكريتي ٦٤٩ + (٥٣) : فسّر الانجيل .

مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + : وقد مرّت ترجمة حياته . فسّر الكتاب المقدس وفقاً للنص اليوناني تفسيراً معقولاً جداً كما يقول نولده كه . وقد نشر فيلبس ورايت وشروتر ونستله بعض هذه التفاسير نقلاً عما جاء في مخطوطات المتحف البريطاني . ومزج الراهب سويرا البعض الآخر من هذه التفاسير بتفاسير مار افرام وقد نشرت في طبعة مار افرام الرومانية . وقد استشهد ابن الصليبي وابن العبري بتفاسيره .

القس اندراوس الاورشليمي : كان يعيش في القرن السابع . فسّر سائر الاسفار وخاصة المزامير ناقلاً كلام الملائكة بنصه ولم يزد من عنده شيئاً . وحفظ له في خزانة لندن خطبة في دفن العذراء المباركة وانتقالها .

مار جرجس اسقف العرب ٧٢٥ + : لم يصل اليينا من تفاسيره سوى ما اقتبسه المفسرون . قرأ في دير قنسرين

(٥٣) راجع سيرة حياته كتاب السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٩٩ .

شروحاً ضافية وتفسير رائعة لكثير من مواضع الكتاب
وام احداث العهدين . ومن بزاً في هذه الحلبة الشاعران
الملفانان مار افرام السرياني ٣٧٣ + ومار يعقوب السروجي
٥٢١ + كما مرّ شرحه في خبر الحقبة الاولى من تاريخ
الادب السرياني . فان الكمية التي اقتبسها كل منها من
الآيات الكتابية والاقوال الآلهية بدرجة لا توصف . فقد
قال العلماء في مار افرام السرياني مثلاً « لو ضاعت كل مصادر
العهد الجديد لأمكن استرجاعها من الاقتباسات الواردة في
اشعاره وميامره وقصائده » وكذلك قل في مار يعقوب
السروجي الذي نظم قصيدة تقع في سبعمئة بيت يصف فيها
المركبة الآلهية التي تجلت لحزقيال النبي فقد اورد فيها ٣٩٦
آية من الكتاب .

اضف الى ذلك ، نقل تفاسير الملافنة القدامى من
اليونانية الى السريانية كالقديسين باسيليوس الكبير ، والذهبي
الفم ، وكيرلس الاسكندري ، وسويريوس الانطاكي .

اما الطريقة التي اتبعوها في التفسير فهي اما شرح
الآيات آية فآية ، واما الاختصار على الآيات التي تقتضي
التفسير كما اسلفنا . وفيهم من اعتمد طريقة المدرسة

الاسكندرية . وهناك وبمحدود سنة ٦١٦ عكف على
الاشتغال بتصحيح ترجمة العهد الجديد الفيلوكسينية كما مر
خبر ذلك . ومن اعماله عاون مار اثناسيوس الاول البطريرك
الانطاكي في عقد عهد الاتحاد مع الكنيسة القبطية ودخل
معه على هرقل في منبج سنة ٦٢٧ . ولف ليتورجية على
الابجدية ، ونقل الى السريانية ليتورجيات الاريفوفاغي
وباسيليوس والنزيني والذهبي الفهم .

اما سنة وفاته فمجهولة وعيده في ٢٦ حزيران .

الربان سبروي : كان سبروي آل ابراهيم من قرية
رمتشير ، يعيش في القرن السابع الميلادي ، وعرف استاذاً
نحويًا ولغويًا مشهوراً ، انشأ في قرية بيت شاهاق في كورة
نينوى مدرسة لتعليم اللغة السريانية الصحيحة . واشتغل في
ضبط قراءات الكتاب المقدس . وله تأليف دينية جدلية .

الربان راميشوع والربان جبرائيل : راميشوع وجبرائيل
هما ابنا الربان سبروي به تخرجا وعنه اخذا . وصارا
استاذين عضداه في مشروعه اللغوي في مدرسة بيت شاهاق
وفي دير مار متى كما مر خبر ذلك واشتغلا في ضبط متون
الاصفار المقدسة .

مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + وقد مر خبر ترجمة حياته في هذا الكتاب .

تفسير الكتاب المقدس

ترك لنا علماء السريان مجلدات ضخمة في تفسير الكتاب المقدس وشرحه ، وكشف غوامضه ، وفتح مغلق معانيه ، ويقول العلامة شابو « لو لم يعد الدهر على قسم كبير منها لكان لنا منها وحدها خزانة كاملة » .

وجاءت هذه التأليف على ثلاثة اضرب رئيسية :

١ - وضع كتب خاصة تتناول تفسير الاسفار وشرحها سفيراً اثر سفر وآية تلو آية من كل سفر كما فعل ابن الصليبي ١١٧١ + .

٢ - وضع كتب خاصة مقتصرة على احداث واقوال معينة ، وذلك كشفاً للمشكلات ، وحلاً للمعضلات كما فعل ابن العبري ١٢٨٦ + وموسى بن كيفا ٩٠٣ + في كتابه الموسوم بالفردوس . وكما فعل غيرهما في تفسير الصلاة الربية .

٣ - نظم قصائد وانشيد وميامر ضمنها واضعوها

اللغة الفارسية : انجز ذلك يوحنا ابن القس السرياني
التفليسي عام ١٢٢١ م .

اللغة الهندية (المليالم) : في العقد الاول من القرن
التاسع عشر نقله الى المليالم لغة جنوبي الهند الربان فيلبس
السرياني الملباري . وفي هذا القرن نفسه نقل الملفات
الخوري متى كوناط السرياني الملباري الى هذه اللغة العهد
الجديد برمته عدا سفر الرؤيا .

طبع الكتاب المقدس : من مآثر الكرسي الانطاكي ،
ان عني البطريرك اغناطيوس عبدالله اسطيفان ١٥٢٠ -
١٥٥٧ بطبع اسفار العهد الجديد لأول مرة بالسريانية في
فيينا عام ١٥٥٥ . وسنتحدث عن هذا في الجزء الرابع
من كتابنا « السريان ايمان وحضارة » .

تراجيم
حياة علماء الكتاب المقدس
(النقلة ، والمنقحون)

مار بولس مطران تلا ٦١٧ : رسم مطراناً لتلا بين
سنة ٦١٠ - ٦١٥ ومن اخباره ، شارك اثناسيوس الاول

البطريك الانطاكي في عقد المصالحة مع الكنيسة الاسكندرية
وامضى المنشور العام سنة ٦١٦ ومن اهم اعماله ترجمة
التوراة السبعينية الى السريانية كما سبق . نسب اليه ايضاً
نقل « خبر الزانية » وهو ١١ آية من الاصحاح الثامن
من انجيل يوحنا يتقدمه آية ٥٣ من الاصحاح السابع وقف
عليه في نسخة الاسكندرية . وعمل بولس ترجمة جديدة
لطقس العماد تأليف مار سويريوس ، والف هو ايضاً طقساً
خاصاً به . وحساية للقداس .

والارجح انه قضى بقية عمره في مصر . وتميز بالصلاح
وعيدت له البيعة في ١٥ شباط .

مار قوما الحرقلي ٦٢٧ ؟ : ينسب الى حرقل قرية
بفلسطين ، تلقى العلم في دير قنشرين . وترهب في دير
ترجيل ، ورسم مطراناً لمنبج في المقد الاخير من المئة
السادسة . ونظراً لتمسكه الشديد بالايان المسيحي المستقيم
اضطهده دومطيان امقف ملطية الملكي بسلطة نسيه الملك
موريقي سنة ٥٩٩ فلجأ الى مصر ثم عاد الى ابرشيته .
وفي اثناء محاربة الفرس لبلاد الشام وفلسطين رحل ثانية
الى مصر واقام في دير واقع عند « انطون » القريب من

لفروق النقول اليونانية والسريانية او ايضاحاً للفظ الكلمات
المضبوط ، ولم تصل الينا نسخة هذه الترجمة المنقحة
بتمامها . كما وضع هذا العلامة ايضاً كتاب ضوابط الفاظ
اسفار المهدين دوّن فيه متون الآيات التي تسقلم ضبط
اعلام الاشخاص والمدن والقرى وغريب اللغة ، فضبطها
بالشكل الكامل والحقها بضوابط مصنفات ائمة النصرانية
الاعلام الاقدمين باميليموس والتزينزي والنوسي والذهبي
والانطاكي .

وفسج على منوال الرهاوي علماء لغويون من رهبان
دير قرقفتا على نهر الخابور ، وحصل من اشتغالهم اللغوي
تقليد عرف بالتقليد القرقفي . ومن اشهر هؤلاء الرهبان
الاعلام ، الراهب طوبانا والراهب سابا في القرن الثامن .

واهتم ايضاً علماء ملطية في القرن الثاني عشر منهم
الراهب ميخائيل من رهبان دير مار برصوم ، واللغوي
الكبير المطران يوحنا داود الآمدي والقس صليبا ابن
فريكادا بممارسة كتاب ضوابط قراءات الكتاب المقدس
وكتب ملافة البيعة .

ثانياً : الى العربية : ذكر مؤرخ السريان الثقات ،

ان علماء العرب الارثوذكسيين من قبائل طي وتنوخ وعاقولا ترجموا الانجيل المقدس الى اللغة العربية الفصحى في حدود سنة ٦٤٣ م . وذلك بمساعي البطريرك يوحنا الثالث الانطاكي المعروف بابي السدرات ، واجابة الى رغبة عمير بن سعد ابن ابي وقاص الانصاري امير الجزيرة .

لا شك ان هذه الترجمة هي اقدم ترجمة عربية معروفة لدينا ، ولكنها مفقودة .

وفي خزانة دير مار متى بالموصل نسخة فريدة نفيسة من الانجيل المقدس مخطوطة بالسريانية وبالخط الفربي ، ومنقولة الى العربية وبالخط العربي ، انجزت نساختها عام ١١٧٧ م .

ثالثاً : الى لغات اخرى : لقد اهتم علماء السريان الى

نقل اسفار العهدين الى لغات اخرى منها :

اللغة الآرمنية : في عام ٤٥٤م تعاون الملافان دانيال السرياني والاستاذ مسروب الارمني على نقل الانجيل الى الارمنية .

وعدا ذلك ، فقد روى القديس مار يعقوب الرهاوي
٧٠٨ + ان ابجر الخامس ملك الرها ت ٥٠ م بعدما
آمن بالسيد المسيح على يدي ادى البشير الذي اوفده الى
تلك العاصمة توما الرسول ، عقد النية على نقل العهد القديم
والجديد الى لغته السريانية ناهجاً في ذلك نهج بطلمائوس الذي
سمى في نقل الكتاب الكريم الى اللغة اليونانية . فوفد
من الرها الى فلسطين عدة كتبة تفرغوا لترجمة الكتاب
وعادوا بها اليه . وجرى استعمالها في كنائس السريان في
بلاد ما بين النهرين وسورية وغيرها . وهذه الترجمة
السريانية الاولى سابقة للترجمة المعروفة بالسيطة . التي
سبق الكلام عنها .

واشتهرت في الكنائس السريانية منذ القرن الثاني ترجمة
الانجيل الاربعة التي سكبها ططيانس الآثوري بعضها .
ونظم منها انجيلاً واحداً سماه بلفظ يوناني دياطسرون اي
جمع من الانجيل الاربعة . وهذا كتاب ططيانس شاع
وذاع خصوصاً في كنائس الرها الى عهد رابولا اسقفها
الشهير ٤٣٥ + حيث الغاه .

غير ان الترجمة الرهاوية ، والدياطسرون ، مفقودة .

وبعد ان ضبط علماء السريان ترجمات الكتاب العزيز
السريانية اعتنوا بضبط قراءاته فوضعوا لها اصولاً ثابتة ،
واصطلح اللغويون على تسمية تلك الضوابط « تقليداً » .

لَهُمْ مَكْتَابٌ وَهُمْ يُقْرَأُونَ فِيهِ
وَهُمْ يُكَلِّمُونَ فِيهَا الْمَلَائِكَةَ
وَهُمْ يُكَلِّمُونَ فِيهَا الْمَلَائِكَةَ
وَهُمْ يُكَلِّمُونَ فِيهَا الْمَلَائِكَةَ

مع منه ص . ا . معاً

ففي صدر القرن الخامس اخذت مدرسة الرها في
احكام ضوابط الاسفار القدسية بترقيم الحركات والنقاط فوق
الكلمات وطبع على غرار ذلك اساتذة مدرسة نصيبين .
واساتذة مدرسة دير مار متى سبروي وولداه الربان راميشوع
والربان جبرائيل ، وفي العام ٧٠٥ اعاد النظر العلامة مار
يعقوب الرهاوي في ضبط متون التوراة وهو امام العلماء
السريانيين في هذا العز . فقد قام بتصحيح الترجمة البسيطة
للعهد القديم وهو اول اعمال ضبط الكتاب المقدس القانوني
عند السريان ، فانه قسم الاسفار فصولاً وصدراً كلاً منها
بمضمون وجيز معلقاً على الهوامش حواشٍ شتى ، بياناً

العبراني بعناية جماعة من اليهود المتنصرين ، وهي اقدم كتاب عند اسريان بعد تنصرهم .

عرفت هذه الترجمة في اول الامر بـ « صورة الكتاب » ثم « بالبسيطة » وذلك بعد القرن الثامن الميلادي . وسميت كذلك لترك البلاغة جانباً في نقلها .

ولهذه الترجمة قيمة ادبية لغوية لا بل هي اعظم اثر آرامي لغوياً وحضارياً ، ذلك انها كتبت بلهجة ما بين النهرين العليا والتي كانت تدعى باللهجة السريانية الرهاوية كما مرّ معنا . الامر الذي يفيدنا ان هذه اللهجة الرهاوية السريانية استأثرت بالسيادة المطلقة على بلاد آرام ، وانضوت تحت لوائها اللهجات الآرامية طراً . وتكونت منها لغة آرامية واحدة ، وصارت وريثة اللغة الآرامية بشكل عام ممثلة سائر اللهجات الآرامية القدمى ، وتعتبر الوجه الصحيح والاخير للغة الآرامية .

والترجمة السريانية الثانية للعهد القديم هي السبعينية ترجمتها من الاصل اليوناني مار بولس مطران تل موزلت سنة ٦١٥ - ٦١٧ بامر مار اثناسيوس الاول بطريرك

انطاكية^(٤٨) بحسب هكسبلا اورمجانس اي الترجمة اليونانية
المسدسة النقول . وضم الى المتن بدقة تامة سائر الاضافات
والفروق بعلامات بشكل نجوم وغيرها وما اضيف اليها في
الهوامش مما يتعلق بنصوص يونانية غير السبعينية . واصبحت
هذه الترجمة عماد العلماء في تفسير الاسفار الالهية .

وللعهد الجديد ثلاث ترجمات : البسيطة وتمت في سلخ
القرن الاول او صدر المئة الثانية . والفيلوكسينية ترجمها
من اليونانية ترجمة حرفية الخوري بوليقربوس^(٤٩) خورافسقف
ابرشية منبج عام ٥٠٥ او ٥٠٨ ، بطلب ومناظرة مار
فيلكسينوس مطران منبج^(٥٠) لذلك اطلق اسمه عليها .
وقد ضاعت ما عدا نتف قليلة . والحرقلية انجزها مار
توما الحرقلي مطران منبج عام ٦١٦ وقد جاءت تصحيحاً
وتهذيباً للترجمة الفيلوكسينية البوليقربية ، وعرفت ترجمته
بالحرقلية . وقد اجمع العلماء على جودتها وغلبت سائر
الترجمات ، واستعملت في طقس الكنيسة .

-
- (٤٨) راجع سيرة حياته : السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٨٦ .
(٤٩) من مهرة النقلة ذاع صيته سنة ٥٠٠ - ٥٠٨ .
(٥٠) راجع سيرته في كتاب السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ٤٨ .

فروع

الثقافة السريانية

في المرحلة الثانية

المصادر

- ١ - اغناطيوس افرام الاول برصوم - اللؤلؤ المنشور
- ٢ - مجلة مجمع اللغة السريانية - بغداد
- ٣ - مشاهير السريان في العلوم - الارخدياقون نعمة الله دنو
- ٤ - تاريخ الكنيسة الانطاكية مج ٢ : اغناطيوس يعقوب الثالث
- ٥ - اللغات الآرامية وآدابها للعلامة شابو
- ٦ - المجلة البطريركية في القدس
- ٧ - مصادر متنوعة

ملاحظة: اعتمدنا بالدرجة الاولى على كتاب اللؤلؤ المنشور،
وعالماً ما نلخصنا تراجم بعض العلماء عنه، او اوردناها
بالحرف الواحد.

الكتاب المقدس

تناول آباء الكنيسة السريانية الاعلام اسفار الكتاب المقدس عبادة وتأملًا ، ودراسة ، وترجمة ، وشرحاً ، وتفسيراً ، فاغنوا بذلك خزائن الشرق والغرب بما خلفوه من مجلدات ضخمة في هذه المواضيع . وكنا قد كتبنا في ذلك كله شرحاً وافياً في كتاب خاص دعونا به الكتاب المقدس في كنيسة انطاكية السريانية « طبع في حلب عام ١٩٨٢ ضمن سلسلة الدرامات السريانية التي يصدرها نيافة مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم مطران حلب ، ويحمل رقم (٩) من السلسلة المذكورة .

لذلك نكتفي الآن بايجاز الشرح عن هذه المواضيع .
فنقول : الترجمات .

اولا : الى السريانية للعهد العديم ترجمات ، الاولى
انجزت في اواخر القرن الاول للميلاد ، منقولة عن الاصل

في القراءات الكنسية مع وجود الترجمة السريانية المشهورة
بقدمها وسموها والمعروفة بالبيسطة . وقد فضل ابن العبري
الترجمة من اليونانية على البيسطة .

٣ - اعتاد بعض احوار الكنيسة سيثما في القرون
الاولى ان يتخذوا اعلاماً يونانية حين ارتقائهم الى احد
الكراسي الاسقفية امثال ثاوفيلس ، اوسطاثوس ، ملاطيوس
بطاركة انطاكية . وكذلك الاساقفة .

٤ - لما كانت اليونانية متغلبة في بعض الكنائس
السريانية كانطاكية مثلاً ، فقد استخدمت اللغة اليونانية
كلغة طقسية لها . وقد صنفت لهذه الكنائس اموراً طقسية
مثلاً فعل مار سويريوس الانطاكي الذي وضع اناشيده
المعروفة بالمعانيث والتي ترجمت بعدئذ الى السريانية ودخلت
الطقس السرياني .

٥ - تعود احوار السريان منذ القرن التاسع ان
يصدروا اسمهم الخاص بلقب احد ملافنة البيعة اليونانيين
سموه « لقباً ابوياً » مثل مار سويريوس موسي بن كيفا
مطران الموصل ٩٠٣ + . مار ديونيسيوس يعقوب ابن
الصليبي ١١٧١ + مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم مطران

حلب . مار سويريوس اسحق ساكا النائب البطريكي
العام . ويا جدا لو تبطل هذه المادة ويدعى كل
بِسْمِهِ الْخَاص .

٦ - اريخ السريان الاحداث التاريخية في مؤلفاتهم
بحسب التاريخ اليوناني الذي يبتدىء عام ٣١٢ ق . م وظل
معمولاً به حتى القرن الرابع عشر الى جانب التاريخ
المسيحي . وعام ٣١٢ يعتبر ميلاد الدولة السورية وبدأ
التاريخ السلوقي فيها .

٧ - بعد القرن الخامس دخل الطقس السرياني ثلاث

عبارات يونانية وهي قوريليسون **هه ملكه ص**

يا رب ارحم **هه وملكهم** انقش حسناً

هه هاه فزه ص ص ص لنصع بحكمة

الله . كما ادخل كثير من القوانين والانشيد المعروفة
باليونانية الى الطقس السرياني ايضاً منقولة الى السريانية .

ولم يقف السريان عند اتقان اللغة اليونانية فحسب ، بل وقفوا على الادب الهليني نحواً وعلماً وفلسفة كما سيأتي شرحه في الحديث عن فروع الثقافة السريانية . وبدلوا كل ما في وسعهم لنقل التراث اليوناني الى السريانية .

ان كتبة السريان زاحموا كتبة اليونان الشرقيين وساجلوه ونقلوا تصانيفهم كدسقالية الرسل ، وقوانين الجامع قال قليمس يوسف داود « استخرج السريان اشرف الكتب اليونانية القديمة الى اللغة السريانية حتى ان غير قليل من هذه الكتب قد فقد في اصله اليوناني وبقي محفوظاً الى اليوم في اللغة السريانية » .

ومن بين الآباء الذين كتبوا باليونانية بعد القرن الخامس . مارا مطران آمد ٥٢٩ + سويريوس البطريرك الانطاكي ٥٣٨ + يوحنا بن افثونيا ٥٣٨ + زكريا الفصييح ٥٣٦ يوحنا الثاني رئيس دير قنسرين ٥٤٤ بطرس الثالث الرقي البطريرك ٥٩١ + وروفيانا التاجر بالفضة في القرن السادس . ومار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + وغيرهم .

اما اسماء انقلة من اليونانية الى السريانية فسوف نذكرهم في الحديث عن الفلسفة السريانية .

الطابع اليوناني في حياة الكنيسة السريانية : حيث ان
الكنيسة السريانية كان يهملها امر العقيدة لا العنصرية لذلك
ترى طابعاً يونانياً بطني على مرافق حياتها اضافة الى الحياة
الفكرية والعلمية التي تقدم شرحها . من ذلك :

١ - دخل العنصر اليوناني ليختلط مع العنصر السرياني
فان بعض بطاركة انطاكية في القرون الاولى وبعدها من
الاساقفة الذين ولوا كرسي اورشليم وسائر فلسطين من بعد
عام ١١٧ وفترة طويلة كانوا يونانيين جنساً و لغة . وفي
رسالة سريانية كتبت نحو سنة ٥٧٠ م في امر الايمان
امضاها ١٢٤ مئة واربعة وعشرون رئيس دير في سورية
الجنوبية مع ذكر اسمائهم جميعاً ، منهم ثمانية عشر رئيس
كتبوا اسماءهم باليونانية . ومما هو جدير بالذكر انه لم يخلص
على الكرسي الانطاكي بطريرك يوناني بعد مار سويريوس
الانطاكي ٥٣٨ + بخلاف القرون الاولى اذ ترى عدة
بطاركة من جنس يوناني في سلسلة بطاركة انطاكية .

٢ - استخرج علماء الميرين الكتاب المقدس كله من اللغة
اليونانية الى السريانية ترجمة جديدة . وصاروا يستعملون
العهد الجديد ، وجزءاً من العهد القديم من هذه الترجمة

آراء فلاسفة اليونان في امور كثيرة^(٤٥) وكذلك مصنفات
مار ثاوفيلس الانطاكي البطريك ١٨٢ + باليونانية ذكر
اساطير هرقليس واسكولايبوس وجيال ايدا التي كانت يوماً
مكتظة بالآلهة والالاهات شارحاً التناقض ما بين مبادئ
الفلاسفة والشعراء اليونان ، مزدرياً آراء فلاسفة اليونان
امثال افلاطون في الاشتراكية ، وايقورس في اطراء الفجور
وغير ذلك^(٤٦) .

وكان اغلب الاساقفة الوطنيين متضلعين في اللغة اليونانية
علاوة على لغتهم السريانية وقد عكفوا على اقتباسها منذ
القرن الرابع الميلادي^(٤٧) عكوفهم على اقتباس لغتهم السريانية
الوطنية . قال السيد يوسف داود « ان اليعاقبة في سورية
ممشهورون بمجهم للغة اليونانية كما هو شأن محبي العلوم

(٤٥) دائرة المعارف البريطانية بالانكليزية طبعة ٩ مج ٢٣ ص ٨١ نقلاً
عن المباحث الجلية لاغناطيوس يعقوب الثالث ص ٩ .

(٤٦) المباحث الجلية ص ١٠ نقلاً عن بطريكية انطاكية للدكتور نيل
بالانكليزية ص ٢٥ - ٢٩ .

(٤٧) غويدي - محاضراته في مصر ٣٢ : ٨٢ .

في كل مكان . وقد ادخلوا من هذه اللغة الفاظاً كثيرة في لغتهم الكتابية (٤٨) .

وفي القرن الخامس ادخلت مدرسة الرها السريانية على منهاجها السرياني تعلم اللغة اليونانية والفلسفة المشائية حتى سميت « ائينا سورية » وفي اوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنشرين على الفرات بتعلم فلسفة اليونان باللغة اليونانية . وليس في الرها وقنشرين فقط بل كان السريان يدرسونها ويدرسونها في معاهدهم العاصرة في انطاكية وبيروت وطرابلس ، ودمشق ، ونصيبين ، والمدائن ، وراس العين ، وطورعبدین ، وفي الاديرة الزاهرة دير تلعدا ، ودير بسوس ، ودير زغبة وغيرها . وكان فريق منهم يقصد الاسكندرية جاً لاتقان اللغة اليونانية .

ويطول المجال لو تحريتنا استقصاء اسماء الذين تخرجوا باللغة اليونانية امثال يعقوب الرهاوي الذي تولى تدريس اللغة اليونانية احدى عشرة سنة في دير اوسيونا قرب انطاكية ، الذي كان كثير الاطلاع على معارف اليونان ، وهو اكبر مؤلف في اللغة السريانية تأثر بمؤثرات الادب اليوناني .

(٤٨) الفصاري ص ١٠ .

على ان الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا باليونانية
ما كتبوا إلا للقراء والعلماء . اما العامة وهي الاغلبية
الساحقة فكانوا يبلغونهم الكرازة والتعاليم المسيحية باللغة
الوطنية اعني الآرامية السريانية .

ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير الذي عاش في
القرن الاول للمسيح صنف تواريخه في بادىء الامر بالسريانية
التي كانت اللغة المحكية ومن ثم نقلها الى اليونانية لافادة
الغرباء وقد قال في هذا الصدد ان ما دعاني ان اكتب
باليونانية ارضاء للشعوب الخاضعة للمملكة الرومانية ما كتبه
بلغتي الطبيعية (السريانية) حتى يطلع عليه باقي الامم .
ومع انه كان كثير الاختلاط بعظماء الرومان واليونان نراه
يتمرم ويشكو من تعلم اللغة اليونانية ويعترف بانه لم يتعلمها
إلا بتعب زائد ، وان لم يكن يحسن تلفظها .

كذلك ان كثيرين من العلماء والبطاركة والاساقفة
السريانيين صنفوا باليونانية مؤلفات نفيسة كالبطريركين مار
اغناطيوس النوراتي ١٠٧ + ومار ثاوفيلس الانطاكي ١٨٢ +
والذهبي الفم ٤٠٧ + اصف الى ذلك كله ان مدرسة
انطاكية اللاهوتية الشهيرة نفسها كانت يونانية وقد اشتهر

مؤسسها مار لوقيانس السميساطي عام ٢٩٠ م .

لا شك ان هذه الحركة سببت جمود الادب السرياني ،
وركود الثقافة الآرامية في هذه الفترة كما علمنا سابقاً .

لا شك ان كثيرين كتبوا باللغة السريانية ايضاً وقد
اشرنا الى ذلك في الحديث عن الثقافة السريانية في المرحلة
الاولى ، ويظهر ان الفكر اليوناني اثر في الادب السرياني
ايضاً ، فان مارا بن سرافيون الذي بعث برسالة سريانية
الى ابنه في منتصف القرن الثاني الميلادي تم عن مبادئ
الفلسفة الرواقية^(٤٣) وفيها يتحدث عن ازدهار بوليكر بوس ،
وشجاعة آخيل ، وفن ارخميدس ، وحكمة سقراط ،
وحرق فيثاغورس في ساموس^(٤٤) ونجد ايضاً ططيانس
الفيلسوف الآثوري الذي درس كتب فلاسفة اليونان ، ورحل
الى بلاد اليونان عام ١٥٢ وكتب باليونانية موجهاً كتاباته
الى اليونان الوثنيين ذاكراً مشاهيرهم القدماء . مستنكراً

(٤٣) الأوّل المنشور ص ١٥٤ .

(٤٤) خليل الجر وحنّا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية مج ٢ ص ٦

قائلاً « إلا ان اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد دون ان تشيع في عامتها » .

مهما يكن من الامر فان ابناء الكنيسة في سورية الذين هم سريان جنساً ولغة احتكوا باليونان منذ فجر المسيحية ونجم عن هذا الاحتكاك الامور التالية :

اولاً : الطابع اليوناني في حياة الفكر السرياني :

وتشمل الكتابة في اللغة اليونانية وتأثير الفكر اليوناني في الكتابات السريانية .

ان السريان ولئن كانت لغتهم السريانية ، ولكن لوجود الغرباء من اليونان في بلادهم ، ولوجود بعض اليهود الذين اتوا من آسيا الصغرى وكانت لغتهم اليونانية ، ولان اللغة اليونانية كانت لغة الادب والعلم كما سبق ، ونظراً لذلك كله فقد كان طبيعياً ان يكتب علماء السريانية بهذه اللغة فضلاً عن لغتهم . وهذا ما حمل الكتبة الاولون وفي مقدمتهم الرسل ان يكتبوا باليونانية اسفار الاناجيل والرسائل ورسائل مصنفاتهم كبولس الرسول ، ولوقا الانجيلي الطيب ،

الانطاكي النحلة . وقد عمد كتاب العهد الجديد بالاضافة الى كتاباتهم باللغة اليونانية ان ينقلوا اسماء بعض الاشخاص من السريانية الى اليونانية نحو فيلبس ، نيقوديموس ، نقافور ، اسطيقيانس ، اندراوس . فاندراوس مثلاً اخو بطرس الرسول هو لفظة يونانية ولكن مسماه كان بالتأكيد غير يوناني . فكان اسمه عبرانياً او سريانياً فترجمه كاتب الانجيل الى اليونانية . والبرهان على ذلك واضح لا ريب فيه . وهو ان اندراوس كان اخا شمعون الصفا ، ونحن نعلم ان ابا شمعون الصفا لم يكن يونانياً لان اسمه كان سريانياً وهو يونا

هذا اي حماسة (٤٢) . وبطرس بالذات سمي كيفاً بالسريانية اي الصخرة . كما ادخل الكتبة ايضاً اسماء لاتينية مثل بولس ونيجر تمشياً مع الحكم الروماني القائم انذاك . ولهذا السبب ايضاً لما رفع بيلاطس والي اليهودية لوحاً مكتوباً على صليب يسوع ، كتبه بثلاث لغات ، السريانية اللغة الوطنية لاهل اورشليم ، واليونانية ليقرأها الغرباء ، واللاتينية التي كانت لغة الحكم في زمان المسيح .

(٤٢) مت ١٦ : ١٧ .

كانت تدمر تستعمل اللغة الآرامية الى جانب اللغة اليونانية كلغة رسمية . واعطي بعض الملوك السلوقيين المتأخرين القاباً آرامية فعرف اسكندر الاول ١٥٠ - ١٤٦ بلقب بالاس ، واسكندر الثاني ١٢٨ - ١٢٢ بلقب زايناس ، ونجحت الحضارة الوطنية في سورية الآرامية وفلسطين اليهودية باكثر من المحافظة على مكاترها بوجه عام فاعطت اكثر ممّا اخذت وكما كانت اللغة اليونانية حتى القرن السابع الميلادي لغة الولاة والتجار فقط ، اوضحت بنفس الوقت لغة الرؤساء البيعيين وفريق من المؤلفين المسيحيين . اما اللغة المحكية الدارجة في الحياة البيئية واليومية فكانت ولا شك السريانية ومثلها مثل الانكليزية والافرنسية يوم كانت بلادنا خاضعة لانتداب فرنسا وانكلترا . فكما ان العلوم اللاهوتية والفلسفية والطبية والقانونية التي تدرس في تينك اللغتين في هذه المدارس التي يتكلم بها الحكام لا تدر على ان الطلاب والمتكلمين بهما فرنسيون او انكليز ، وهكذا قل في طلاب اليونانية في سالف الاحقاب . فالآباء الكنسيون السريان يون اتخذوا لغة اليونان للعلم فقط ، اما هم فكانوا سرياناً ، والعامّة كانت تتحدث بالسريانية .

لقد اثبتت مؤلفة كتاب « حج الاراضي المقدسة » ان
في فلسطين في القرن الرابع الميلادي كان قوم يحسنون
اليونانية والسريانية ، وقوم يحسنون اليونانية فقط ، وقوم
يحسنون السريانية فقط (٤٠) فالذين كانوا يحسنون اليونانية
والسريانية هم طبقة العلماء والمؤلفين ، وربما سكان المدن
القديمة التي اعيد تأميمها ايضاً (٤١) والذين كانوا يحسنون
اليونانية فقط هم اليونانيون القاطنون هذه البلاد . والذين
يحسنون السريانية فقط هم عامة الشعب عند السريان .

قال الاب لامنس اليسوعي « ومن عجيب الامور ان
انتشار لغة الآراميين بلغ على عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاضحت
اللغة السائدة في كل آسيا السامية اعني في سورية وما بين
النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب » واردف

(٤٠) مجلة المشرق - بيروت مجلد ٤ سنة ١٩٠١ ص ٨٥ - ١

(٤١) اثار لبنان مج ٢ ص ٩٥ نقلاً عن المجلة الاسيوية الالمانية

ZOMG - 1885 p. 333

فيه ايضاً ص ٩٥ نقلاً عن مقالة الدكتور شندا عن الآراميين

Sauda : Die Aramacer , 4 , 23

سورية فيما سوى الحكام والموظفين كان قليلاً لا يعبأ به
واكثرهم من التجار والسياح ورجال العلم . وكان هؤلاء
يقيمون في الفالب في المدن والسواحل . وكانت اللغة
اللاتينية في اوائل العهد الروماني اللغة الرسمية ، اما لغة
الاهلين اليومية لغة البيت والسوق فكانت اللغة الآرامية .

بعد ان انقسمت الامبراطورية الرومانية شطرين سنة
٣٩٥ م شطراً غربياً عاصمته روما ، وشطراً شرقياً عاصمته
بيزنطية (القسطنطينية) تبعت سورية الامبراطورية الشرقية ،
وهذه الامبراطورية اتخذت بتهادي الاعوام اللغة اليونانية لغة
لها وهي التي اطلق عليها كتاب العرب اسم « اللغة الرومية »
كما انهم سموها الامبراطور البيزنطي ملك الروم ، وآسيا
الصفرى بلاد الروم .

ومما يؤكد عدم توفر الرومان في البلاد بصيغة مستعمرين
هو قلة وجود اسماء ضياع ومدن يمكن ارجاعها الى اصل
لاتيني . ومن هذه المدن « قيصرية » المنسوبة الى القيصر ،
وطبرية الى الامبراطور طياريوس (٣٨) . وحتى الميراث اللغوي

(٣٨) سورية والسوريون من ٢٢ - ٢٣ فيليب حتي .

الذي تركته اللغة اللاتينية في لغة ابناء سورية -و قليل جداً تعد كلماته على الاصابع مثل دينار، قنصل، بعكس الكلمات اليونانية فهي كثيرة جداً .

ظلت اللغة اليونانية سائدة حتى ملك العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي حيث خمدت ، واضمحل العنصر اليوناني ، وانحطت اللغة اليونانية في القرن التاسع . فالذي كان يرغب فيها كان عليه ان يشخص الى بلاد الروم ويحكمها على اصحابها كما فعل حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا من تراجمة السريان البارزين ، ثم انمحت اليونانية من الوجود في القرن الحادي عشر .

والآن لنأتي الى بيت القصيد . ماذا كان وضع السريانية تجاه الاحتلال اليوناني ادباً وفلسفة ولغة ؟

نقول بالرغم من ذلك كله لبثت اللغة الآرامية السريانية خلال تلك الفترة لغة الشعب الدارجة الذي بقي في صحيمه سامياً في طرق مميشته^(٣٩) وحتى القرن الثالث الميلادي

(٣٩) فيليب حتي : تاريخ سورية ص ٢٨١ .

وتدمر (يهير) وعكا (بتولمايس) وعمان (فيلادلفيا)
وحماه (ايفانية) وحلب (يرويا) وعنجر (خالكيس)
والرصافة (مرجيوبوليس) ومنبج (ايروفليس) والرها
(اوديسا) والرقه (قلينيقوس) ورأس العين (ثاودوسيوبوليس)
وميافرقين (موتوروبوليس) الخ .

٥ - تغيير الاسماء في كافة المرافق : اوجد اليونان
تعادلاً بين الآلهة المحلية والآلهة اليونانية واعادوا تسميتها ،
فاصبح مثلاً بعل يسمى زفس .

٦ - الهجرة : فتح قادة اليونان باب الهجرة على مصراعيه
فتدفق على سورية وفلسطين وشرق الاردن سيل عظيم من
اليونانيين ، متفقيين باصناف العلوم . وفوض الى هذه الجالية
ان تدرس اللغة وتذيعها خصوصاً في انطاكية وبيروت
ودمشق والرها ما بين الطبقة الراقية . وقد افرغ اليونان
همة في ترويج لغتهم بشتى الوسائل .

وقد نشأ من هذا كله الامور التالية :

آ - نشوء حضارة مركبة من الثقافتين اليونانية
والسامية سميت بالهلنستية لتمييزها عن الحضارة الهلينية او

اليونانية الصرفة . وتغلب الروح اليونانية ادباً وفلسفة
وعادات وتقاليد .

ب - ظهور بعض مشاهير الكتاب في اللغة اليونانية
من القرنين الاخيرين قبل الميلاد من المواطنين المحليين امثال
زينون الصيداوي مؤسس المدرسة الرواقية في الفلسفة ،
وديدورس الصوري الذي ترأس مدرسة فلسفية في اثينا ،
وانطيوخس المسفلاني الفيلسوف .

ج - فرضت اللغة اليونانية على الشرق كله لغة رسمية
ولغة للادب والاجتماع : وبوجه الاجمال ، فان شمالي سورية
خاصة اصبح « مكدونيا جديدة » حيث شمر المنصر اليوناني
المحتل وكأنه في وطنه .

بقيت الثقافة الهلنستية والروح اليونانية ، مستمرة وفي
عنقوانها حتى بعد انهيار المملكة اليونانية ، وحتى ان
الرومان الذين تمكنوا من الحد من نشاط اليونان العسكري
لكنهم لم يستطيعوا ان يقيدوا نشاطهم كبشرين بالهلينية .

حكم الرومان البلاد السورية من عام ٦٤ ق . م وحتى
الفتح العربي ٦٣٤ - ٦٤٠ م وان عدد النازحين منهم الى

أثر اليونانية في الثقافة السريانية

المقدمة : تسمى الفترة الزمنية الطويلة ما بين ٣٣٣ ق . م وحتى ٦٣٠ م عصر اليونان الروماني في تاريخ سورية .

ان اسكندر الكبير لما غزا بلاد الشرق في عام ٣١٢ ق . م وجهه كل عنايته لمزج الشرق بالغرب ، ونشر الروح اليونانية في هذه الاصقاع ، وبذل كل ما في وسعه لازالة الحواجز بين هذا وذاك عن طريق الاخذ والمطاء هذا من ذاك ، وذاك من الآخر . وقد سلك خلفاؤه سبلاً متعددة لتحقيق هذه الاماني ، وبلوغ هذه المآرب منها :

١ - الزواج : حاول الاسكندر ان يوصل اوربا بآسيا ليس بالجسور الخشبية والروابط الجامدة بل بروابط الحب الشريف والزواج الطاهر . لقد اعطى الاسكندر نفسه مثلاً عن مزج الدم اليوناني والاسيوي بزواجه من

الاميرة روكسانا ابنة داريوس ملك الفرس واثنين غيرها
من الاسرة الملكية الفارسية في سوزا . وشوق قواده
ورجاله وجنوده على الاقتران بالشرقيات .

٢ - العادات والتقاليد : اتخذ الاسكندر بعض عادات

الشرقيين من ذلك كان يرتدي في بعض المناسبات الرسمية
اللباس الشرقي .

٣ - تأسيس مدن جديدة : اسس اليونان مدناً يونانية

في نقاط استراتيجية جعلت منبأاً للثقافة اليونانية واللغة
اليونانية . فان سلوقس خليفة الاسكندر في سورية شيّد
ما لا يقل عن ست عشرة مدينة تحمل اسم والده
« انطاكية » وتسع مدن تحمل اسمه ، وخمسة تحمل اسم
امه لاوديسا ، وثلاثاً باسم زوجته ، اما سلوقية فسميت
باسمه . وكان اهل انطاكية غالباً من اليونانيين او بتكلموني
اللغة اليونانية .

٤ - المدن القديمة تحمل اسماء هلنسية : اطلق اليونان

على بعض المدن في سورية وبلاد الشام اسماء يونانية فسموا
بملك (هليوبوليس) وبيروت (دربي) وجبيل (بيلوس)

عيني^{٣٥} فانفتحتا ، و ابصرت قليلاً^{٣٥} وترى عند ابن سينا ما يشبه هذا ، فقد قال « كلما كنت اتحير في مسألة ولم اكن اظفر بالحد الاوسط في قياس ، ترددت الى المجمع وصلت وابتلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المفلق وتيسر المفسر^{٣٦} .

وقد اتفق ابن سينا وابن العبري في تشخيص الطرق المؤدية الى معرفة الله فقالا « هنالك سبل كثيرة تؤدي الى معرفة الله :

اولاً : معرفة البسطاء .

ثانياً : معرفة الفلاسفة .

ثالثاً : معرفة العارفين . ان معرفة الخالق من مخلوقاته معرفة سطحية بسيطة يستطيع حتى البسطاء الاهتداء اليها

(٣٥) الحمامة ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣٦) الاشارات والنبهات - القسم الاول ص ١٢٨ دار المعارف

مصر ١٩٦٠ .

وأما الفلاسفة فلهيهم طريقة البرهان العقلي ، ثم طريقة
العارفين وهي روحية صرفة ، (٣٧) .

في الثقافة العربية : لان العبري نشاطات علمية وأدبية
في مجالات الثقافة العربية تتلخص في التأليف والتصنيف
والنقل ، والتأثير بالفكر العربي ومنقف على ذلك في
الحديث عن السريانية والعربية .

(٣٧) اجمامة ص ٢٣١ .

الدين ، ويناهض الاخرى التي تضاد الوحي والدين ، وهو يعلم
حق العلم انه بدون الوحي لا يمكن التوصل الى الحق . فالوحي
هو المصباح الذي يسير امام العقل لينير له الطريق قال
« من يهتدي بمصباحه فقط (بمقله فقط) كأنه يسير في
ليل حالك ام في ظلام دامس . ولا يعلم اين يذهب » (٣٤)
هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فقد اعطي للعقل اهميته
على ان يكون موجهاً من قبل المنطق فقد قال نقلاً عن
ارسطو « العقل ناقص ومحدود ولذلك فهو بحاجة الى موجه
امين يقوده الى الحق ، والمنطق هو ذلك الموجه ، وبدونه
لا يستطيع معرفة الطريق الى الحق ولا الوصول الى الهدف .
المنطق يتنقل بالعقل البشري من المجهول الى المعلوم ، ويمتقد
ان كل انسان بحاجة الى المنطق إلا الانبياء المؤيدين بالوحي
الالهي وهذا هو رأي ابن سينا ايضاً . ولعل ما حدثنا
عن نفسه نجد فيه الكفاية . قال « لما بلغت العشرين من
عمري اضطررتي البطريك المعاصر الى ان اتقلد رئاسة
الكهنوت . حينئذ الجأتني الضرورة ان اجادل ذوي المعتقدات
المخالفة من مسيحيين وغرباء ، مجادلات مبنية على القياس
المنطقي ، والاعتراضات ، ... واجتهدت ان ادرك فحوى

(٣٤) الحماسة ص ٢١٧ .

حكمة اليونان ، اعني المنطق ، والطبيعات ، والآلهيات ،
والحساب ، والآداب ، وعلم الفلك ... ومثلي بدراسة هذه
المعلوم مثل من كان غارقاً في البحر ، وهو يمد يده الى
كل ناحية لعله ينجو . ولما لم اجد ضالتي المنشودة بالعلوم
الخاصة والمامة كافة ، فقد اوشكت ان اهلك هلاكاً تاماً
حيث اصطادتني فخاخ هذه المعلوم وكأنها قد رصدتني .
واني امسكت عن ذكر ذلك وايضاحه لئلا يضر بكثير
من الضمفاء . والخلاصة انه لو لم يمضد الرب ضعف ايماني
في الازمنة الخطرة ، ولو لم يرشدني الى التأمل في كتب العلماء
كآلاب اوعريس وغيره من المغاربة والمشاركة ، وينتشلني
من هوة الهلاك والدمار ، لكنت قد يئست من الحياة
الروحية لا الجسدية . فقد درست تلك الكتب غضون سبع
سنين ، ابغضت خلالها بقية المعلوم التي كنت قد درست
اغلبها ... وفي هذه الفترة ايضاً اعيتني بل اشقتني الشكوك
والعثرات المديدة . فكنت اسقط في هوة الكفر تارة
وانادي : ~~كفى~~ هؤلاء النساء جمجمة ! الا ترى رحام
خلوة من القمح ؟ : ... وكنت بشكوكي هذه اعرج على
الجانبين ، حتى اشرقت علي كالبرق اشعة نور خاطف لا
يوصف ، فتناثر جزء من القشور التي كانت متلبدة على

اذن من اين استقى معارفه وعلومه ؟ الواقع كما قال
البطريق افرام برصوم^(٣٢) « قرأ على نفسه ، مستعيناً
ببعض اساتذة زمانه المتبحرين ، ومن متابعة سيرة حياته
يظهر : انه استهل دراسته البكر عن والده اهرن الطيب
حيث لقنه مبادئ الطب ، واخذ عن بعض اعلام عصره
المشاهير علوم اللغة السريانية والدينية والكنسية كما درس
الفلسفة مستعيناً باساتذة في وطنه . واتقن اللغات السريانية
واليونانية والارمنية وهو لما يزل شاباً طرياً . ولما هجر
وطنه مع والده الى انطاكية عام ١٢٤٣ واكب على المطالعة
بشغف ونهم واخذ على من يصادفه من الاساتذة الشيء
الكثير من العلوم والمعارف . وفي عام ١٢٤٥ جاء الى
طرابلس الشام حيث احكم اللغة العربية . وقرأ علوم
الطب والبيان والمنطق على الاستاذ يعقوب النسطوري .
وفي خزانة مراغة وقف على الشروح الفلسفية باللغة العربية ،
فطالع مؤلفات فخرالدين الرازي ١٢١٠ ، والمعاصرين له
الابهرى ، ونجم الدين القزويني ، ونصيرالدين الطوسي . واحاط
بتصانيف ابن سينا الطبية والفلسفية كلها فاخذ بها بعد فلسفة

(٣٢) المؤلف المتورس ٤٢٠ .

ارسطو . وكان يسمي ابن سينا « استاذنا » ثم درس
الفارسية ومهر فيها .

وقد حدث عن نفسه وعن دراسته بشكل شامل فقال
« شفقت بحجة المر منذ نعومة اظفاري ، فطالمت الكتب
المقدسة وتفاسيرها الضرورية ، واخذت اسرار كتب الملافة
القديسين عن مهرة المعلمين . ولما بلغت العشرين من عمري
اضطرتني بطريك عصرنا الى قبول رئاسة الكهنوت فاضطرتني
الموقف على دراسة العلوم الدينية حتى حذقتها . ثم قررت
ارتشاف حكمة اليونان فدرست العلوم الطبيعية والآلهيات
والرياضيات والهندسة والفلك والهيئة . وبما ان الحياة
قصيرة والعلوم واسعة اخذت من كل هذه العلوم الضروري
فقط » (٣٣) .

بين المنطق والايان : ابن العبري مسيحي صميم راسخ
في عقيدته ومبدئه . شديد التمسك بدينه وعقيدته ، يتخذ
من الوحي الدعامة الاولى والقوية لاثبات مواضعه الدينية
والمقدية . فيرحب بكل النظريات المنطقية التي تتوافق مع

(٣٣) الحامة ص ٢٠١ .

والسؤال المطروح : هل كان ابن العبري متبسّطاً ام
متخصصاً ؟ بوسعنا ان نقول كان ابن العبري متبسّطاً
ومتخصصاً في آن واحد . فالتبسّط هو الشمول في جميع
حقول العلم اي الاخذ من كل فن . وابن العبري احاط
بجميع فروع العلوم كما سبق القول . وقد تحدث هو عن
نفسه متأثراً بالقول الذي تبدأ به الفصول لابن قراط « العمر
قصير والعمل كثير ، فقال « وبما ان الحياة قصيرة والعلوم
واسعة اخذت من كل هذه العلوم الضروري فقط » (٢٩)
وكان متخصصاً بالوقت ذاته في فن واحد من فنون المعرفة .
فما هو هذا الفن الواحد يا ترى ؟ ان من يدرس ابن
العبري بعمق يبدو له انه كان متخصصاً بعلم « الفلسفة
الدينية » فيكون ابن العبري فيلسوفاً لاهوتياً روحياً دينياً ،
اكثر منه شاعراً ، او طبيباً ، او فلكياً الخ . فاننا نرى
الفلسفة تترج في كل علم بطرحه وتماثي كل فن يكتبه .
فهو فيلسوف في شعره ، فيلسوف في اللاهوت ، فيلسوف
في النحو الخ هذا فضلاً عن عنايته بالفلسفة كعلم مستقل
قائم بذاته يبدو ذلك واضحاً من كتابه « زبدة الحكم » .

(٢٩) كتاب الحماة ص ٢٠٣ تحقيق وتعريب المطران زكا عيواص
(البطريك زكا عيواص) بغداد ١٩٧٤ .

بالرغم من هذا الزخم الهائل من العلوم التي حصل عليها ابن العبري ، وبالرغم من المكانة العلمية الشاخصة التي احتلها ، فإنه رضع أخيراً للقول الفلسفي الذي أعلنه سقراط « انني اعرف شيئاً واحداً وهو اني لا اعرف شيئاً » وقول افلاطون « مامي من فضيلة العلم إلا علمي بانني لست بعالم » . ومما قاله في خضم حياته الدراسية والنفسية « كان ضميري يؤنبني احياناً وهو يخاطبني بقوله « لا تهذب ولا تظن ان كل ما لا تعرفه ليس بوجود ، لان ما تعرفه هو اقل بكثير مما لا تعرفه » (٣٠) .

من اين استقي علومه ؟ : عاش ابن العبري في عصر غابت فيه شمس المعاهد العلمية السريانية والعربية . فلم يكن في ارجاء البلاد يومئذ معهد على غرار مدارس الرها وقنسرين وجنديسابور . وفي الوقت ذاته اقفرت السريانية من معلم قدير ماهر يركن اليه كما اشار الى ذلك في مقدمة كتابه المسمى بالحمامة (٣١) . وكان السبب في ذلك سقوط الدولة العباسية ، وتوالي هجمات المغول والتتار على هذه البلاد والقضاء على الاخضر واليابس .

(٣) الحمامة ص ٢٠٧ .

(٣١) الحمامة : المقدمة ص ٤٣ .

الاكمل . وما سمه إلا في مجد يشيده ، وعلم يفيده ،
وكتاب نافع يجبره ، وباطل يزهقه ، وحق ينصره ،
وموضعه من علمي الكتاب العزيز واللاهوت ومكانه من
علوم الاخلاق والرياضة النسكية ، واحاطته بالفقه الديني
والمدني ، واستنباطه دقائق الشرع ، ومحلّه من النحو وبصره
باللغة ومنزلته في البيان والقريض ، وثبات قدمه في التاريخ
وحظه من الفلسفة وبلوغه من صناعة الطب غاياتها ، وعلو
كعبه في المساحة وفنون العلوم الطبيعية اشهر من ان يدل
عليه بوصف . . . وصفوة القول انا لا نعرف له ثانياً لا
قريباً ولا مدانياً ذلك ان العلماء الاثبات لا يعدون في
المعارف عدد الانامل اما ان يتوسطوا باحة العلوم كلها
فذلك ما لا عهد لنا به . فمن يقس به عالماً سريانياً يرجع
وهو مفضول (٢٧) في كتابنا الجزء الثاني « السريان ايمان
وحضارة » سجلنا تاريخ حياة ابن العبري من جميع
جوانبها خلا العامية التي سنتناولها الآن .

وُلد عام ١٢٢٦ في مدينة ملطية من اسرة مسيحية ،
وعجز موطنه الى انطاكية عام ١٢٤٣ وتنسك زاهداً في

(٢٧) اللؤلؤ المنشور ص ٤١٢ .

الدنيا عام ١٢٢٤ . رسم كاهناً ، فاسقفاً ببلدة جوباس عام
١٢٤٦ ثم نقل الى ابرشيقي لاقين وحلب . وفي عام ١٢٦٤
رقي الى سدة مفريانية المشرق . وتوفي في ٣٠ توز سنة
١٢٨٦ في مدينة مراغة . ثم نقل رفاته الطاهر الى دير
مار متى حيث لا يزال ضريحه مكرماً معظماً (٢٨) .

افاقه العلمية : احاط ابن العبري بجميع انواع العلوم
المروفة يومئذ بدون استثناء . واخذ بجميع اطراف اضرب
المعرفة عصرئذ . واتفق اللغات السريانية واليونانية والعربية
والارمنية والفارسية . وترك لنا تراثاً هائلاً سيما بالسريانية
في ٣٦ كتاباً بين مطول ومختصر ومقالة ، تتناول علم
الكتاب المقدس ، واللاهوت والفقهاء البيبي ، والفلسفة
والمنطق ، والطب ، والهيئة ، والفلك ، والتاريخ ، والبيان ،
والشعر والنحو النسخ . فكان ابن العبري والحالة هذه
« موسوعة » جنح الى التبسط والشمول في جميع حقول
العلم والاخذ من كل فن لذلك دعاه المستشرقون « دائرة
معارف القرن الثالث عشر » .

(٢٨) السريان ايمان وحضارة مج ٢ ص ١٣٢ .

فترة القديس ايرونيμος في العالم اللاتيني كما ذكرنا في
مقدمة ترجمته (٢٦) .

(٢٦) من المصادر التي اعتمدنا عليها : اللؤلؤ المنشر للبطريرك افروام
برصوم ، مار يعقوب الرهاوي لمراد جقي .

مار غريغور يوس يوحنا ابو الفرج

الملطي مفران المشرق

المشهور بابن المبري ١٢٨٦ +

هو احد اقطاب الفكر في الشرق ، ومن اساطين الثقافة السريانية الكبار لا بل امير الفكر السرياني . واذا كان ارسطو يمثل ذروة الفلسفة اليونانية ، وابن رشد يمثل ذروة الفلسفة العربية فان المبري يمثل ذروة الفلسفة السريانية . قال في حقه البطريك افرام برصوم « علامة العلماء الاشر ، آية من آيات الله ، واعجوبة من اجل اعاجيب الدهر . احد كبار فلاسفة الشرق ولاهوتيه وحكام الدنيا غير منازع . رانه الله سبحانه بعقل كبير ، وذكاء خارق ، وذهن متوقد ، وفكر دقيق ، ولسان ذليق ، ولفظ انيق . واقامه على العلوم مناراً ، ميسراً له منها السهم

ودرس فيه على مار ساويرا سابوخت آداب اللغة اليونانية
وانجز علومه وتميز في اللغة والفلسفة واللاهوت . واتشح
بالاسكيم الرهباني ، ثم رحل الى الاسكندرية فاستكمل فيها
على دقائق الفلسفة وغوامضها . وبعد مدة عاد الى سورية ،
وتنسك في الرها ودرس اللغة العبرانية ، فنبه ذكره واستفاضت
شهرته . وقصده العلماء ومحبو العلم يرأسونه ويرفعون اليه
المشكلات فيتناولون منه الجوابات السديدة . سيم عام ٦٨٤
مطراناً للرها فنسب اليها واقام فيها اربع سنوات ، واشتد
على الرهبان والاكليروس في حفظ القوانين بعد اهمال طراً
عليها ، فقطع بعضهم عن الخدمة ، وفصل آخرين ، وطرده
كثيرين من المتمردين ، الامر الذي ادى بهؤلاء الى مقاومته
وحملوا عليه ضغائن في حق كان يحميه ، ولشدة غيرته
استقال من منصبه وسلم كرسية للبطريك يوليان الثالث
الذي كان يرى والاساقفة لزوم التساهل في الامور حسب
مقتضى الظروف التي هي احسن . وهجر الابرشية بتلميذه
دانيال وقسطنطين وانطلق الى دير مار يعقوب بكيشوم
الذي كان البطريك والاساقفة مجتمعين فيه ، وهناك بلغ
الغيظ من المترجم اقصاه ، فاحرق امام باب الدير كتاب
القوانين جبراً لاهالها وصاح قائلاً « هذه القوانين التي

تدوسونها بأرجلكم ولا تراعون أحكامها أحرقها بالنار لأنها
أصبحت من قبل الزيادة التي لا فائدة منها .

وبعد فترة يسيرة انتدب لتدريس اليونانية في دير
أوسيونوا في كورة انطاكية . ثمكث فيها إحدى عشرة سنة
مجدداً هذه اللغة بعد اندراسها حتى بلغ بها إلى القمة ،
ومفسراً الأسفار الإلهية بحسب النص اليوناني فدعي « مترجم
الكتب » **محمد** . وحينما بدأ خلف من الرهبان

الكارهين لليونانيين ، خرج إلى تلعدا ومعه سبعة تلاميذ
له ، وأقام فيه زهاء تسع سنوات مكياً على تصحيح ترجمة
العهد القديم . وفي عام ٧٠٨ عاد إلى كرميه في الرها
اجابة إلى رغبة الرهاويين ، ولكن لم يلبث فيه في هذه
المرّة سوى أربعة أشهر فقط لأنه عاد إلى دير تلعدا ليأتي
بكتبه وتلاميذته ، وهناك ناداه ربه فجأة فلباه في حزينان
سنة ٧٠٨ ودفن في الدير المذكور **وسمراً حصلاً**

ولقب بـ اي المؤثر للاتعاب او المجاهد . وبتدريج الكتب . جمع
علوم كثيرة فهو أشبه بموسوعة . تميز بالعلوم الطاقسية والافوية
والكتابية ، وأجاد اللغات السريانية والعبرية واليونانية .
وقد بواه العلامة الانكليزي رايت منزلة بين قومه تضارع

امير الثقافة السريانية

١ - يعقوب الرهاوي ٧٠٨ +

مؤثر للأتعايب ، المجاهد ، مترجم الكتب

٢ - ابن العبري ١٦٨٦ +

دائرة معارف القرن الثالث عشر

المطران مار يعقوب الرهاوي

+ ٧٠٨

قال فيه البطريرك افرام برصوم : من نوادر الزمان
وعجائبه ، النحوي اللغوي والاديب والشاعر ، والناقل
والمؤرخ والمفسر والمشترع والفيلسوف اللاهوتي ، امام اللغة
السريانية الاكبر ، وحامل لواء مجدها السائر في الرعي
الاول (٢٤) . وصماه المستشرقون : جيروم الكنيسة السريانية (٢٥)

ولد في قرية عيندايا من كورة انطاكية حوالي سنة
١٣٣٣ . فقرأ في صباه الاسفار المقدسة ومبادئ العلوم على
شيخ القرية المدعوة ياقس وكان رجلاً عفيفاً طاهراً
فانطبعت خلاله في نفس تلميذه الفتى فشب يعقوب نقي السيرة
طاهر السريرة . ثم احب حياة العزلة فقصد دير قنسرين

(٢٤) اللؤلؤ المنشور ص ٣٦٢ .

(٢٥) تاريخ الادب السرياني : رايت ص ١٤٣ .

المرحلة الثانية

من قبيل الفتح العربي وحتى نهاية القرن الرابع عشر

في هذه المرحلة الزمنية من تاريخ الثقافة السريانية اضع امامك صورة منجحة لام جانب من الحياة الفكرية لدى السريان . واتناول ناحية من ابرز مناحي نهضتهم الثقافية ، رسمها علماءهم وادباؤهم وقادة الفكر عندهم بريشتهم المتواضعة . فجاءت ناطقة بما انعمت عليهم الطبيعة من ملكة الذكاء الخارق ، والمجهود الفكري المتألق ، والعبقرية الفذة ، والكفاءة التامة ، والحب الانساني الشامل ، الامور التي تركت في تاريخ الحضارة البشرية صدى عميقاً ، واثراً كبيراً ، فاقرّ بفضلهم الخاصة والعامة ، واشاد بهم الشرق والغرب ، فسقى الله عهداً انجب جهاذنة تثني بهم الاصابع وتعقد عليهم الخناصر .

لقد فتح علماء هذه الحقبة باب الثقافة على مصراعيه ، وولوجوا في جميع ارجاء رحاب العلم والمعرفة . فولّوا اهتمامهم بادىء بدء في لغتهم ضبطاً ونحواً وصرفاً وصرفوا جلّ عنايتهم بالاسفار الالهية نقلاً وشرحاً وتفسيراً ، وتناولوا الطقوس الكنسية تهذيباً وتنسيقاً وترتيباً . وخاضوا عباب

العلوم الدينية اللاهوتية والفقهية والروحية فاحرزوا فوزاً
مبيناً . واحاطوا في التاريخ الكنسي والمدني احاطة تامة ،
واستفروغوا وسعهم في دراسة الفلسفة الاغريقية ونقل الكتب
الفلسفية والعامية الى السريانية ومنها الى العربية . وتركوا
دراسات مفيدة في الطب والعلم الطبيعي والفاك والهيئة
والجغرافيا والعلم الرياضي والكيمياء . وبكل حق يمكننا
نعت هذه المرحلة « بالعصر الذهبي للفكر السرياني » .

ونامسبنا ان نفتح هذه الحقبة بترجمة حياة شخصيتين
علميتين كبيرين ونطلق عليهما « اميرا الثقافة السريانية »
هذا ما اعتبرنا افرام السرياني ٣٧٣ + ومار يعقوب السروجي
٥٢١ + في مصاف الآباء الرسوليين منزلة ، فيكون الرهاوي
وابن العبري اميرين للثقافة السريانية في جميع مراحلها
التاريخية ، ذلك انها رفعا علمها عالياً ، مسك الرهاوي
٧٠٨ + بطرفها الواحد ومسك ابن العبري ١٢٨٦ +
بطرفها الثاني .



مار رابو لا مطران الرها

ولد وثنياً في مدينة قنشرين . وكانت امه مسيحية .
وتنصر شاباً ، وهجر زوجته وتنسك في دير مار ابراهيم .
وازدان بالفضائل . سيم مطراناً للرها سنة ٤١١ . وسعى
في رفع شأن مدرسة الرها فازدهرت في عهده حتى بلغت
اوج الكمال وذروة الشهرة . وطرد منها الطلبة الفارسيين
الذين تحزبوا لنسطور وبثوا ضلاله .

نال من الآداب اليونانية والسريانية القسم الاكمل
والسهم الاربع ومن اروغ ما صنفه الموربات (تعاضيم)
العذراء وهي آيات يسبق كل منها بآية من آيات تسبحة
العذراء ، والتخشفات (التضرعات او الالبتهالات) المشهورة
باسمها للاعياد السيدية ويربو عددها على السبعمئة (٢٣) وغيرها .
وشرح تسعة وثمانين قانوناً للربان والقسوس والنساء
والموايد . وكتب ستة واربعين رسالة الى اساقفة وكهنة
وامراء واعيان ورهبان .

(٢٣١) اسحق ارملة : الملكيون ص ١١٢ .

السَّماسُ شَمعون الفخاري

شاعر كنسي مجيد فصيح ولد في قرية كبشير في كورة انطاكية ، واحترف عمـل الخـزف فاشتهر بالخزاف او الفخاري وبالسريانية (KUKOYO) . نظم اشعاراً دينية بليغة موقعة على لحن حسن اطلق عليه اسم (القوقاي) اثنى عليه مار يعقوب السروجي الملقب بالملفان ، وقيّم اشعاره . وكان له اصحاب من طبقتة ورعاً وعلماً وادباً ، فشاركوه في النظم واطلق عليهم اسم (القوقيين) KUKOYE ودخلت اشعارهم الفرض الكنسي .

ومن مؤلفاته عدا الشعر الذي مرّ الكلام عنه ، فله
مصنفات منشورة منها رسائل غاية في الحسن وصل إلينا
ديوان يشتمل على المختار منها وعددها ثلاث وأربعون نشرت
عام ١٩٣٧ . وله خطب لبعض الأعياد والمناسبات .
وليتورجيتان . والّف صلاة السلام التي تتلى في قداس
عيد الميلاد .

ومن الذين اشتهروا في هذه الحقبة تلامذة مار افرام
السرياني منهم آبا الذي فسّر الانجيل وله بعض القصائد
وآسوناً وكان اذكي تلامذة مار افرام واكثرهم تصرفاً
في فنون الشعر . فقد نظم اشعاراً فصيحة بالبحرين الرباعي
والسداسي .

كما ظهر ادباء آخرون منهم من تميز بالشعر ، ومنهم
من دوّن اخبار الشهداء ، وآخرون دوّنوا قصص القديسين .
ومن اشهرهم :

ماروما الفارقي

ولد في ميافرقين ، تشقّف بالعلوم الدينية وتعمق بالادب
السرياني واليوناني ، وحذق علم الطب . رسم اسقفاً لميافرقين

في العقد الاخير من المئة الرابعة . وله مواقف كنيسية مشرفة والمكانة العليا في الحكمة وتصريف الامور . اوفده القيصران ارقاديوس ثم ثاودوسيوس الثاني سفيراً الى يزدجرد الاول ملك الفرس مرتين او ثلاثاً واقام ثم حتى سنة ٤١٠ وعلى يده فاز مسيحيو بلاد الفرس بالأمن وزال عنهم كابوس الشدة .

ومن مواقفه الكنسية رأس عام ٤١٠ مع اسحق الاول جاثليق المدائن مجماً عقداه في سليق ، سنتت فيه قوانين لتنظيم كنيسة المشرق ادارياً وروحياً وعبادة .

صنف مار ماروثا سير اشهر الشهداء الشرقيين الذين نكروهم الطاغية شابور الثاني الملقب بذي الاكتاف في الاضطهاد الاربعيني ٣٣٩ - ٣٧٩ وطبعها اولاً السعدي منقولة الى اللاتينية ، ثم الراهب بولس بيجان .

ونقل مار ماروثا الى اللغة السريانية تاريخ المجمع النيقاوي وقوانينه التي لم تكن المشاركة يرفونها على صحتها ، او كانت نادرة وغير كاملة عندهم . واهتم بعقد المجمع ومن القوانين الكنسية .

دراسته في الرها حوالي سنة ٤٦٦ وهو في صغير في الخامسة عشرة من عمره (٢٢) وهو في هذا السن المبكر كان ينظم القصائد والشعر بالهام الروح القدس . وقد اشار هو نفسه الى ذلك بيت من الشعر قال ما ترجمته « لما منحني اياها لم افقه انذاك ماذا نلت ، اما الآن فبعد ان ضاعفتها ، زدني منها اضعافاً كثيرة » .

ترهب وتنسك . وفي العام ٥٠٢ وهو في الثانية والعشرين من عمره ، اجتمع خمسة اساقفة في كنيسة بطنان سروج لاختبار ملفته بحضور جمهور غفير من المؤمنين . فاقترحوا عليه ان يصف صورة المركبة الالهية التي تجلت لحزقيال النبي والتي كانت مصورة على جدار المذبح ، فارتجل قصيدته المشهورة على البحر الاثني عشرى ومطلعها « ايها الرفيع الجالس على المركبة التي لا تدرك » في سبعمئة بيت ونيف اورد فيها ٣٩٦ آية من الكتاب العزيز فتأكد الاساقفة ان ملفته هي من الروح القدس واقرؤا

(٢٢) رسالته التي اتقدها سنة ٥١١ الى لعازر رئيس دير مار باسوس .
طبعه اولندر رقم ١٤ .

له بالشاعرية الممتازة . والحوا عليه في كتابة نفاثاته لفائدة المؤمنين ، واجتمع حوله ككتاب كثيرون بلغوا السبعين كاتباً ، يلتقطون جواهره الثمينة ويكتبون قصائده التي جمعت فبلغت مئمة وستين فيما حكى ابن العربي اولها في مركبة حزقيال وآخرها في الجلجلة . وكلها على البحر الاثني عشري الذي استنبطه وعرف بالسروجي ، نسبة اليه . وقد بلغت ايات بعضها الالفين والثلاثة او تزيد . ومواضيعها تقارب مواضيع التي طرقها مار افرام ولكن منها اسلوبه . نشر الراهب بيجان مئتي ميمر في خمس مجلدات ضخمة .

ميم قساً ثم قلد رتبة الزائر لبلدة حورا . وفي اواخر عمره سقف على ابرشية بطنان سروج عام ٥١٩ وتوفي عام ٥٢١ . وهو في التاسعة والستين من عمره .

وقد اقرت الكنيسة السريانية الارثوذكسية قداسته وضمت اسمه الى سفر الحياة . وعيئت له في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ، ونظمت لعيده طقساً خاصاً . وانشأت على اسمه عديداً من الكنائس والاديار ، ولا سيما كنيسته في ديار بكر التي وضعت في صدر مذهبها ذخائر الطاهرة .

القديس مار يعقوب السروجي

القديس مار يعقوب السروجي ، الملقب ، شاعر موهوب ،
ومن امراء الكلام : يلي القديس مار افرام منزلة وشهرة .

قال فيه البطريك افرام برصوم : من امراء الكلام ،
يتأنق ويدع ، تحفزه الفطرة وتده السجية . شعره يهجم
على القلب بلا حجاب . جزالة في الكلام ، وحسن في
اللفظ ، ودقة وعدوبة في المعنى . وبراعة في التعبير واحكام
في السبك . هو بلبل المعاني لا يعمل تفريده .

ولد سنة ٤٥١ في قرية قورتم الواقعة على ضفة الفرات
وتربى في كنف ابوين مسيحيين فاضلين ، وكانت امه عاقرة .
فاخذها زوجها الى كنيسة مار برحمت حيث صليا ونذرا ،
فاستجاب الله طلبتهما . ورزقهما طفلاً اسمياه يعقوب وظهرت
فيه آية الدعوة الالهية منذ صباه . ففي الثالثة من عمره
دهبا به الى هذه الكنيسة للصلاة في احد الاعياد وكانت

عاصمة بجمهور المسلمين ، كما كان مذبحها ايضاً مكتنفاً بالكهنة .
وفي اثناء حلول الروح القدس على الاسرار ، نزل الطفل
من حضن امه ، واخذ يشق صفوف المسلمين نحو المذبح
حتى بلغ مائدة الحياة . وهناك نزل ملاك الرب ومنحه
موهبة الله . اما هو فبسط يديه وشرب ثلاث حفنات من
جدول ظهر امامه في تلك اللحظات الرهيبة كما فعل حزقيال
النبي باكله الدرج بامر الله . ثم عاد الى امه والكل ينظرون
اليه باندهاش (٢١) . وقد اشار الى هذا الانعام في قوله
« ان كانت نعمتك لم تمتنع عني منذ طفولتي ، فكم بالحري
تزيد اضعافاً للصلاة المقدمة بدموع . لما انعمت علي بها لم
اكن اعلم ما نلتها واذ قد علمت الآن فردني ايضاً من كنت
لم افك » .

نخرج في مدرسة الرها فاصاب من علومها اللغوية والفلسفية
واللاهوتية السهم الاوفى . وقد حدثت هو نفسه عن

(٢١) اغناطيوس يعقوب الثالث : حبة الايمان ص ٧ نقلاً عن تصيدة ابن
الصابوني مطران ملطية . وعن سيرته المختصرة في مخطوطة سريانية
اثرية في خزانة البطركية السريانية بدمشق . ومجلة لسان المشرق
السنة ٤ ص ٨٥ مقالة لالارخدياقون نعمة الله دنو .

الينا زهاء مئتي قصيدة منسوبة اليهم . نشر منها بيجان
سبعاً وستين تقع في ٨٣٧ صفحة اكثرها من صوغ الامدي
واقلاها من قرض الانطاكي والرهاوي .

مار بالاي : احد ملافنة الكنيسة ومن شعراء الطبقة
الاولى والكتاب البلاء . غمض امره عن العلماء . قيل
انه قرأ على احد تلامذة مار افرام . وفي الربع الاول
من القرن الخامس رسم خورياً لكنيسة حلب حيث صاحب
مطرانها افاق الشير . ثم اسقفاً لمدينة بالش وتسمى
اليوم مسكنة جنوبي شرقي حلب ، والاشبه انه توفي في
العقد الخامس من المئة الخامسة .

نظم قصائد شتى خماسية الوزن على البحر المنسوب
اليه ، دخل بعضها الفرض الكنسي . ومن دواعي الاسف ،
ان اشعاره لم تحظ بمن يعني بجمعها . ونشر زينتر ستين في
لبسيك عام ١٩٠٢ مئة واربعة وثلاثين قصيدة منسوبة اليه .



الفديس

مار يعقوب السروي الملقب

+ ٥٢١

الملك عبد الله السعود
له الملك عبد الله السعود
السعودي
السعودي

مار اسحق الامدي

عاش في القرن الخامس ثلاثة شعراء فطاحل يحملون اسم اسحق . هم اسحق الأمدي ، واسحق الرهاوي المعروف بالانطاكي ٤٩١ ؟ واسحق الرهاوي الثاني ٥٢٢ ؟ لذلك حدث تشويش في نسبة القصائد الى اصحابها . وقيل ان اثنين منها ارثوذكسيان وهما الامدي والانطاكي ، اما الرهاوي فكان خلقيدونيا^(٢٠) .

اما اسحق الامدي فهو المؤلفان في الكنيسة ، ومن شعراء السريان المفلقين ولد في آمد واخذ عن مار افرام وتلاميذه حتى اقامته فيها مدة يسيرة عام ٣٦٣ . وفي عام ٣٧٣ غادرها الى الرها حيث اغترف من منهل الشاعر السرياني زينوب تلميذ مار افرام حتى بلغ ذروة الشعر . زهد في الدنيا ، وترهب ورسم كاهناً لكنيسة آمد وتوفي عام ٤١٨ ؟

(٢٠) الدروس السريانية : المقتطفات : للسيد رحمانى .

نظم بالسريانية على البحر السباعي قصائد رائعة ، ووضع تصانيف حافلة بالفوائد في مواضيع شتى من كتاب الله .
اختلفت قصائده مع قصائد ميميه الانطاكي والرهاوي .

اسحق الانطاكي : ولد في الرها وتخرج في مدرستها ،

ونبغ في السريانية ، ورسم قساً . وبرز ملفاناً خطيراً وشاعراً سريانياً موهوباً كقول مار يعقوب الرهاوي . رحل الى انطاكية وذلك حين مقاومة النساطرة ومناقضتهم عبارة « يا من صلبت لاجلنا » وشاهد رجلاً شرقياً يحمل بيضاء تردد العبارة المذكورة كما كان قد لقيها ردعاً لعنت الخصوم . فراق له المشهود فعمل فيه قصيدة سريانية ووردت باسمه منسوباً الى انطاكية لاقامته فيها . وعمل قصائده على البحر السباعي ، ونبه ذكره عام ٤٨٨ .

اسحق الرهاوي الثاني : من اكليروس بيعة الرها ،

قيل انه مال الى المذهب الخلقيدوني . عاش في القرن الخامس ، ونظم قصائد رائعة .

لقد اختلفت اشعار السميون الثلاثة في ايدي النساخ . وبات تمييزها عسيراً لتقارب زمانهم وتشابه ملكتهم . وصل

لندن جمع فيه ٧٧ مدراساً نقلها الى اللاتينية في موضوع
« النصيبينات » .

وجمع توما لامي بعض المؤلفات المبعثرة في مخطوطات
لندن واكسفورد وباريس وترجمها الى اللاتينية ونشرها في
اربعة اجزاء في مالين بين السنة ١٨٨٢ - ١٩٠٢ . ونشر
البطريك افرام رحمانى بين السنة ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ميمراً
ابجدياً في اللاهوت نقله الى العربية والفرنسية . كما نشر
له جزءين حوياً اكثر من اربعين قصيدته في البتولية ،
وآداب المائدة ، وغيرها .

واحدث ما ظهر بالطبع في باريس سنة ١٩٦٨ اناشيد
الفردوس وقد استخلص الاب رينه لافنان اليسوعي من
المداريش النصيبينية خمسة عشر نشيداً في الفردوس وترجمها
الى الافرنسية .

وقد يكون مار افرام اول من رسم طريق الزهد
الصحيح عند السريان ، فقد اقام في المغارة زاهداً ، وعاش
عيشة النسك ، ومسام نفسه انواع التقشفات وقد وصفها في
احد مداريشه قال : « جعت مراراً كثيرة واشتدت بي
الشهوة الى الطعام فحبست نفسي عنه طمعاً بالسعادة المعدة

للتائبين . وهكذا قال عن الماء والنوم . وكم قضى من ليال بيضاء وهو يصلي حتى طلوع الفجر . وغالباً ما ما اكتفى من الزاد بنخب شعير ويقول يابسة . ومما جاء في وصيته « لا تدفنوني تحت المذبح ولا مع الشهداء لاني اثم حقير اخشوا الله من رفاتهم . ادفنوني بثوبي وامسكيمي الرهباني ، لأن الزينة لا تجدي الميت نفعاً . لا تشيعوني بالشمع والبخور بل بالصلاة والقراين والمزامير » .

بقي ان نقول ان مار افرام كان اول من وضع اصول الموسيقى السريانية والالخان في الكنيسة . واقب به كنارة الروح القدس . وقد عمل ذلك ايماناً منه بقول اغسطينوس « من رتل صلى مرتين » .



نفسه كان يضرع الى الله ان يوقف هذا الفيض الذي
يرهقه في قوله « اوقف اللهم موهبتك عن كنارتك لترتاح
قليلاً ، لانك انت الذي علمتي كل ما قلت فانت علمني
كيف اصمت » .

تناول شعر مار افرام جميع الجوانب الدينية ، من
عقائد ، وتفسير ، ولاهوت ، وسير ، ووعظ ، واسرار
الكنيسة ، واسهب واكثر من طرح مراحل السيد المسيح
ومعجزاته ، وسير مشاهير القديسين ، والاعذراء مريم .
وحمل على اهل البدع في زمانه حملات عنيفة ، فنشد
مزاعمهم ، وحذر من الوقوع في اشراكهم . قال ايرونيموس :
« ان مصنعات مار افرام تقرأ في كنائس كثيرة بعد
قراءة الكتاب المقدس » .

نقلت بعض مؤلفاته في حياته او في العشر الاول
بعد وفاته الى اليونانية فطالها غريغوريوس النوسي الذي
قرّظها بخطبة نفيسة . وترجم بعضها الى الارمنية ، فالبطية
فالحبشية ، ثم الى اللاتينية والى الجيورجية والى لغات اخرى .
ووصل اليها بالعربية احدى وخمسون مقالة نقلت من
اليونانية في القرن الحادي عشر واصلها السرياني مفقود

والواقع ان شعر مار افرام كما يقول كميل افرام البستاني لا تقدر قيمته إلا في الأصل السرياني لما فيه من قوة المعنى ، وضبط المبنى القائم على سبك التقاطيع ، وعلى التلاعب بالالفاظ المتفابلة والمتناقضة والمتشابهة والمتشابهة الاحرف مما يوفر للابيات تنوعاً ركنياً وبنوياً يصعب نقله الى لغة اجنبية . وسمعت مرة الشاعر امين نخلة يقول : نقلت قصيدة لمار افرام الى الافرنسية فلم اجد فيها طعماً او مذاقاً ، ذلك ان لكل شاعر مطبخه الخاص .

نشر الراهب بطرس مبارك اليسوعي وبعده يوسف سمعان السمعاني واسطيفان عواد السمعاني جميع مؤلفات مار افرام الواردة في مخطوطات الفاتيكان التي وقفوا عليها مع ترجمة الى اللاتينية في ستة اجزاء كبيرة الحجم ظهرت تباعاً في رومة بين العام ١٧٣٢ - ١٩٤٦ ، وقد اعاد طبع هذه المؤلفات دوم سليّة في باريس عام ١٨٦٠ . ونشر اوفريك في اكسفورد سنة ١٨٦٥ اربعة مداريش في حملة يوليان الجاحد الى الشرق وموته ، واربعة اخرى في الفردوس اختصرها بيكل في ترجمته اللاتينية . ونشر غوستاف بيكل في ليزينغ عام ١٨٦٦ قسماً من مخطوطات

تلمذ مار افرام لمار يعقوب اسقف نصيبين فارتشف
من معينه ورعاً وعلماً واحتسب سلافة الادب السرياني حتى
الشمالة . وترهب ورقى الى درجة الشهادية ، وعهد اليه
بالادارة والتعلم في مدرسة نصيبين مدة ثمان وثلاثين سنة ،
وقيل انه رافق مار يعقوب الى المجمع النيقاوي . وفي عام
٣٦٣ جلا عن وطنه لاستيلاء الفرس عليه فخرج في اشراف
اهله الى آمد ثم صار الى الرها عاصمة الاباجرة ، ومعلم
الادب السرياني المسيحي . ووسع مدرسة الرها وحسن
اثره فيها فبعد صيتها بفضلها ، وفتح فيها كنوز علمه ، وعاش
عيشة بسكية ، وورق رقاد الصالحين ، وتوفي عام ٣٧٣ +
ودفن جثمانه الطاهر في مقبرة الغرباء طبقاً لوصيته . وبني
فوق ضريحه دير بجوار الرها ، ودعي نبي السريان و
« شمس السريان » .

ترك مار افرام اثراً كتابية قيّمة منها المنشور ومنها
المنظوم . فقد تناول في اثره شرح الكتاب المقدس في
عهديه آية فآية بحيث قيل : « لو ضاعت ترجمة الكتاب
السريانية الاصلية لتيسر جمع نصوصها من تصانيف مار
افرام » . فقد وصل الينا شرح سفر التكوين وجزء من
سفر الخروج وشذرات من بقية الاسفار متفرقة في مجموعة

الراهب سويريوس سنة ٨٦١ + وترجمة ارمنية من تفسيره
للانجيل المعروف بالدياطسرون وتفسير الرسائل البولسية
وبعض خطب تتضمن شروحات لفصول من الكتاب الكريم .
ومن تصانيفه المنشورة ايضاً خطب عديدة ، ورسائل .
كما ألف قصصاً للرسول بقيت منها قصة مار بطرس الرسول
نشرها البطريرك افرام برصوم . كما خصَّ السمعانيان قسماً
من تفاسيره بالطبع وقد حفظ قسم من شروح العهد القديم
في مخطوط الفاتيكان رقم ١١٠ تاريخ ٥٢٣ م وفي مخطوط
برمنفهام رقم ١٤٧ ، ومخطوط آخر في خزانة بطريركية
السريان الارثوذكس بدمشق . ومن شروح العهد الجديد
بقي نص ارمني نقله الى اللاتينية مينرجر سنة ١٨٧٦ كما
ان هيل وروبنسون جمعاً بعض مقاطع من شروح
الدياطسرون ونقلها الى الانكليزية سنة ١٨٩٥ .

واما شعره فهو ابرز مصنفاته التي رفعت له اسماً بلغ
السيبي فهو ابرع شاعراً منه ناثراً . قال زوزمين المؤرخ
اليوناني ان مار افرام صنف اكثر من ٣٠٠ مليون شعر ،
وزعم مار ايرونيموس ان شعره بلغ ثلاثة ملايين بيتاً .
فلا غرو اذا قال فيه مار يعقوب السروجي « كان مار
افرام نبياً غزيراً وينبوعاً فياضاً » وذكر ان مار افرام

مار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الجامعة الأكبر

ابو الموسيقى في الكنيسة السريانية

الشاعر السرياني العبقري الفذ

رجل الله - مثال الزهد - نموذج الفضائل الانجيلية

وه بل ووجه ا طملا ككلزة اوتندما
ه حرة الامزحة والاملاهم لعهه فئاوتسدا
مخفد رتقى حيز حرة فدا ا حوكسرتوم
ه ه ودا ملعتب اوتندما ا حمر و حبروم

مار افرام السرياني

ولد مار افرام في نصيبين في اواخر المئة الثالثة
وفي فجر المئة الرابعة من اسرة مسيحية سريانية . وصرم
جبل الدنيا في روق شبابه . ومنذ نعومة اظفاره حلت
عليه الموهبة الالهية وهيأته ليكون ملفاناً في الكنيسة
لمقدسة اشار الى ذلك هو بنفسه اذ قال « لما كنت طفلاً
أيت في الرؤيا ككرمة نابئة في لساني غت وارتفعت في
لفضاء واينمت عناقيد حمة واوراقاً بلغت حد الكثرة وامتدت
فنانها وتبسطن حتى كادت تملأ الارض جميعها واقبلت طيور
لساء فوقها وجعلت تلتقط العنب من عناقيدها . وكانت
كلما التقطت منها ازدادت وكثرت » (١٩) .

(١٩) نشر وصيته بالنص السرياني اوفريك سنة ١٨٦٥ وكذلك الاب
بيجان ، والسيد افرام رحمانى في مجلة الآثار الشرقية سنة ١٩٢٧
ص ١٧٤ - ١٨٥ .

دمشق نحو : المحاورة ما بين الموت والشيطان (١٥) ، وقصة
بيع مار توما الرسول (١٦) ، وموت هارون الكاهن (١٧) ،
والحب في شعر ابن العبري (١٨) . كما كنت قد القيت محاضرة
في مقر جمعية الشبان السريانية في عيد مار افرام عام ١٩٨١
تناولت فيها بالتحليل شعر مار افرام السرياني ، وقارنت ما
بين ارض مار افرام وارض جبران خليل جبران . ونأمل
ان نجمع هذه المواضيع ونضيف اليها اموراً اخرى وننشرها
ضمن سلسلة الدراسات السريانية بحلب .

بقي ان نقول ان هؤلاء الشعراء الثلاثة هم فرسان
الميدان في الشعر السرياني لا يجارون ولا يشق لهم غبار ،
افرام العظيم يمسك بطرف واحد من عم الشعر ، ويعقوب
المجيب يمسك بالطرف الثاني واسحق الموهوب يمشي في
ركابهما ، ووراءهم قافلة من الشعراء السريانين .

-
- (١٥) المجلة البطريركية - دمشق - السنة الثانية ١٩٦٣ ص ٣٤٤ .
(١٦) المجلة البطريركية - دمشق - السنة السابعة ١٩٦٨ ص ٣٠١ .
(١٧) المجلة البطريركية - دمشق - ١٩٨٢ العدد (٨) .
(١٨) المجلة البطريركية - دمشق - السنة الاولى ١٩٦٢ ص ٤٦٤ .

ان هؤلاء الشعراء الثلاثة ولئن كانوا متفاوتين في كمية الانتاج والشاعرية والاسلوب إلا انهم يسرون في طليعة الرعيل الاول بين شعراء السريان على الاطلاق وعلى مدى المراحل التاريخية للادب السرياني ، فكل منهم جواهره المكنونة ، وبيئاته المصونة . وانشاؤهم جميعاً يتميز بقوة الاسلوب ، والفصاحة ، والجودة ، والسبك ، والعمق في اصول اللغة . ويميل اسلوبهم دائماً الى الاسهاب في المقال وهذا نهج قلما تجاوزه قدماء الكتاب السريانيين وغيرهم . فان كلاً من قصيدتي السروجي في آلام السيد المسيح وفي الخلقة اشتملت على اكثر من ثلاثة آلاف بيت . وقصيدة اسحق الانطاكي في البيغاء التي كانت ترتل « التريساجيون » اي التقاديس الثلاثة بلغت ٢١٢٦ بيتاً .

اعراضه : الشعر في هذه المرحلة التاريخية ، والذي
يحمل لواءه الشعراء القمة الثلاثية ، افرام ، واسحق ،
ويعقوب تناول ثلاثة اغراض رئيسية :

اولاً : العبادة في الكنيسة .

ثانياً : الموعظة والاخلاق .

ثالثاً : مقارعة اهل البدع .

والاغراض الثلاثة تلتقي في هدف واحد ، وهو توجيه
المؤمنين للاتصاف بحجة الخالق ، وتبصرهم بنعم الفداء ،
واظهار المسكنة التي يحتلها الشهداء والقديسون وفي مقدمتهم
مريم العذراء البتول . ورفع نفوسهم من حضيض المادة الى
الملا الاعلى ، ومن الارضيات الى السهويات . وقد يكون
طابع الموعظة طاغياً على هذه الاغراض جميعاً . ولا غرو
فالوعظ يحتل المسكنة الاولى في الادب المسيحي عامة شرقاً
وغرباً ، فالذي يعنى النظر في مؤلفات الآباء الاولين يرى
انهم ينحون نحو الوعظ والارشاد في تأليفهم . وفي الغرب
حتى القرن الثاني عشر الميلادي كان فرع الوعظ في الجامعات

يتميز عن باقي المواضيع الدينية واللاهوتية والتفسيرية والتاريخية وما اشبه . وان خاتم كلية اللاهوت بجامعة باريس مثلاً في تلك الاثناء يمثل صورة السيد المسيح يعظ .

ان هذا ما دعا بعض النقاد المعاصرين ان يذهبوا ان مار افرام كان كاتباً في الاخلاق وواعظاً اكثر منه لاهوتياً . ويرى القارىء من خلال طروحات الشعر السرياني في اغراضه الثلاثة هذه اموراً كثيرة هامة منها :

١ - تفسير الكتاب الالهي ، واللاهوت ، حيث يجد القارىء في هذه المواضيع مادة دسمة وعطاءً غزيراً يتماشى مع اغراض الشعر الرئيسية .

٢ - امثال وحكم في الحياة الروحية ومن نوع الفلسفة الروحية السامية .

٣ - يتخلل في ثنايا هذه الاغراض مختلف فنون الشعر الغنائي من وصف جميل ، واستعارات لطيفة ، وخيال خصب ، وعاطفة جياشة ، وتصورات رائعة . وقد تناولت بعض قصائد مار يعقوب السروجي بالدرس والتحليل عارضاً اياها كنماذج للادب السرياني ونشرتها في المجلة البطريكية في

الشعر السرياني

تمهيد : الشعر بصورة عامة من الامور الكمالية التي لا تبلغها امة إلا اذا اجتازت شوطاً في المرتبة كما شوهد عند اليونان والرومان الاوربيين فان الشعر لم يتمثل لقرائحهم إلا بعدما انضجتها العلوم وشجرتها الحضارة . اما السريان فنظمهم للشعر في القرن الرابع الميلادي يستدل به ما كان للسريان وما ارتقت اليه لغتهم من السمو والحضارة . فقد رافق الشعر جميع مرافق الحياة الكنسية ، فقد صلى الآباء شعراً ، ووعظوا شعراً ، وطرحوا الحكمة شعراً ، و زادوا عن حياض الدين المسيحي شعراً ، في القرون الاولى وفي هذه المرحلة .

الشعر لفظة آرامية تعني نشيد ، وهي مأخوذة من لفظة **حننا** **حننم** نشيد الانشاد ، لذلك يقال عن الذي يقول الشعر : فانشد قائلاً . . .

اوزانه وفتونه : الشعر السرياني صنفان ، الميامر (قصائد) والمداريش اناشيد وتراتيل . ويغلب على القصائد ثلاثة بحور او اوزان وهي السباعي او الافرامي نسبة الى

مار افرام ، والخماسي او بحر بالاي نسبة الى ناظمه مار
بالاي ، والاثنا عشري او السروجي نسبة الى مار يعقوب
السروجي .

ونظم شعراء السريان على محور اخرى متفاوتة الأوزان ،
واحدها الثماني الوزن من امتنباط انطون التكريتي الفصيح
ولكن استعماله لم يعم . وقد اخطأ من ظن ان برديسان
كان ابا الشعر السرياني وصانع اوزانه . فان السريان قرؤوا
الشعر قبل زمانه بعهد عبيد اما برديسان فتوسع في اوزانه
وتفنن فيها . اما المداريش (الاناشيد) اي الترتيل ونحو
النوع الثاني من الوزن الرباعي المقاطع الى العاشر . وعد
بعضهم خمسة وسبعين ضرباً من الالحان في الاناشيد الصحيحة
والمبحولة للقديس افرام .

اما القافية فلم تدخل الى الشعر السرياني قبل القرن
التاسع الميلادي (١٤) .

(١٤) اللؤلؤ المنثور ص ٤٤-٥٦ ولسان المشرق : السنة الاولى ١٩٤٩ -
مقالة لنعوم دنو ص ٢٦ - ٢٨ . والشعر عند السريان للمطران
يوحنا دولباني تعريب الخوري برصوم ايوب .

الاسقفية . اتقن اللغة السريانية وأمعن في درس كتاب الله ،
فألف كتاباً ضخماً اسماء البيئات او البراهين اشتمل على
ثلاث وعشرين مقالة او خطبة مسببة مرتبة على الابجدية
السريانية ، وكلها تدور حول الحياة الرهبانية وبعض المسائل
الدينية البيعية والقانونية ، ومن مواضيعها ، الايمان ، محبة
القريب ، الصيام ، الصلاة ، التواضع ، الرعاة ، الختان ،
الفصح ، قيامة الموتى ، البر بالفقراء وختمها بمقالة رائعة
عنوانها « العنقود » . ويعد افرهاط اول من كتب عن
السيرة النسكية والحياة الرهبانية من السريان . وقد نشر
كتاب افرهاط هذا ، المستشرق جان باريزو الفرنسي اليندكتي
عام ١٨٩٤ في مجموعة آباء البيعة السريانية بباريس مع ترجمته
الى اللاتينية . كما ترجم بعض نفثاته الى الالمانية .

وافرهاط هو الكاتب السرياني الاول الذي وصلت
اليها تآليفه كاملة . غير ان انشاءه خالٍ من فصاحة مار
افرام والسروجي والمنبجي وغيرهم من كتبة العصر الذهبي .



القصة الثمريّة للشهر السرياني

- ١ - مار افرام النصيبيني : نبي السريان - الشاعر العبقرى
- ٢ - مار يعقوب السروجي : الملقان - الشاعر الموهوب
- ٣ - مار اسحق الأمدى : الملقان - الشاعر الحكيم

ملافة الكنيسة الكبار

معلمو الايمان القويم

واضعو اسس الطقس السرياني

في البيعة ، وتبسطوا في نشره . وفسره مار افرام ولم يبق من تفسيره إلا ترجمته الارمنية . ودام استعمال الديايطسرون حتى الربع الاول من المئة الخامسة اذ الغاه رابولا مطران الرها حرصاً على سلامة الكتاب المنزل ، واحل محله الاناجيل المفردة ، فزال تداوله من البيعة وبقي منه نسخ للمطالعة . ولا يوجد من الديايطسرون باليونانية سوى خمسة عشرة سطرأ ، وبالسريانية شذرات لا تعني فتيلاً ، وفي اوائل الجيل الحادي عشر نقل ابو الفرج عبدالله بن الطيب الكلداني كتاب الديايطسرون هذا الى العربية . وقد طبع السيد شيامسكا هذه الترجمة سنة ١٨٨٨ (١٢) .

ماني الفيلسوف : ولد وثنياً في مدينة السوس حوالي سنة ٢١٥ ، تثقف وتربى على مذهب زرادشت الفارسي القائل بالهين اله الخير وهو هرمز واله الشر وهو اهريمان . ثم تنصر ، ثم خلط في الدين المسيحي كثيراً من آراء زورداستر ، وانشأ مذهباً جديداً على اساس المجوسية الفارسية قيل انه زعم انه الفارقليط . وقال ان المسيح

(١٢) ادى شير : كلدو وآثور مج ٢ ص ٢١ - ٢٠ والمجلة
البطريكية السريانية في القدس السنة ١ ص ٩١ .

ظهر بنوع خيالي وانكر القيامة العامة ، وعلمم بالتقمص ،
ورفض الزواج . واختار له اثني عشر تلميذاً طاف بهم في
بلاد شتى ناشراً مذهبه الجديد . وفي عام ٢٦٨ حرمه المجمع
الانطاكي مع بولس السيساطي ، ثم سلخ جلده بهرام
الاول وصلبه عام ٢٧٥ .

كتب ماني بالسريانية والفارسية رسائل ومقالات ،
مخترعاً لها ابجدية خاصة ، وقد ذكر له بعضهم سبعة كتب
رئيسية ، ستة منها بالسريانية وواحد بالفارسية (١٣) .

لا نستطيع ان نقول شيئاً في ادب المانويين الآرامي ،
لان لم يصل الينا شيء من ادبهم الاصيل ، كل ما نعلمه
ان ماني وضع تأليفه باللهجة البابلية ، وكتب المانويون في
ما بعد بالفارسية وظلوا مع ذلك يستعملون الحروف المقتبسة
من السريانية .

افراهاط القارسي : ولد مجوسياً في بعض بلاد الفرس ،
تنصّر وترهب ونحله بعضهم اسم يعقوب ونسبوا اليه

(١٣) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ ص ٤٨١ و ص ٤٨٧ .

وترجمه ميركس الى الالمانية سنة ١٨٦٣ ونو طبعه مع
الترجمة الافرنسية سنة ١٨٩٩ .

وكان برديسان شاعراً مفلماً ، قرص الشعر السرياني
وتوسّع في اوزانه . ومن تصانيفه الضائعة كتاب في الفلك ،
ومئة وخمسون نشيداً على طريقة مزامير داود .

انحرف برديسان عن جادة المسيحية ، وسقط في بدعة
خلط بعض آراء الوثنية في المعتقد المسيحي ، وتورط في
معتقدات اخرى فاسدة . فنبذته الكنيسة ، واقصته عن
حظيرتها . وقد اخبرنا مار افرام السرياني ان برديسان دس
اضاليله في نشائد نظمها على نسق المزامير مخترعاً لها الالخان ،
فافتن بانشادها الفتيان والفتيات في الرها . وتوفي عام ٢٢٢ م .

ططيانس : ولد في اسرة وثنية آثورية حوالي سنة
١١٠ في حدياب (ولاية آثور) وعرف بالآثوري . وكانت
لغة ابويه السريانية لغة اهل آثور في ذلك الحين . وكان
موهوباً درس اللغتين السريانية واليونانية فاتقنها ، وتبحر في
الخطابة والادب والفلسفة وحصل على معظم علوم عصره .
وفي عام ١٥٠ انطلق الى رومية وتقرب الى المسيحيين ،

واطلع على الكتاب المقدس ففضله على كتب فلاسفة اليونان
والرومان فتنصر وتلمذ للقديس يسطينس النابلسي الفيلاسوف
الشهير . ودافع عن النصرانية في كل قواه ووضع مؤلفات
عديدة مبنياً سموها وفضلها على الوثنية . ثم رحل الى
بلاد اليونان عام ١٥٢ - ١٥٣ يدافع عن صحة الدين
المسيحي . ثم عاد الى رومية عام ١٦٧ فأنشأ فيها مدرسة .
واخيراً عاد الى بلاده ما بين النهرين وتصدر للتعليم في احدى
مدارسها في عام ١٧٢ .

شط ططيانس وانحرف عن جادة الحق المسيحي فوقع
في شرك بدعة وخيمة ، فاقصته الكنيسة من حظيرتها ،
فقام في الرها على الارجح حتى وفاته عام ١٨٠ م .

صنف ططيانس باليونانية تأليف شتى ، ولا يعرف له
بالسريانية إلا الدياطسرون ، والدياطسرون لفظ يوناني مركب
مدلوله (من خلال الاربعة) وهو اسم للانجيل الموحد
الذي يشتمل على سيرة السيد المسيح وتماليمه الالهية .
ووقع الدياطسرون عند السريان في الرها وولايتي الفرات
وما بين النهرين اجمل موقع لسهولة وجوده انشائه وترتيبه
التاريخي فاطلقوا عليه اسم « الاناجيل المختلطة » وقرأوه

وبرديسان ٢٢٢ م ومانى فى اواسط القرن الثالث وثلاثتهم
من المتنصرين القادمين من الوثنية ثم انحرفوا عن جادة
الحق والصواب . ومن الادباء والعلماء المسيحيين اصلاً مار
افرام السريانى وتلامذته ، وافرھاط الفارسى ، ومار يعقوب
السروجى ، واسحق الآمدى . كما نجد فى هذه الحقبة ايضاً
بولس ابن عرقا او عنقا الرهاوى فى اواخر القرن الثانى
واوائل الثالث الذى اجد صناعة الخط واستنبط القلم
المعروف بالاسطرنجيلى . كما نجد ايضاً ادباء آخرين كتبوا
جهاد بعض الشهداء بانشاء حسن ، وبرز قسم آخر من
العلماء اسهموا فى ترتيب الطقس الكنسى امثال مار شمعون
برصاعى ٣٤٣ + الذى نظم اغاني روحية حلوة .

ترجم بعض الادباء فى هذه الحقبة (١١)

برديسان : فيلسوف سريانى كبير ، وشاعر موهوب .
ولد بالرھا وثنياً سنة ١٥٤ ودعى برديسان نسبة الى نهر

(١١) المراجع : اللؤلؤ المنثور للبطريك افرام برصوم ، تاريخ الكنيسة
لابن العبرى ، تاريخ الكنيسة الانطاكية اغناطيوس يعقوب
الثالث . الدرر النفيسة للبطريك افرام برصوم . كلدو وآثور
لادى شير .

ديسان الذي كان يروي مدينة الرها . تربي وتهذب في قصر معنو الثامن ملك الرها ومن هذا 'يستدل ان اسرته كانت من علية القوم . استقى علومه عن حكام بابل وفلاسفة العراق الاقدمين ، وقد شهد هو عن نفسه بتشربه الآداب الآرامية القديمة في بابل ويسأل تلميذه عويداً مفاخرأ « هل قرأ هو ايضاً مثله كتب بابل وآدابها الآرامية ؟ ، فتبحر بالفلسفة وعلم الفلك وسائر العلوم الطبيعية ، واتقن اللغتين اليونانية والسريانية ، وغدا من امراء اللغة السريانية . تنصر على يد اوشتامب اسقف الرها ورسم شامساً وقيل كاهناً ايضاً . جبر مقالات رائعة في السريانية رداً على اهل البدع وانتصاراً للنصرانية . وصار يمثل الثقافة السريانية المسيحية خير تمثيل . وذهبت له شهرة واسعة في حقول الآراميات . وضع بالسريانية كتباً شتى لم يبق منها غير الكتاب الموسوم بـ « شرائع البلدان » املاه على تلميذه فيلبس وناقش فيه قضية القضاء والقدر ، مصرحاً بوحدانية الله . وهو اول كتاب سرياني في الفلسفة في الدور المسيحي ، وجد فيه المستشرقون اهمية كبرى فدرسوه وترجموه الى لغاتهم الاوربية :

طبعه كورتون مع ترجمته الانكليزية سنة ١٨٨٥ ،

ستتضمن هذه السلسلة خمسة اجزاء بدلاً من اربعة حيث
كنا قد ذكرنا في مقدمة الجزء الاول ، ان هذه السلسلة
تتضمن على اربعة اجزاء .

المرحلة الاولى

وتشمل هذه المرحلة الادباء المتنصرين من الوثنية ،
وثبتوا في دينهم المسيحي الجديد ودافعوا عنه بكل قواهم ،
وبالادباء المتنصرين ثم ارتدوا عن المسيحية ومالوا الى آراء
فاسدة مثل برديسان وطيطاس ، وبالادباء المسيحيين اصلاً .

قال رينان المستشرق الفرنسي « ان الآداب السريانية
انتقلت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديسان »
ويقول جرجي زيدان « وما ان تألفت النصرانية وانتشر دعائها
في البلاد ، وافترقت الى طوائف ومذاهب كان للسريان
حظ كبير من كل ذلك ، وكان لهم تأثير ذو شأن في
تاريخ النصرانية » .

كان للسريانية في هذه الفترة التاريخية التي تقدر بنحو
اكثر من خمسمئة سنة ، ادب سرياني زاهر ، وثقافة لها
وزنها وحجمها ، غير ان ما عللناه في سبب ضياع الادب

السرياني الوثني ، في الشرح السابق ينطبق على واقع هذه
المرحلة ايضاً الى حد ما سيما في القرنين الاول والثاني .
يضاف الى ذلك ما لاقته الكنيسة السريانية من اضطهادات
عنيفة تارة من الروم وطورا من الفرس والمجوس . ولا
يخفى ايضاً ان السواد الاعظم من ابناء كنيسة سورية ولبنان
كان سريانياً جنساً ولفة غير ان بطاركتهم واساقفتهم وكبار
علمائهم برعوا باللغة اليونانية لغة الدولة والادب يومئذ وتأدبوا
تأديبها ، وصنفوا بها مصنفاتهم طيلة القرون الاربعة الاولى
البطركين مار اغناطيوس النوراني ١٠٧ + وثاوفيلس
الانطاكي ١٨٢ + ومار لوقيانس السميصاطي قسيس كنيسة
انطاكية ٣١٢ + والذهبي الفم ٤٠٧ + وحتى ان المنتج
سرياني نقل الى اليونانية ، منها تأليف برديسان والقديس
ارام و هذا ما سنبجته بالتفصيل في المواضيع القادمة
سبب ذلك ان الكنيسة السريانية كانت تهدف الى انعاش
عقيدة ولا تعر اهمية للعنصرية . غير انه بالرغم من ذلك
بد ابدى علماء السريان نشاطات ملحوظة في حقل
سريانيات ، منها نقل الكتاب المقدس الى السريانية وهي
ترجمة المعروفة بالبسيطة . كما ظهر خلال تلك الفترة
ايضاً فلاسفة على مستوى عالٍ امثال طيطانس ١٨٠ م

« سمي ذوو التمييز من الحكماء القدماء من غير اهل
لساننا ، الانسان : عالماً صغيراً . اذ فيه جميع القوى التي
هي موجودة في الكل » (١٠) . لا شك في انه يشير الى علماء
السريان وبنوع خاص الى مار احو دامه من مدينة بلد
اسقف العرب فجائليق المشرق منوهاً ضمناً بكتابه الموسوم :
« الانسان العالم الاصغر » اذ لم يذكر قط ان غيره قال
بهذه النظرية قبله .

ونرى في كتاب : « علة كل العلل » للرهاوي المجهول
في القرن العاشر الميلادي ، نظرية الانسان الاعلى التي اتي
بها نيتشة الفيلسوف الالماني الشهير مردداً صدى فكرة
فيلسوف سرياني آخر . وكما نجد في هذا الكتاب بالذات
نواة لنظرية غاليلو العالم الفلكي .

ان علماء السريان المسيحيين ، كتبوا في ثلاث لغات هي
السريانية لغتهم الخاصة ، والعربية ، واليونانية . ولم يكتبوا
بنتائج قرائحهم الخلاقه بل احتكوا بشعوب اخرى ونقلوا
الى لغتهم احسن ما لديهم من نتائج العقول ، وثمار المعرفة .

(١٠) رسائل الكندي الفلسفية ص ١٧٣ و ٢٦٠ .

والوقوف على ذلك كله نود ان نقطع ثلاث مراحل تاريخية حيث تظهر السريانية بشموخها وعنقوانها ، ولدى الوقوف على ذلك كله يحرس بعض المستشرقين المتعصبين الذين قالوا باطلاً : « اللغة السريانية لغة تهاليل القيامة وعذاب القبور » ، سوف تجد انها لغة ادب وعلم وفلسفة ودين . وهذه المراحل الثلاث كالاتي :

المرحلة الاولى : وتبتدىء من عصر قيام المسيحية حتى ما قبل عصر الفتح العربي والذي ينتهي بالقديس مار يعقوب السروجي ٥٢١ + .

المرحلة الثانية : وتبتدىء من اواخر القرن السادس وحتى سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨ وظهور المغول والتر .

المرحلة الثالثة : من اوائل القرن الرابع عشر وحتى يومنا هذا .

وسيتناول هذا الجزء (الجزء الثالث) المرحلتين الاولى والثانية . وسنفرد للمرحلة الثالثة جزءاً آخر يكون الجزء الرابع من كتابنا « السريان ايمان وحضارة » ، وبذلك

٥٢١ + مار فيلكسينوس المنبجي ٥٢٣ + سرجيس
الرأسعيني ٥٣٦ + مار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ + البطريك
مار ديونيسيوس التلمحري ٨٤٥ + مار ايوانيس الداري
٨٦٠ + مار موسى بن كيغا ٩٠٣ + مار يعقوب بن
صليبي ١١٧١ + البطريك مار ميخائيل الكبير ١١٩٩ +
ابن العبري ١٢٨٦ .

ومن المبرزين في القرن العشرين البطريك افرام برصوم
١٩٥٧ + المطران يوحنا دولباني ١٩٦٩ + المطران بولس
بهنام ١٩٦٩ + البطريك يعقوب الثالث ١٩٨٠ +
البطريك زكا الاول عيواص الجالس سعيداً .

نسمع صدى هذه الثقافة في روائع عطاءات الثقافات
العالمية القريبة ، فمثلاً ان قصيدة الفردوس المفقود تلك
الملحمة الخالدة للشاعر الانكليزي الضير ملتون التي وضعت
سنة ١٦٤٢ ليست إلا صدى لقصيدة سريانية وضعها شاعر
سرياني يدعى اسحق الأمدى في القرن الخامس المسيحي
سماها « الحلم الذي رآه آدم عن الفردوس » وللمطران
بولس بهنام مقالة طريفة في هذا الموضوع^(٨) .

(٨) مجلة لسان المشرق - السنة الاولى - ١٩٤٩ العدد ١٠ ص ١ - ٨

وفي مقالة رائدة للدكتور فؤاد افرام البستاني تحت عنوان : « جنة الفردوس في شعر مار افرام » يقول :
« من لنا بصوفي مصطفى وشاعر الهي ، سوى مار افرام
ينقلنا على اجنحة الشعر ورؤى النبوة باناشيده الخمس عشرة
الى مرابع الفردوس ليرينا قبل داتي بالف سنة وقبل
ملتون بالف وخمسة مئة ما لا عين رأت ، ويسمنا ما
لا اذن سمعت » (٩) .

ونظرية « الانسان عالم صغير » التي طلع بها الى عالم
الفكر هررد الالماني ليست إلا ترديداً لصدى فكرة ولدت
في عقلي العالمين السريانيين هما : القديس مار يعقوب السروجي
في القرن السادس ، والقديس مار احودامه اسقف العرب
فجائليق المشرق في القرن السادس ايضاً . وقد اشار اليها
فيلسوف العرب الكندي حيث جاء في رسالته في حدود
الاشياء ورسومها ما يلي : « ان في العالم تديراً اشبه
بتدبير النفس للبدن . . . ولهذا العلة سمى الحكماء الانسان
العالم الاصغر » وفي رسالته الى احمد بن المعتصم يقول :

(٩) محاضراته في مهرجان افرام - حنين في بغداد ١٩٦٢ .

انجيل متى ٢٤ : ٤٢ وما يليه تكاد تكون قصة نادان
ابن اخت احيقار . وفي رسالة بطرس الثانية ٢ : ٢٢
نقرأ : « لقد اصابهم ما في المثل الصادق ، كلب عاد الى
قيئه وخنزيرة مغمسة الى التمرغ في الحمأة » ويقول احيقار
لابن اخته نادان : « يا بني انت صرت مثل الخنزير الذي
دخل الحمام مع الاكابر فلما خرج نظر جورة (سيان)
تنته فنزل وترغ فيها » وهو المثل الذي استشهد به بطرس
الرسول .

ويعتبر كتاب احيقار هذا اول كتاب من نوعه في
تاريخ الحكمة البشرية ولا يزال بلغته الآرامية الاصلية ،
وقد ترجم الى اليونانية والعربية . وقدّم فيه المطران بولس
بهنام دراسة جيدة ومفصلة في كتابه الموسوم « احيقار
الحكيم » (٧) .

ومن الآثار الباقية ايضاً ابيات قليلة للشاعر الفيلسوف
وافا الذي عاش قبل المسيح بدهر طويل . اضيف الى ذلك
اساطير منقوشة على بعض اضرحة الملوك الاباجرة في ولاية

(٧) المطران بولس بهنام - احيقار الحكيم - مطبوعات مجمع اللغة السريانية
بغداد ١٩٧٦ .

الرها ، وكتابات مزبورة على الحجارة والقرميد في خرائب
بعض المدن المندثرة .

والفيلسوف مارا بن سرافيون السميساطي رسالة لطيفة
كتبها لتثقيف ابنه في اواسط القرن الثاني للميلاد ، وكلها
حكمة وموعظة ، وتظهر فيها مبادئ الفلسفة الرواقية .

المرحلة المسيحية

تعتبر الثقافة السريانية في المرحلة المسيحية كنسية ودينية
قلباً وقلباً ، سيما انها نتاج قرائح عقول اكيريكية من
بطاركة ومطارنة ورهبان وشمامسة . وتشمل صنوف المعرفة
كافة ، الكتاب المقدس ، اللاهوت ، التفسير ، الفقه
الكنسي ، المنطق ، الفلسفة ، الاخلاق ، التاريخ الكنسي
والمدني ، الموسيقى ، الطب ، الجغرافية ، العلوم الطبيعية ،
اللغة ، النحو وبالجمل سائر المعارف البشرية بدون استثناء .
وقد تركزت هذه الثقافة على العلوم الدينية فاشيعا واضعوها
درسا وتحقيقاً وتركوا فيها مجلدات ضخمة .

ومن قادة هذه الثقافة البارزين ، وفي هذه المرحلة
بالذات : مار افرام السرياني ٣٧٣ + مار يعقوب السروجي

جداً في التاريخ ، لا بل الخطوة الاولى والوثبة الكبرى نحو الثقافة والمعرفة . وبكل جدارة واستحقاق دعيت السريانية : « ام الحضارة » و « اميرة الثقافة » ، كما دعي السريان فيما بعد « معلمو الشرق » . قال ديودورس الصقلي المؤرخ اليوناني الشهير في القرن السابع قبل الميلاد : « ان استنباط الكتابة يعود فضله الى السريان » وقال احد ملوك الهند سنة ١٨٨٠ م مخاطباً السريان : « امتمكم قديمة ، ومثال سام للتاريخ المجيد » .

اما من حيث الآثار الادبية والعلمية فمما يدعو الى الاسف والام الشديدين . انه لم يصل الينا كتاب سرياني لافي الدين ولا في الادب بالرغم من انتشار اللغة السريانية انتشاراً هائلاً وسيادتها على جميع مرافق الحياة كما علمنا . وقد عزا الباحثون السبب في ذلك الى ان الآراميين بعد اعتناقهم الدين المسيحي المبين وتذوقهم حلاوته ، ضحوا في سبيله باغلى ما عندهم ، وارادوا ان يقطعوا كل صلة لهم مع الوثنية فلم يكتبوا بان يبيدوا اسمهم القديم الآرامي او التخيلية عنه ، واخذهم تسمية مسيحية جديدة وهي « السريانية » كما سبق شرحه ، ولكنهم ذهبوا الى اكثر من هذا . انهم

اصبحوا ينظرون الى كل شيء يشم منه رائحة الوثنية نظرة
غير مريحة ، فحطموا التماثيل والنصب التذكارية التي اقيمت
لاجدادهم ، ومحووا الكتابات ، واحرقوا كل الكتب والآثار
المدنية والعلمية خشية ان توقع معالمها الوثنية احفادهم في شرك
الوثن فصار « كل شيء من اجل الله » لذلك طمست
اخبار اجدادنا علينا وتحفى تقاجهم ، وضاع ادبهم . وما
وصل اليانا ان هو إلا نماذج بسيطة لا نستطيع ان نبنى
عليها حكماً من ذلك : كتاب احيقار وزير منحاريب ملك
اشور ٦٨١ ق . م ثم لابنه اسرحدون ٦٨٠ - ٦٦٨ ق . م
ان قصة احيقار هذه تنطوي على نصائح وحكم ، مبنية على
ثلاثة عناصر رئيسية ، القصة ، والاخلاق ، والالغاز .
وهي تدور حول الفكرة التي يتضمنها المثل الآرامي القديم :
« من حفر حفرة لآخيه وقع فيها » او القول العربي :
« اتق شر من احسنت اليه » وقد وردت الاشارة الى خبره
في سفر طوبيا ١٤ : ١٠ ولا شك في ان هنالك صلة
وثيقة بين سفر دانيال وقصة احيقار ناهيك عن الأمثال
الواردة في اسفار التوراة والتي لها صدى في خبر احيقار .

اما في اسفار العهد الجديد ، فان قصة العبد الشرير
الوارد ذكرها في انجيل لوقا ١٢ : ٤١ وما يليه . وفي

تشير الآثار اليونانية الى ان اليونان تعلموا الكتابة من
الفينيقيين قدموا اليها من الجهة الغربية من بلاد الشام قبل
المسيح بقرون ، بقيادة رجل اسمه « قداما » وهو اسم
سرياني معناه الاول . ولكن هذا لا يعني ان الفينيقيين هم
الذين اخترعوا صناعة الكتابة ، انما جلبوا هذه الصناعة
من مكان الى مكان ، وواضح ان هنالك فارقاً ما بين جلب
الشيء من مكان الى مكان آخر ، والاختراع . وهب ان
الفينيقيين هم مخترعو الكتابة فهؤلاء هم ايضاً من العنصر
الآرامي^(٣) . وكانت لغتهم اما سريانية واما اقرب الى
السريانية من سائر اللغات السامية^(٤) . ومن الفينيقيين اخذ
اليونان حروفهم . وقد حافظ اليونان على الاسماء السامية
للحروف وعلى شكلها العام وترتيبها . وكانت تكتب الحروف
في اقدم الكتابات الاثرية اليونانية من اليمين الى الشمال .
ونقل اليونان في القرن السادس ق.م اجدية ادخلوا اليها شيئاً
من التحسينات الى الرومان . وعن اليونان والرومان اخذت

(٣) انجيل مرقس ٧ : ٢٦ .

(٤) المطران يوسف داود : اللعة الشبية ٢

الامم الغربية حروفها الابدجية (٥) كما نقل الآراميون
ابدجتهم الى العرب والهنود والارمن وسائر الشعوب الشرقية
كما قال الدكتور فيليب حتي : « مع انتشار اللغة الآرامية
انتشرت الابدجية الفينيقية التي كان الآراميون اول من
اقتبسها وامتمعت في لغات اخرى في القارة الامسيوية .
وحصل المبرانيون على ابدجتهم من الآراميين بين القرنين
السادس والرابع . واخذ عرب الشمال ابدجتهم التي كتبت
بها القرآن من الآرامية التي استعملها الانباط . كذلك حصل
الارمن والفرس والهنود على ابدجتهم من مصادر آرامية .
وحرف البهلوية والسفسكرية هي من اصل آرامي . وحرف
الكهنة البوذيين من الهند الابدجية السفسكرية الى قلب
الصين وكوريا . وهكذا وصلت الحروف الفينيقية شرقاً
بطريق الآرامية الى الشرق الاقصى ، وغرباً بطريق اليونانية
الى الاميركتين مطوقة العالم كله » (٦) .

ان هذا الفتح الحضاري الذي طلعت به الامة السريانية
واعني به اختراع النظام الابدجي ونشره ، يعتبر امر خطير

(٥) الابراشي . الآداب السامية ص ٤١ ويوسف داود الفصاري ص ٢٧
(٦) فيليب حتي : تاريخ سورية ١١٧ - ١١٨ و ١٨٣ .

ان المتبع لمجرى الثقافة السريانية وما حوته من حقائق روحية حاسمة ، وما سجلته من نتائج هامة ، دينية وادبية وعلمية ، يجدها حصيلة جهود طويلة ، واجيال متواصلة . وبالرغم ممّا المّ في تراث هذه الثقافة من الحيف والعسف وبما انتابه من الآفات من نهب وسلب وحريق وضياع وتلف كما علمنا ، فان ما تبقى بين ايدينا وما احتفظت به خزائن الكتب العالمية شرقاً وغرباً كما مرّ شرحه ، يكفي ان يعطي فكرة واضحة صحيحة عن السريان ويرفع من شأنهم ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في عالم الثقافة والحضارة والدين .

لقد وجد المستشرقون في هذا التراث ثروة اديبية ضخمة ، ومادة فكرية دسمة ، فانكبوا عليه بكل جوارحهم ، وتناولوه بالدرس ، واحاطوه بهالة من العناية الفائقة .

تتناول الثقافة السريانية مختلف فروع العلم والمعرفة ، وتمتد من القرن السابع قبل الميلاد وتتلور في العهود المسيحية ، وتقوى وتشتد في القرون السابع والثامن والتاسع والعاشر وما بعدها ولا تزال حتى يومنا هذا . وبذلك بوسمنا ان نقسمها الى مرحلتين كبيرتين ، الوثنية والمسيحية .

المرحلة الوثنية

مما لا شك فيه ان كان للسريان الآراميين في عصرهم الوثني ثقافة آرامية زاهرة ، وحضارة شامخة ، تتمثل في المدارس الكثيرة والمكتبات الضخمة ، والشخصيات العلمية المدينة والبارزة ، والانتاج الزاخر ، والعطاء الغزير . قال جرجي زيدان : « السريان بقايا الكلدان الذين انشأوا تمدنا . ووضعوا علوماً هامة ، ورصدوا الكواكب ، واخترعوا المزاول ، ووضعوا اسس الطب قبل الميلاد بقرون » وقد بدأ للدارسين والمتبعين ان كان للآراميين السريان ادب وفلسفة ومختلف فروع المعرفة ، وهم الذين وضعوا اصول العلوم بأسرها . فقد رصدوا الأفلاك ، وقسموا السنة الى اشهر وايام وماعات ، وتميز كهنتهم القدماء بالشعر ، فنظموا القصائد الرائعة والمزامير لآلهتهم . قال رينان العالم الفرنسي : ان آداب اللغة الآرامية الكتابية تسربت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديسان في القرن الثاني (٢) .

وخير ما تعزبه الامة الآرامية السريانية وتهي به فخراً ودلالاً ، انها ابتكرت حروف الهجاء ، واستنبطت الكتابة .

(٢) شابو آداب اللغة الارامية ص ٢٠ .

الثقافة السريانية

أمم الشرق عريقة في المدنية ، ضاربة في اعماق المجد
والسؤدد ، وقد كتبت الفصول الاولى في تاريخ الانسانية ،
ومثلت اعظم ادوار الحضارة على هذه الارض .

والثقافة السريانية جانب مشع من حضارة الشرق ،
ومقياس ثابت لابعاد النشاط الفكري لدى السريان ، ومؤشر
واضح لدور الأمة الآرامية السريانية في دفع عجلة الحضارة
الانسانية الى الأمام .

ان كل حضارة من حضارات الأمم ، وكل ثقافة من
ثقافات شعوب الدنيا ، تشتمل على الوان متنوعة من الفكر
الانساني ، وتحتوي على مجموعة من معارف الشعوب ، ذلك
ان كل ثقافة او حضارة صبّت فيها عطاءات الفكر البشري ،
وتطعمت بمختلف الثقافات والحضارات ، عن طريق
الاقتراب المتبادل وانصهار الثقافات المختلفة في بوتقة واحدة ،
ولا عرو اذا ما اطلق بعض العلماء على الثقافة العالمية تسمية
« الحضارة الانسانية المشتركة » ، فهي والحالة هذه ملكاً للعالم
بأسره ، وليست وقفاً على أمة واحدة .

كانت سيادة العالم الفكرية في بدء عصور التاريخ في الشرق في بابل وحوالي دجلة والفرات ، حيث كانت تقطن الاقوام السامية سيما الآرامية . ثم انتقلت السيادة الحضارية العالمية من الشرق الى الغرب الى اليونان والرومان . فسادت الثقافات اليونانية والرومانية العالم شرقاً وغرباً ، ثم انتقلت هذه السيادة وفق ناموس البيعة الى الشرق مرة اخرى قبيل ظهور العرب المسلمين ، وقد اسهم في ذلك السريان المسيحيون اسهاماً فعّالاً ولعبوا دوراً كبيراً في هذا المضمار . وكانت عواصم تلك الحضارة سورية حيث انتشرت فيها المدارس الكبرى في الرها ونصيبين وقنسرين وحران وجنديسابور ثم سادت الحضارة الاسلامية العربية بفضل السريان العالم الشرقي ثم انتقلت الى الغرب متخذة مقرها الاندلس ، وعاصمة هذه الحضارات كانت قرطبة .

لذلك فان المدينة الغربية الحاضرة لا يصح ان تنعت بالغربية فقد اسهمت فيها شعوب كثيرة شرقية وغربية . والوصف الصحيح لها انها مدنية علمية انسانية^(١) .

(١) الدكتور ابو شادي : ثورة الاسلام ص ٤٠٤ والدكتور صبحي الحصاني في احدي محاضراته .

آمد الكلدانية ، فقلانية بطريكية الكلدان بالموصل سنة

. ١٩١٩

وفي دير الشرفة كتاب كنز الاسرار شرح العهدين لابن
العبري نقلها ناسخها عن نسخة المؤلف نفسها . وقد اورد
التاريخ في صدر الصفحة ٤٠٨ وهي الاخيرة ما نصه وتعريبه
« انتهت الرسالة الى العبرانيين ، وبانتهائها كمل كتاب كنز
الاسرار بيد مؤلفه ابن العبري في منتصف كانون الاول

١٥٨٣ ي ١٢٧٢ م .



التقاف

السريانية

الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء
لجميع التكريتيين الذين اشترؤوا هذا الدير من الاقباط بمبلغ
اثني عشر الف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس
الكبير .

وعدا مخطوطات الكتاب المقدس ، ففي المتحف
البريطاني مخطوطة انجزت سنة ٤١١ م تحوي تاريخ شهداء
فلسطين ، وكتاب الظهور الآلهي لاوسابيوس القيصري .
وخطب طيطس اسقف بصرى ٣٧٥ ضد اتباع ماني المبتدع .
وفي ليننغراد بطرسبرج مخطوطة فرغ من تعليقها عام ٤٦٢
تحوي التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري .

هذا وهنالك عدد من المخطوطات في هذه المكتبات
يرقى عهدها الى القرون الخامس والسادس والسابع .

واما في مكتبات الشرق فهي ايضاً تحتوي على مخطوطات
نفيسة قديمة فمن اسفار العهدين :

في دير مار متى ، اسفار العهد الجديد - بعمودين ، الاول
سرياني بالقلم الغربي ، والثاني نقله الى العربي بالحرف العربي
نسخة الشاس مردينا بن يوسف مركيز بن قوما من قرية بامسخراري

في العراق - الموصل عام ١١٧٧ م . وفي مكتبة الدير
ايضاً انجيل كنسي - سرياني بالقلم الغربي وبحسب النقل
الحرقلي . نسخه الراهب القسيس بهنام من مدينة سجستان
عام ١٢٢٢ م عن نسخة مضبوطة قديمة جداً يرتقي عهدها
الى عام ٦١٦ م .

وفي خزانة دار البطريركية في دمشق ثلاثة اناجيل
كنسية اسطرنجيلية على الرق ، الواحد بخط الراهب الشماس
عمانوئيل ابن اخي يوحنا السبيري مطران دير قرتمين
٩٩٨ - ١٠٣٤ . والثاني بخط الشماس بطرس الكاتب ومعلم
مدومة ملطية ابن القس جبرائيل ، انجزه في ملطية يوم
السبت ٢١ كانون الثاني سنة ١٠٥٥ وزخرفه بخمس صور
ملونة . والثالث بخط الراهب عبدالمسيح من رهبان دير
مار جرجس غربي مدينة ماردين انجزه سنة ١١٧٠ .

وهذا كتاب الايام الستة وهي نسخة نفيسة على الرق
لكتاب « الايام الستة » لمار يعقوب الرهاوي ٧٠٨ +
انجزت في ٥ ايار عام ٨٢٢ م في هيكل الدياتون العتيق
لكنيسة الرها الجديدة وعملت لثاودوسيوس مطران الرها .
نقلت بعدئذ الى مكتبة دير مار متى ، ثم صارت الى خزانة

- ٣٧٨ في دار الكتب الوطنية بباريس
- ١٥٠ في فلورنسا
- ٢٥٠ في ارمية - مكتبة المرسلين البروتستانت

هذا عدا المخطوطات في برمنكهام ، ودبلن ، والقدس ،
 ودير الشرفة ، ودمشق ، وطورعبدین ، وحلب ، ودير مار
 متى والموصل ، وبيروت وغيرها (٥٨) .

اقدم المخطوطات السريانية

لا نبالغ اذا صرحنا بان المخطوطات السريانية التي تحتفظ
 بها مكتبات الشرق والغرب هي من اقدم مخطوطات
 الدنيا واثمنها .

ويروق لنا ان نذكر بعض هذه المخطوطات القديمة
 المصونة في الخزائن الشرقية والغربية . في مقدمتها مخطوطات
 الكتاب المقدس .

١ - في المتحف البريطاني في لندن اقدم نسخة من
 الانجيل المقدس في اللغة السريانية هي النسخة المعروفة

(٥٨) محمد عطية الابراشي : الآداب السامية ص ٦٤ .

بالسينائية تمييزاً لها من سواها . خطها الكاتب يعقوب
في الرها سنة ٤١١ م . وقد نشر المستشرق بيركيت سنة
١٩٠٤ في كبردج نصها مع ترجمة انكليزية .

٢ - في مكتبة لندن ايضاً خمس نسخ من الكتاب
المقدس الترجمة البسيطة مكتوبة منذ سنة ٤٥٠ م بالخط
الاسطرنجيلي .

٣ - في المكتبة الفاتيكانية نسخة من الكتاب المقدس
مكتوبة سنة ٥٤٨ .

٤ - في فلورنسا نسخة مصورة من الكتاب المقدس
والمسماة بـ « انجيل رابولا » يرتقي عهدا الى عام ٥٨٦ م .
وقد سبق خبرها .

٥ - في ميلان - ايطاليا نسخة نادرة المئتان حوت
امسفار العهد القديم برمتها . وتماماً يدل على قدمها انها جلدت
عام ١٠١٦ م وجددت بعد تفككها وقد طبعها بالنور والحجر
الاب *Asexami* في ميلان سنة ١٨٧٦ في مجلدين .

٦ - في باريس نسخة للعهد القديم انجزت سنة
٧٢٠ م ورد فيها ما تعريبه عن السريانية « وهب لدير برية

الرزى المارونى فى القرن السادس عشر الى رئيس الرهبنة
اليسوعية العام قائلاً « ان كتبنا بغير عدد (٥٦) .

ان من يطالع فهرس مكاتبات الشرق تأخذه الدهشة
من وفرة تلك المخطوطات القديمة الباقية على الرغم ما اصابها
من الرزايا بمرور الاجيال . منها فى الفاتيكان ، ولندن ،
وباريس ، واكسفورد ، وبرلين ، وكبرج ، وفلورنسا ،
وميلانو ، ودير الشرفة وفى دور البطريركيات السريانية ،
ودور المطرانيات .

ومن بين الذين نظموا قوائم للمخطوطات السريانية :
المطران يوسف سمعان السمعاني من لبنان ١٦٨٧ - ١٧٦٨
ناشر قائمة المخطوطات السريانية فى مكتبة الفاتيكان . وبول
كان من المانيا ١٨٧٥ - ١٩٦٤ صاحب خزانة القاهرة
وهي مجموعة مخطوطات سريانية وجدت فى مصر . وارنولد فان
لا نتسشوف واضع قائمة المخطوطات السريانية فى مكتبة
الفاتيكان . وجان درسته من بلجيكا ١٩٥٤ .

وفى بلاد الشرق : الاستاذ الباحثة كوركيس عواد .

(٥٦) فيه ص ١٤٧ نقلًا عن المشرق مجلد ١٨ سنة ١٩٢٠ ص ٦٨٢

والبطريك افرام برصوم الذي نظم قوائم لمخطوطات دير القدس وغير ذلك ولا تزال تلك الفهارس مخطوطة بعد .
والخوري اسحق ارملة صاحب كتاب « الطرفة في مخطوطات دير الشرفة » . وقد عني بمجمع اللذة السريانية في بغداد باعداد فهارس منظمة وكاملة عن المخطوطات السريانية في العراق ونشرها في جزئين عام ١٩٧٧ تحت عنوان « فهارس المخطوطات السريانية في العراق » .

وكان الاب شابو المستشرق الفرنسي قد احصى ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثمانين ٣١٨٥ من المخطوطات السريانية محفوظة لهذا العهد في سبع خزائن فقط في اوربا (٥٧) وكالاتي :

٨٥٠	مخطوطة	في المتحف البريطاني في لندن
٢١٥	-	في جامعة كمبردج
٢٠٥	-	في مكتبة بودلي اكسفورد
٣٥٠	-	في دار الكتب الملكية ببرلين
٦٠٠	-	في المكتبة الفاتيكانية - روما

(٥٧) الاب شابو الآداب السريانية ص ٩ - ١٣ .

الجاثليق صليبا زخا ٧١٤ - ٧٢٨ لما بلغه هذه النسخة
المذهبة رغب في ان يستحوذ عليها ويأتي بها الى مقره في
المدائن . فجاء الى دير بيت عابي باهية لا مزيد عليها
ليحتازها ، فاستقبله الرهبان بما يليق من اجلال . ولما
طلب اليهم اراءته الكتاب ليسرع فيه رائد الطرف لم يكن
من الراهب يوسف رئيس الدير الاتلمية هذا الطلب دون
ان يعلم ما اضره الجاثليق في سريره . فاخرج الكتاب
من الخزانة وسلمه اليه وما ان وقع الجاثليق على هذا
المخطوط حتى اعجب به ، فداخلته رغبة شديدة فيه واخذه
ووضعه في خرجه . فقال رئيس الدير له : ليس لك من
حق في اخذ الكتاب بهذا الوجه الجائر : فاجاب الجاثليق
انكم معاشر المتوحدين ليس لكم حاجة بهذا الكتاب فدعوا
المؤمنون بفرحوا به . وأمر على الفور من كان معه ان
ياخذوا طريقهم للعودة . فلما جرى ذلك هرع جملة شبان
من الرهبان الاشداء ولحقوا بالجاثليق واعترضوا سبيلا
بالحجارة والعصي ، ولما دنوا منه حطوه عن ظهر دابته
وانحوا عليه باللكم والضرب واستردوا منه الكتاب (٥٣) .

(٥٣) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٩٢ .

ومع هذا كله فقد صانت مكاتب اوربا الشهيرة وبعض
مكاتب بلاد المشرق تركت صالحة من تلك الجواهر اليتيمة .
وبالرغم ما اُتلف حرقاً او غرقاً او نهباً وغير ذلك فقد
سالت منها طائفة عظيمة الى القرون المتأخرة . يؤيد ذلك
ما كتبه البطريرك اسطفان الدويهي ١٦٧٠ - ١٧٠٤ عن
النساخ في القرن الخامس عشر فقال ما نصّه : « احصينا
اسماء من كانوا من النساخ في ذلك العصر مما وقفنا على
كتبهم فاذا هم بنيفون على مائة وعشرة نساخ (٥٤) . وقال
الاب دنديني في حديثه عن المخطوطات الوافرة التي كانت
يملكها السريان في لبنان » اخبرني احدكم ان (اليعاقبة)
ادخلوا عن قرب لبلادهم (لبنان) ما يقارب خمسين الى
ستين حمل بغل من كتبهم ما عدا كتاب القديس والفرض
الكنسي اللذين يشكوان سوء حالتها . واما الصالح منها
فيحفظ في خزانة مقفولاً عليه بحرص دون العناية بنسخ
ما اُتلفته يد الاستعمال » (٥٥) . ويتحدث البطريرك ميخائيل

(٥٤) طرازي : اصدق ما كان مع ١ ص ١٢٧ نقلاً عن تاريخ العائلة

المارونية للدويهي ص ١٢٩ - ١٤٠ .

(٥٥) فيه ص ١٠٠ نقلاً عن رحلة الاب دنديني فصل ١٩ ص ٢٤٨ .

الموصل عن الكنيسة السريانية الأم طرحوا في بئر كنيسة
الطاهرة بالموصل مجلدات كثيرة من كتب السريان (٥٠) .
وعندما هجم الاكراد على دير الربان هرمزد عام ١٨٤٤
فقد تمكن الرهبان من تهريب نحو ٥٠٠ خمسمائة مخطوطة
مكتوبة على الرق من عيون المعتدين وايداعها في قبو قديم
عند رابية مجاورة للدير ، ولكن سوء الحظ رافق تلك
الكتب حتى اتى على آخرها . وذلك انه كان قد سقط
مطر مدرار غزير ، وسال تياره من اعالي الجبل فاجتاح
ذلك السيل لدى نزوله كلاً من الكتب والبنية التي تحويها
معاً وهناك عدد عظيم من المخطوطات كان قد اتلفه
الاکراد فقطعوها ارباً على مرأى من الرهبان ورموا باجزائها
في تلك الوهاد التي لا قعر لها ولا حد ، فساقتها تيار
الوادي الذي كان يسيل بجانب الدير (٥١) .

هذا ، وهناك احداث اخرى عدا هذه اسهمت في
اتلاف الكتب وضياع المخطوطات كاخفائها عن اعين المعتدين
بغية صيانتها ومثلما فعل المطران الياس الموصلبي الذي ترأس

(٥٠) الحوري اسحق ارملة : السريان في القطر المصري ص ٤٧ و ٤٨

(٥١) كوركيس عواد : دير الربان هرمزد ص ٥٠ .

دير مار بهنام في اوائل القرن التاسع عشر لما اصبح مفريانا نحو سنة ١٨٢٥ وتوجه الى دير الزعفران ، وقبل مغادرته الدير اخفى الكتب (٥١) .

لقد كان الرهبان يحرصون كل الحرص على الحفاظ على المخطوطات والكتب ، واعتماد معظم الكتاب ان يذيلوا الكتب بتحذير شديد لمن يجرؤ ان يسرق الكتاب او يأخذه خارج الدير ، ويوردون مثل عبارة « من يسرق هذا الكتاب او يأخذه خارج الدير ليكن له جبل يهـ-وذا الاسخريوطي ، وان يكون محروماً من ملكوت السماء الخ » ولعل الخبر التالي يؤيد ما نحن بصدده :

كانت خزانة دير بيت عابي (٥٢) تضم ما بين ما تضم نسخة فاخرة فائقة الجمال من الانجيل مذهبة ومجلدة تجليداً نفيساً بالذهب الابريز ومرصعة بالاحجار الكريمة . وان

(٥٠) الخوري اسحق ارملة : انباء الرمان ص ٥٥ .

(٥٢) انشىء هذا الدير في مرج الموصل في اواخر المئة السادسة ، وظل عامراً حتى غارات تيمورلنك في اواخر المئة الرابعة عشرة . وترى اليوم اثاره وانقاضه وراء جبل العقر .

كما ان الكلدان الكاثوليك في الارمنة المتأخرة جعلوا فريسة
للنار في ملبار وبنغداد والموصل كتباً كثيرة نفيسة لكونها
تحتوي تعليم نسطور او اسمه فقط لا غير(٤٦) ومن الآفات
الآخرى غير الحرق ، كالنهب والسلب والتبعثر هنا وهناك ،
ومن جملة هذه الاحداث ففي عام ١١٧١ نقلت معظم كتب
دير مار متى الى الموصل خشية ان يتلفها الاكراد . وفي
سنة ١٢٤١ نقلت كتب مار سويريوس يعقوب البرطلي
مطران دير مار متى برمتها الى خزانة والي الموصل . وفي
سنة ١٣٦٩ سطا الاكراد على الدير ونهبوه ومكثته الثمينة .
وفي عام ١١٤٨ نهب فيما نهب من نفائس مخطوطات دير مار
برصوم جوسلين الامير الصليبي الفرنسي صاحب الرها(٤٧) .

ومن احداث البيع والرهن : يذكر انه لما جاء الى
دمشق غريغوريوس يوسف الرابع الكرجي ١٥١٠ - ١٥٣٧
مطران اورشليم استرجع كتباً لدير القدس كان سلفه قد

(٤٦) ادى شير : كلدو وآثور مج ٢ ص ٤٠ .

(٤٧) ابن العبري - تاريخ البطاركة في ترجمة مار ميخائيل الكبير .

رهنها (٤٨) . وذكر ايضاً ان احد بطاركة انطاكية اضطر الى رهن ويبيع بعض الكتب في القرن السابع عشر ، عندما اراد بناء دير الزعفران . وفي خزانة المتحف البريطاني مخطوطة ابتعت قديماً من دير مار متى يرتقي تاريخ كتابتها الى المائة الحادية عشرة للميلاد .

ومن الاحداث المتأخرة في غرق المخطوطات الشرقية ما ذكره جرجي زيدان في ترجمة السمعاني اللبناني المتوفى سنة ١٧٦٨ قال انه « تولى العمل في مكتبة الفاتيكان ، فكلفه البابا ان يذهب الى الشرق ينقب فيه عن الكتب والمخطوطات ويحملها الى رومية ، ففعل وتمقد ديور الشرق في مصر وسورية والعراق ، وحمل ما وصلت اليه يده من الكتب ، يقال انه حملها في ثلاث سفن ، فغرق منها اثنتان ، وكانت السفينة الباقية وحدها كافية لاجاب اهل الفاتيكان (٤٩) .

وفي سنة ١٧٨٠ حين انفصل اهل بلدة قره قوش -

(٤٨) المجلة البطريركية في القدس : السنة الاولى ١٩٣ ص ١٤٧ .
(٤٩) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٣٤ .

احرقها مع الدير ذلك الدنس برصوم^(٣٩) ، وفي الحريق الهائل الذي انتاب دير مار برصوم عام ١١٤٤ احترق شيء كثير من مكتبته^(٤٠) . وان طائفة كبيرة من مؤلفات السريان المحفوظة في لبنان والمنقولة اليه من بلاد السريان قد احترقت فقد روى فيليب طرازي : ان الاب يوحنا اليانو قدم الى لبنان عام ١٥٧٨ موفداً من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر وانطلق الى دير قنوين مركز البطركية المارونية وجعل يستكشف عما فيه من مخطوطات سريانية وكرشونية فكان اذا عثر على شيء مغل بعقائد الايمان الروماني افرز ذلك المخطوط وعرضه على البطرك فعلى الاساقفة فاجمعوا اما على اصلاح الغلط او على احراق المخطوط لئلا يبقى عثرة في سبيل المؤمنين ، وعلى هذا النمط احرقوا جانباً من الكتب بحضور رؤساء الدين وجمهور الشعب^(٤١) ، وهكذا فعل الاب يوحنا في باقي الاديرة في لبنان . واعاد الكرة مرة ثانية عام ١٥٨٠ فكان يتجول

(٣٩) تاريخ مار ميخائيل الكبير مج ٢ ص ٤٢٤ .

(٤٠) ابن العبري : تاريخ البطارقة - في ترجمة مار ميخائيل الكبير .

(٤١) طرازي : اصدق ما كان مج ١ ص ٥٥ . نقلاً عن مجلة المشرق مجلد

١٧ - ١٩٠٤ ص ٤٥٤ .

في كل مكان يتساع المخطوطات السريانية من اصحابها
فيحرقها (٤٢) وفي عام ١٥٩٩ احرق الكسيس دي منيزيس
الاغسطيني رئيس اساقفة غوا اللاتيني في بهرة مجمع ديامبور
في جنوبي الهند جميع الكتب والطقوس السريانية الخاصة
بالكنيسة السريانية في الهند (٤٣) . وفي اواسط القرن الحالي
احرقت راهبات دير الشاغورة بصيدنايا شتى المخطوطات
السريانية النفيسة النادرة ومعظمها من رق النزال ، اذ
خشي وكلاء هذا الدير من كثرتها ان تكون حجة بيد
السريان يتقوون بها على اثبات حقوقهم على الدير . فاجمع
رأيهم على اتلافها تخلصاً منها . وبدأوا يحرقونها تحت القناطر .
ثم كرهوا ان تذهب نارها ضياعاً فجمعوها في فرن الدير
لتكون وقوداً له لمدة اربعة ايام خبزوا عليها خبزتين (٤٤) ،
وللغاية نفسها احرق احد اساقفة الروم اليونانيين المشهورين
سكراهيتهم للغة السريانية مجموعة سريانية اخرى في دير
القديسة تقلا في معلولا وقد نشر فهرسها في ثلاث مجلدات (٤٥)

(٤٢) فيه ايضاً ص ٩٧ نقلاً عن المشرق مجلد ١٨ سنة ١٩١٥ ص ٦٧٨

(٤٣) اغناطيوس يعقوب الثالث : تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ٥٩

(٤٤) احمد لزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ص ١١٧-١١٨

(٤٥) اغناطيوس يعقوب الثالث : كنيسة انطاكية سورية ص ٣٩ .

في هذه المكتبة ٤٠٠ اربعمائة مجلد معظمها باللغة
السرانية وعلى الرق . وتضم مجموعة كبيرة من مؤلفات
علماء المسيحية الاقدمين ، والملافنة السريان البارزين تتناول
مختلف انواع المعرفة .

في سنة ١٩٠١ نشر المستشرق فرديريك ماسكله في
باريس فهرساً مختصراً لهذه المخطوطات باللغة الفرنسية .
واقصر على ذكر اربع وعشرين مخطوطة فقط . وقد نشر
الاب يوحنا دولباني (فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران
ماردين بعدئذ) بحثاً مستفيضاً عن محتويات هذه المخطوطات
على صفحات مجلة الحكمة الصادرة في القدس دير مار مرقس -
السنة الرابعة (٣٨) .

هذا ونضرب صفحاً عن ذكر المكتبات الاخرى التي
حوت كتباً نفيسة امثال : مكتبة دير تلعدا حيث تجد من
كتبها في لندن عدد ٧٤٠ كتاب نجح ميامر مار اسحق
خط حوالي سنة ٥٧٠ م . ومكتبة دير مار داود ومن
حملة مصاحفها كتاب فيلايتس (محب الحق) للقديس سويريوس

(٣٨) دير مار مرقس في اورشليم ص ٣٩ - ٣٤ للمطران
بولس بينام .

الانطاكي انجز على عهد رئيس الدير دانيال في القرن
السادس او السابع ، وهو في الخزانة الواطيكانية تحت عدد
١٣٩ . ومكتبة دير مار يوحنا في بيت زغبا ومن مصاحفها
انجيل قديم نقل سنة ٥٨٦ وهو في خزانة فلورنسا .
ومكتبة دير مار يوحنا نيرب تجد من مصاحف كتبها في
المتحف البريطاني تحت عدد ٧٣٠ كتاب رسائل مار
فيلكسينوس ومقالاته فرغ من نسخه عام ٥٦٩ .

تلف المخطوطات

ان الاحداث المؤسفة التي المت بهذه البلاد قضت على
كثير من تلك المخطوطات النفيسة التي حفلت بها تلك
المكتبات الشهيرة . وقد تنوعت تلك الاحداث والكوارث
التي اصابت الكتب ، فمن حرق ، الى غرق ، الى نهب
وسلب ، الى تلف ، الى بيع الى رهن . وقد تكون
آفة الحرق من اقوى الآفات واشدها ، فالتاريخ يحدثنا
ان برصوم النصيبيني النسطوري احرق مكتبة دير مار متى
برمتها عام ٤٨٠ م فقد جاء في رسالة بعث بها ماروثا التكريتي
الى البطريك مار يوحنا ابي السدرات قائلاً « اعلم يا رئيس
الرؤساء ان جميع التواريخ القديمة التي كانت في الدير

ورؤساء الاديرة على مر الحقب . كما جمعت اليها من الرسائل
البطريكية والمناشير الحبرية والرسائل الايمانية التي كان
يصدرها ويتلقاها البطاركة منذ جلوسهم في هذا الدير .
كما ضمت الى هذه المكتبة عام ١٢١٥ كل كتب البطريرك
يوحنا السادس عشر المعروف بيشوع الكاتب كما ضمت كتب
البطريرك اغناطيوس داود فيما بعد .

وكانت هنالك علاقة وثقى بين خزانة دير مار برصوم
وخزانة كتب كنيسة ملطية الكبرى نفسها . فقد كان فيها
مخطوطات ثمينة اهمها ما ضمته اليها البطريرك مار يوحنا العاشر
ابن شوشان ١٠٧٢ + وكانت ملطية مشهورة بعمل الرق
الذي يستعمل لنساخته الكتب ومن هنا جلب الرق مار يوحنا
مطران قرمتين عام ١٢٩٩ .

وقد اُلف الراهب ابراهيم المارديني سنة ١٣٦٥ مقالة
تاريخية وقعت في ثلثي صفحات ذكر فيها نفائس الكتب التي
كانت في دير مار برصوم البطريركي .

مكتبة دير الزعفران

ان مار حانانيا بعدما جدد الدير جمع فيه كتباً كثيرة .

وان خليفته اغناطيوس ورهبانه اغنوا مكتبته في كل فن فكان هذا الدير مزداناً في مفتتح امره بمكتبة كبيرة نفيسة لكن يد الحدثان لعبت بها مراراً فتبدد جانب من مخطوطاتها الثمينة ، وبعضها وصل الى المكاتب الاوربية والشرقية .

اما اليوم فتشتمل على نيف وثلاثمائة مجلد مخطوط سرياني وعربي اقدمها يرقى الى القرن التاسع للميلاد . وفيها نسخ من ابداع ما خطته انامل الخطاطين . ومن نسخها الثمينة خمسة اناجيل اسطرنجيلية مكتوبة على رق حسب الترجمة البسيطة والحرفلية ترقى الى القرن العاشر حتى الثاني عشر منها نسختان مصورتان بصور بديعة (٣٧) .

مكتبة دير مار مرقس

اسست هذه المكتبة على الارجح في اواخر القرن الخامس عشر حيث جمع مصاحفها بعض المطارنة المولعين بالعلم وعدد صالح منها من بقايا خزانة دير المجدلية . ثم ازداد كتبها وتم تنظيمها في اوائل القرن الثامن عشر .

(٣٧) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ١٤٤ - ١٤٦ .

مكتبة دير مار برصوم (٣٥)

احتل دير مار برصوم مكانة مرموقة في الكنيسة فقد كان مباءة للعلم والمعارف ، وموطناً لكثيرين من العلماء . كما اضحي مقراً للكرسي الرسولي ردحاً من الزمن . لذلك جمعت اليه خزانة كتب جليلة ظهر ذكرها في القرن الثاني عشر حيث اضاف اليها كتباً كثيرة اثناسيوس السادس ١١٢٩ + الذي كان جماعاً لنفائس الكتب ينقل معه اجمالاً منها حيثما رحل . وزين مار ميخائيل الكبير البطريرك الانطاكي هذه المكتبة بمخطوطات نفيسة وافرة معظمها بخطه لانه كان من مشاهير خطاطي عصره . ومن اشهر تلك المخطوطات كتاب ميامر مار يعقوب السروجي الذي جمع فيه كل ميامر هذا الملفان . وكتاب ميامر القديس مار افرام السرياني وجمع فيه كل ميامره ايضاً . وكتاب المواعظ السنوية . على ان اجل كتاب تركه بخطه نسخة

(٣٥) المراجع : الأولو المنشور ص ٣٣ مجلة لسان المشرق السنة الثالثة
ص ١٦٩ التاريخ الكنسي لابن العبري . وتاريخ الرهاوي
المجهول .

من الانجيل المقدس وشى حروفها بماء الذهب والفضة ،
وزينها بصور شتى لاعمال الرب وعجائبه ووضعا في صندوق
صغير من الفضة وموشى بالذهب . وكان البطريرك ميخائيل
الكبير يهوى الخط السرياني ، ويقيّم الخطاطين ، ويثني على
كل من يسعى لتوفير المخطوطات ، ومن طريف الامور :
ان الراهب برصوم البرطلي من رهبان دير مار برصوم
اوقف لمكتبة دير مار ايليا المعروف بدير (قنقرت) انجماً
يبيعاً ، حرقلي الترجمة ، كتب بقلم اسطرنجيلي بديع غليظ
على الرق . وقد كافأ البطريرك ميخائيل الربان برصوم البرطلي
مكافأة روحية تقديراً لذلك . ذلك بان جعل له ذكراً سنوياً
يوم الاثنين ، وامر ان يقدر قسوس الدير خمسة قداديس
لاجل راحة نفسه (٣٦) .

وكانت تضم هذه المكتبة ايضاً مجموعة نفيسة كاملة من
الفناقيث على مدار السنة وكانت بريشة الخطاط البطريرك
مار يوحنا بن شوشان ١٠٥٨ - ١٠٧٢ . وكانت تضم الى
جانب الكتب مجموعة من البراءات الملكية التي نالها البطاركة

(٣٦) المجلة البطريركية في القدس : السنة السادسة ص ١٤٧ - ١٤٨ .

تضم فيما تضم مصنفات ابن العبري باجمعها (٣٠) . وقد لمّح الى هذه الخزانة الربان داود بن فولوس في رسالته الى الاسقف يوحنا حيث قال « قدم اماما اللغاة ، راميشوع وجبرائيل الى دير مار متى ورأى رئيس الدير انهما افصح من معاصريهما نطقا وابل ريقا ، اعطاها قلالي يقيان فيها . وشرع كل منها يتناول كتاباً (من نسخة واحدة) خالياً من نقاط الضبط وعلامات التصحيح . فدخل قلايته ويشكله بعلامات . وعند المعارضة لم ير لاحدهما زيادة على صاحبه . وعلى هذه الطريقة شكلا كتباً عديدة (٣١) .

وفي عام ١٢٤١ ضمت اليها كتب مار سويريوس يعقوب البرطلي مطران الدير . ثم اتلفت هذه المكتبة في القرن الرابع عشر . وفضل منها بقية في منتصف المئة السادسة عشرة . وفي سنة ١٨٤٥ وجد فيها زهاء ميتين مخطوطاً (٣٢) وقد عني بتنظيمها وازافة كتب اليها الاب اسحق ساكا

(٣٠) خزائن الكتب القديمة في العراق ص ٨١ كوركيس عداد .

واللؤلؤ المنشور ص ٣٢ .

(٣١) اللؤلؤ المنشور ص ٣١٣ .

(٣٢) اللؤلؤ المنشور ص ٤٣ - ٤٤ .

ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠ في عهد رئاسته على الدير (٣٣) .

مكتبة دير السريان بمصر

هو الدير الذي رنَّ صيته في الاقطار في القرن السابع
حوى خزانة كتب زادهارئيسه المهام الاب موسى النصيبيني
٩٠٧ - ٩٤٤ متين وخمسين مجلداً من انفس الكتب واندر
المصاحف واقدمها . وعني بترتيب هذه الخزانة وتجليدها
مصاحفها الراهب الفاضل العالم برصوم المرعشي بعد سنة
١٠٨٤ بمديدة . وكان موجوداً وهو قسيس عام ١١٢٢
وذكر انه وجد في هذا الدير من الكتب خمسة عشر حمل
بعير بعد نهب الرها - وآمد وملطية وغيرها . وفي سنة
١٦٢٤ احصى القس توما المارديني كتبه فكانت اربعمائة
وثلاث مجلدات . فكانت هذه الخزانة اشهر خزائن الكتب
السريانية بل هي اقدم مكاتب الدنيا (٣٤) .

(٣٣) اعتمدنا في وصف مكتبة دير مار متي بشكل خاص على كتاب
« خزائن الكتب القديمة في العراق : تأليف كوركيس عواد -
طبعة بغداد ١٩٤٨ ص ٧٩ - ٨٤ .

(٣٤) اللؤلؤ المنشور ص ٢٤ و ٥٤ وعصر السريان الذهبي ص
١٠٢ - ١٠٤ .

احصاها المئات الرحمت مار اغناطيوس افرام الاول برصوم
في عداد خزائن الكتب السريانية الشهيرة (٢٤) . وقال فيها
فيليب طرازي « انها من اقدم مكاتب الشرق عهداً وافرهما
ثروة . . . وكانت غنية بالمخطوطات النادرة التي ذاعت
شهرتها في البلاد» (٢٥) .

يتمدى تاريخ هذه المكتبة في القرن الخامس الميلادي
وازدادت كتبها منذ المئة السابعة ، وذاعت شهرتها وانتشر
خبر مخطوطاتها النفيسة في حدود سنة ٨٠٠ (٢٦) . ولما
سمع طيمثاوس الاول جاثليق النساطرة المتوفى عام ٨٢٣
بامرها كتب الى رئيس الدير في استنساخ شيء منها . فقد
ورد في رسالته الثالثة والثلاثين ما ترجمته « اطلب اليك
ان تذهب مسرعاً الى دير مار متى . وتطلع ترجمة
ديونيسيوس اسقف اثينة ، او ترجمة فوقا . وتنظر ايتهما
الفضلى ، فتستنسخها او ترسل بها الينا مع ثقة فنعيدها

(٢٤) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢ .

(٢٥) عصر السريان الذهبي ص ١٠١ تقرأ عن مجلة الآثار الشرقية مج ٣

سنة ١٩٢٨ ص ١٧ .

(٢٦) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢ .

اليك بدون تريث» (٢٧) . ومن امن ما ضمه هذه المكتبة
نسخة جليلة من ترجمة الكتاب المقدس (العهد القديم)
المعروفة بـ « هكسيلة اوريجانس » (٢٨) مخطوطة بالخط
الاسطرنجيلي على رقوق ، بخط نصيبني بديع . يوجد في
كل صحيفة منها ستة اعمدة . فان الجاثليق المذكور طيمثاوس
لما شمر بها استعان بجبرائيل بن نجثيشوع كاتب ديوان الخليفة
عبدالله المأمون وطيبه . فاستمارها وبعث بها الى الجاثليق
في بغداد . وما كان يظفر بها الجاثليق حتى استدعى ستة
نساخ وكاتبين يملان عليهم نص تلك النسخ . ونقل الجاثليق
نفسه ثلاث نسخ عنها بخط يده الواحدة له والاثنان
لجبرائيل . واصابه من جراء ذلك اتعاب ومشقات ونفقات
كثيرة تحملها مدة ستة اشهر تقريباً (٢٩) .

وورد في مخطوطة سريانية في خزانة برلين رقم ٣٢٦
اشارة الى ان خزانة دير مار متى كانت في سنة ١٢٩٨

(٢٧) دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام : للسيد افرام رحاني ص ٩ -
١٠ بيروت ١٩٢٨ .

(٢٨) عني المستشرق حرياتي بنشر هذا الكتاب بالغفراف (ميلانو
١٨٧٦ ، مجلدان) .

(٢٩) دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام ص ١٠ - ١١ .

المكتبات السريانية

شيّد السريان مئات الاديرة منتشرة في سورية وما بين
النهرين وفلسطين ولبنان ومصر وتميزت بعض تلك الاديرة
بطابع علمي وعلى مستوى عال جداً، لا بل عدت جامعات
علمية كبرى، ومعاهد لاهوتية يشار اليها بالبنان كما سبق .
ومن نظم تلك الاديرة ان يكون في كل دير « خزانة كتب »
كما قال الاستاذ احمد امين « وكانت مدارس ما بين النهرين
تتبعها مكتبات » وتتكون خزانة الاديرة غالباً ممّا يستنسخه
الرهبان القاطنون في الدير في مختلف الاحقاب والازمنة
وما يسمى اليه رؤساء الاديرة ومن جمع الكتب من هنا
وهناك، هذا بالاضافة الى الكتب الخاصة التي يوقفها المطارنة
والاكليروس بعد مماتهم وما يقدم المؤمنون من الهدايا .

واليك اسماء ووصف لبعض تلك المكتبات .

مكتبة دير قرتمين

اشتملت على عدة كتب زاد عددها مار شمعون الزيتوني
٧٣٤ + مئة وثمانين (١٨٠) مجلداً . ثم نسج على منواله
داود ابن اخته ويوحنا مطران الدير ٩٩٨ - ١٠٣٤ الذي
جدد الكتابة الاسطرنجيلية بعدما اهملت نحو مائة سنة .
وزينها الراهب عمانوئيل ابن اخي المطران يوحنا في اوائل
القرن الحادي عشر بسبعين مجلداً نقلها بخطه على الرقوق .
وتضمنت ترجمة الكتاب المقدس البسيطة والسبئية والحرقلية ،
ومن فناقيث الصلوات القانونية والميامر وغير ذلك من
« المخطوطات التي لا مثيل لها في الدنيا كما قال ابن العبري » .

وفي السنة ١١٦٩ اضاف جبرائيل بن بطريق واليشع
اخوه وموسى الكفرملطي مائتين وسبعين مجلداً الى كتب
هذه المكتبة (٢٣) .

مكتبة دير مار متى

من المكتبات السريانية البارزة التي كانت حافلة بالكتب ،

(٢٣) اللؤلؤ المنشور ص ٣٠ وعصر السريان الذهبي س ١٠١ - ١٠٢ .

٦ - انجيل دير مار متى : من مصاحف خزانة دير مار متى النادرة مصحف بديع لانجيل كنسي بالقلم الاسطرنجيلي يقع في ٤٧٦ صفحة خطه احد رهبان دير مار متى يدعى الراهب مبارك بن داود بن صليبا بن يعقوب البرطلي عام ١٢٢٠ وقد افرغ فيه الناسخ كل مواهبه الفنية في تنسيق صحائفه ووشاها بالرسوم الباهرة بلغت اربعمائة وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان . وهو اليوم في المكتبة الفاتيكانية .

وجدت الخط الغربي نحو من مئة وسبعين خطاطاً من القرن الثالث عشر الى يومنا هذا وعلى اشكال ثلاثة غليظ ووسط ودقيق وهو ابداعها واظرافها خصوصاً الشكل المعروف بالكركري نسبة الى بلدة او قلعة كركري بين ديار بكر والرها . فان خطاطي هذه الديار غنموا خطأ دقيقاً في غاية الحسن من سنة ١٥٧٧ - ١٨٢٠ واول من عرف بتطريز الشكل الكركري البديع غريغوريوس وانيس آل النجار الونكي مطران قبادوقية ثم الرها ١٥٧٧ - ١٦٠٧ نسخ زهاء عشرين مجلداً ، ويضع اناجيل ومزامير بخط منمنم في منتهى الدقة لا يتجاوز طول النسخة مائة

سنتمترات . وقد شغف بهذا الخط الانيق السيد ليونارد
هايل الذي اوفده البابا غرينوريوس الثالث عشر سنة
١٥٨٣ الى بلاد الشرق بمهمة دينية (٢٢) .

وقد عني العلماء الغربيون والمستشرقون الى هذا النوع
من الفن السرياني ، ووضعوا فيه دراسات كثيرة منهم ج .
دي جرفانيون اليسوعي الذي عمل دراسات حول الكتابات
والنقوش للمخطوطة السريانية المعروفة بانجيل رابولا التي اشير
اليها سابقاً . وكذلك المستشرق جول لوروا صاحب الكتابات
والرسوم الآثرية السريانية الذي جمع كل ما تيسر له من
نقوش ورسوم والتي بلغت ٤٠٠ لوحة وقد استغرق مشروعه
هذا عشر سنوات قام فيها بمجولات ودراسات واسعة في
مكتبات الشرق والغرب وفي الاديرة السريانية .

(٢٢) طرازي : اصدق ما كان مج ١ ص ١٢١ .

الانطاكية، يحمل رقم (٩) من سلسلة الدراسات السريانية
الصادرة عن مطرانية حلب السريانية اتينا الى ذكر بعض
المخطوطات من الكتاب المقدس، التي تأتق السريان بنسخها
بالزخرفة والنقوش. ولا نرى مانعاً من اعادة ذلك
بشكل موجز:

١ - انجيل رابولا : ان اقدم مصور سرياني وقفنا
له على آثار في هذا الفن هو الربان رابولا الذي عاش في
النصف الثاني من القرن السادس حيث تولى رئاسة دير
مار يوحنا في زغبة. نسخ الانجيل المقدس عام ٥٨٦ م
وتنقحه وزينه بستة وعشرين صورة ملوثة تعد من ادق
واجمل ما رسمته ريشة مصور. وتمثل هذه الصور حياة
السيد المسيح في مختلف مراحلها، وبعض احداث العهد
القديم. تتخللها صورة تمثل يوحنا الانجيلي وفي كلتا يديه
درج حوى الآية الاولى من انجيله « في البدء كان الكلمة »
ومن ضمن الصور، صورة تمثل يسوع المصلوب وهي باكورة
صور يسوع المصلوب في الكنيسة، فقد افرغها المصور
السرياني في قالب جميل جداً، ذلك انه صور يسوع المخلص
معلقاً على الصليب موشحاً بثوب ارجواني مذهب. ورسم

حواله آلات الصلب وتعلو الصليب عبارة « يسوع الناصري ملك اليهود » وقد عرف هذا الانجيل عند العلماء المستشرقين باسم انجيل رابولا وهو حالياً في مكتبة فلورنسا .

٢ - في بيعة السريان في صور انجيل اسطرانجيلي منسوخ عام ١١٤٩ على رق الغزال كتبه الراهب سهدو الرهاوي ووشاه بصور اثرية رائعة .

٣ - في عام ١١٦٥ نسخ يوحنا مطران ماردين والخابور اربع نسخ من كتاب الانجيل ورصمها بحروف ذهبية وفضية .

٤ - مخطوطة بخط الراهب عبدالمسيح من رهبان دير مار جرجس غربي مدينة ماردين عام ١١٧٠ . وقد موّه الخطاط بماء الذهب والفضة رؤوس فصوله وبعض صفحاته التي سبق فطلاها بمختلف الالوان الزاهية والخلابة .

٥ - ان مار ميخائيل الكبير البطريرك الانطاكي ١١٩٩ + كان قد تأنق في كتابة انجيل نفيس موّه بماء الذهب والفضة صفحة صفحة ودبّجه بصور شتى ، وجلّده بالفضة ، ثم جعل ذلك المصحف الثمين ضمن صندوق فضي مذهب .

اسمائهم دفماً للاسهاب نذكر منهم البطريك يوحنا بن شوشان
١٠٧٢ + الذي كان يشار على الكتابة في حله وترحاله
حتى انه عند سفره كان يكتب في اثناء الراحة ، ويذكر
ابن العبري انه ملأ الدنيا ، السريانية ، برسائله وكتابه
وخطبه العذبة . وقس عليه الآخرين .

كيفية النسخ

ان المادة التي استخدمت لكتابة الاسفار وغيرها قبل
ابتكار الكاغد في الرقوق وبخاصة من جلود الغزلان ،
وقد ساعدت الرقوق على صيانة الكتاب المقدس وانتشاره ،
وصيانة المخطوطات الاخرى لامكان حفظها في اي مكان
وتحت اي ظروف جوية (٢٠) ولاجل ذلك سبقوا فانشأوا
معامل للرقوق في انحاء كثيرة من بلادهم ولا سيما في
مدينة جبيل احدى عواصم الآراميين ، وفي الرها حاضرة
السريان الاباجرة وفي قرنتين بطور عدين (٢١) . وطريقة
الكتابة على هذه الرقوق كانت في شكل اعمدة ،

(٢٠) المطران اسحق ساكا : الكتاب المقدس في الكنيسة السريانية

س ٣١ .

(٢١) عصر السريان الذهبي مج ١ ص ٨٧ - ٨٨ .

على كل صفحة عامودان على الأعلب واحياناً ثلاثة اعمدة .
وفي سطور متساوية . كما كان يكتب على وجهي الورقة
الواحدة عكس الدرج الذي كان يكتب على وجه
واحد فقط .

اما الحبر الذي يستعملونه فيمتاز بلونه اللامع الجميل ،
وهم يكتبون باقلام القصب ، ويستفنون عن المائدة او
الدرج ، فيضعون الورق على ركبهم . وكانوا يلقون نوعاً
معيناً من الخيط على لوحة خشبية وينظّمون ذلك على شكل
صفحة مخطّطة ، ويكبسون عليها الورق الابيض المد
للتسخ ، فتبدو الاسطر واضحة ومستقيمة .

الخط السرياني والفنون الجميلة

كان للسريان ذوق رفيع في تلوين الحبر وزخرفة وجوه
الكتب وصفحاتها بالنقوش المستبدعة والصور المستعملة ،
وتتويها بماء الذهب والفضة ، اصف الى ذلك تزيينها باروع
الرسوم وابدع الخطوط . وقد جاءت بعض المخطوطات
السريانية آية في الفن . وقد عقدنا فصلاً خاصاً في هذا
الشأن في كتابنا « الكتاب المقدس في الكنيسة السريانية

التاسع مختلطاً بالاسطرنجيبي لسهولة استعماله . ولم نزل غيره
عنه حتى امسى قائماً بنفسه في القرن الثاني عشر ، وقد
يكون القلم المسمى السرطا وبه كان يكتب الترميل ولم
نزل عليه . واختصت بهذا الخط الكنيسة السريانية الأم (١٤) .

ثم تولد من الخط الاسطرنجيبي خط آخر في تماذي
الازمان . وقد تبناه النساطرة ولا يزال الى اليوم مستعملاً
عند الكلدان . وسمي بالخط الكلداني او الشرقي . ونشأ
هذا الخط حوالي القرن الثالث عشر (١٥) وهناك خط
ثالث ايضاً مشتق من الاسطرنجيبي وقد وجد هذا في ربوع
فلسطين في القرون الوسطى ، واختصت به الفرقة السريانية
الملكية لذلك سمي بالخط الملكي (١٦) .

وهناك اقلام سريانية اخرى عدا هذه اهمها : المدرسي
(اسكوليتا) وهو قلم المصاحف والتحرير الخفيف ويقال له
الشكل المدور ، والدقيق ، والمقطع ، والاكرى او الاغري

(١٤) البطريك افرام برصوم : اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ .

(١٥) المطران يوسف داود : اللعة الشبية مج ١ ص ١٣٩ .

(١٦) اللعة الشبية ص ١٣٨ .

وبه كان يكتب الراهب زينا سنة ١٢٢٧ ، والمضاعف
او المثني ، والجري نسبة الى دير جمرا الذي بناه ناسك
نسطوري حوالي سنة ٦٧٠ .

وللنساخ السريان في بلاد جرجر خط خصوصي تفرد
باصلوبه الجميل وحروفه الدقيقة الناعمة . وقد شغف بهذا
الخط الانيق السيد ليونرد هايل الذي اوفده البابا غريغوريوس
الثالث عشر سنة ١٥٨٣ الى بلاد الشرق بمهمة دينية^(١٧) .

الخطاطون والنساخ السريان

اشتهر الادب السرياني بمجاهير الخطاطين والنساخ . وقد
ينيف عددهم على عشرات الآلاف^(١٨) . وقد نظم البطريرك
افرام برصوم ١٩٥٧ + جدولاً طريفاً الحقه بمؤلفه النفيس
للؤلؤ المنشور عدد فيه اكثر من ثلاثمائة خطاط عاشوا منذ
القرن الخامس وحتى القرن العشرين^(١٩) ولا يسعنا ذكر

(١٧) طرازي : اصق ما كان مع ١ ص ١٢٠ .
(١٨) عصر السريان الذهبي مع ١ ص ٨٥ - ٨٦ .
(١٩) اللؤلؤ المنشور ص ٣٥ - ٤٢ .

الخط السرياني

ان الخط السرياني من اقدم الخطوط ، ذلك ان الآراميين ، نشروا مع لغتهم خطهم ، وقيل انهم اخترعوا للغتهم قلماً قيل انه المسهاري . وقد وجدت كتابات آرامية في شمالي انطاكية وفي خرائب نينوى وجزيرة اسوان بمصر ، يرتقي عهد اقدمها الى القرن الثامن ق . م . وقد بقي الآراميون يستعملون هذا الخط حتى القرن الاول بعد الميلاد . ثم اخذ آراميو الرها وبابل وتدمر والجام وفلسطين وحوران يتفننون فيه حتى تفرع منه لكل قوم قلم خاص بهم ، فنولد من ذلك القلم السامري والقلم التدمري والقلم النبطي (الذي منه نتج القلم الحميري العربي ومن هذا تولد القلم الكوفي ومنه نشأ القلم العربي المعروف اليوم) والقلم البابلي الذي يستعمله اليهود لكتابة الكتاب المقدس . كما اخذ الارمن والفرس والهنود خطوطهم من اصول آرامية .

واما بعد المسيح فعرف الخط الاسطرنجي او المفتوح ويقال له الخط الثيل الرهاوي استنبطه بولس بن عرقا او عنقا الرهاوي في اوائل القرن الثالث ، وهو ابداع الخطوط السريانية حسناً ، بل هو منبع مائر الخطوط السريانية

لانه اول قلم سرياني عرفاً وشهرة ويسمى ايضاً المستدير
وحروفه شبيهة بالقلم البابلي والتدمري وممظم المخطوطات
القدمى المصونة الى هذا اليوم مكتوبة بهذا القلم ، ودام
استعماله على التام حتى المئة الرابعة عشرة . ولا يزال الى
الآن يزين به الخطاطون رؤوس الفصول في مخطوطاتهم ، وقد
احصى البطريرك افرام برصوم زهاء مئة وثلاثين ١٣٠ خطاطاً
حاذقاً من سنة ٤٦٢ - ١٢٦٤ كتبوا بالقلم الاسطرنجيمي
على اشكال ثلاثة غليظ ، ووسط ، ودقيق . وروى الملامه
ابن العبري « ان يوحنا السبيريني مطران دير قرتمين
٩٩٨ - ١٠٣٤ جدّد عهد القلم الاسطرنجيمي في طور عبيد
وما اليه بعد اندثاره زهاء مئة سنة . فعلم اولاد اخيه
الرهبان عمانوئيل وبطرس و NIHEH يعيش هذه الصناعة
بعد ان تعلمها هو من النظر في المصاحف ، فكتب اولهم
الراهب الشاس عمانوئيل سبعين مجلداً من اسفار المهدين
بحسب نقولها البسيطة والسبينية والحرقلية ومن الميامر ،
بثلاثة اعمدة فريتن دير قرتمين بمخطوطات لا مثيل لها
في الدنيا .

والقلم الثاني هو القلم السرياني الغربي وضع في القرن

(تابع) قصيدة بوضوح دير متي

عجبم بوج حاميج : حاج ضاا : هُنا مقفنا .
 حاج مكرلا : ههه لا مالا : ماح اهُمكنا :
 كاه و كاحنا : ومنا مكننا : ومنا احنا .
 ونا مافتنا : ومنا حاننا : ونا ماحنا :
 وهيب بره : حنا ههه : وهه حنا مقفنا .
 وحه مالا : ومنا ماحنا : انا انا :
 احد كاحنا : وكنا لانا : ونا حنا .
 واويعر حنا : ومنا ومنا : حنا مقفنا :
 مالا ماحنا : احف ماحنا : سبب ونا .
 انا حنا : ههه مالا : ماح ماحنا :
 مالا مالا : وهه مالا : ماح ماحنا .
 وحنا حنا : حنا ومنا : حنا ومنا :
 ههه مالا : ماح ماحنا : مالا ماحنا .
 حنا وحنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :
 حنا ومنا : حنا ومنا : حنا ماحنا :

" ههه مالا "

ح

الخط السرياني

المخطاطون والنساخ السريان
الخط السرياني والفنون الجميلة

المكتبات السريانية

مكتبة دير مار متى	مكتبة دير قرتمين
مكتبة دير مار برصوم	مكتبة دير السريان بمصر
مكتبة دير مار مرقس	مكتبة دير الزعفران
اقدم المخطوطات السريانية	تلف المخطوطات

المعروف بابن وهيب في القرن الثالث عشر . ودانيال
المارديني المعروف بابن الخطاب ١٣٢٧ - ١٣٨٣ والبطريك
يوحنا بن شيء الله البرطلي ١٤٨٢ - ١٤٩٣ . ثم نتيجة
لما اصاب البلاد من المحن والرزايا انتهى امر هذه
المدرسة (١٤) .

(١٤) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ١٣٣ - ١٣٦ .

الاحبار والرهبان والقديسين منهم سبعة بطاركة انطاكيون
وهم مار يوليان الثاني ٥٩١ - ٥٩٥ ، اثناسيوس الاول
الجمال ٦٣١ + مار ثاودور ٦٤٩ - ٦٦٧ مار اثناسيوس
الثاني ٦٨٤ - ٦٨٨ يوليان الثالث ٦٨٨ - ٧٠٨ جاورجي
الاول ٧٥٨ - ٧٩٠ ديونيسيوس الاول التلمحري ٨١٨ -
٨٤٥ ومن مشاهير الاساقفة والعلماء الاعلام ، مار قوما
الحرقلي مصحح ترجمة العهد الجديد عن النقول اليونانية
سنة ٦١٦ . ومار ساويرا سابوخت اللاهوتي والفيلسوف
الرياضي + ومار يعقوب الرهاوي + ومار جرجس
اسقف العرب .

وكان التعليم في مدرسة قنشرين باللغتين اليونانية
والسريانية ، وكانت تدرس فيها آداب اللغة اليونانية وفلسفتها
بنوع خاص باللغة اليونانية . وتعلم فيها العلوم اللغوية والادبية
والكتابية والمنطقية والفلسفية والطبية واللاهوتية والفقهية .

رفع معهد هذا الدير لواء العلم في بلاد السريان خاصة
والشرق عامة واستلقت بقايا تآليف اساتذته وتلامذته
انظار كبار علماء الفرنجة والمستشرقين من رجال عصرنا

فاقبلوا عليها بشوق عظيم يحرصون على دراستها ونقلها
الى لغاتهم .

هذا وان اكثر علمائنا في القرون السابع والثامن
والتاسع نشأوا من هذا المعهد العلمي الكبير ، ولهذا يحق
لنا ان نجمله خلفاً لمدرسة الرها السريانية ، بل فاقتها
كثيراً .

عاشت هذه المدرسة نحواً من ٣٥٠ سنة ٥٣٠ - ٩١٥ .

مدرسة دير الزعفران

من الثابت ان مطارنة واساقفة كثيرين تخرجوا من
هذا الدير ذكر منهم مار ميخائيل ثمانية وعشرين اسقفاً بين
سنة ٨١٦ - ١١٧٧ منهم مار ايوانيس اسقف دارا اللاهوتي
الشهير ، وسويريوس اسقف سميساط . ومن ابناء هذه
المدرسة ايوانيس يعقوب بن تشككا اسقف حران ونصيين
والخابور والجزيرة ١٢٢٢ - ١٢٣١ ، والبطريك اغناطيوس

واللاهوتية واللغوية من المئة الثامنة والى اواسط القرن
الثالث عشر . وقدمت نخبة صالحة من النوابغ امثال
البطريك ابو الفرج ابن كامرا ١١٢٩ + واغناطيوس الثالث
مطران ملطية ١٠٩٤ + ومار ميخائيل الكبير ١١٩٩ +
وغيرهم . وكان هنالك علاقة وثقى بين مدرسة ملطية ودير
مار برصوم . فان التاريخ يحدثنا ان بعض رهبان دير مار
برصوم تثقفوا في مدرسة ملطية . وكانت مدرسة ملطية
زاهرة بعلمائها ومعلميها ونظمها وقد تخرج منها نوابغ كثيرون
امثال يوحنا ابن الصابوني مطران ملطية الشهير ١٠٩٥ وشقيقه
ابو غالب مطران الرها ١١٢٩ وابن الصليبي مطران آمد
١١٧١ . ويذكر التاريخ ان ديونيسيوس ابن موديانا مطران
ملطية المنقول من كرمي جوباس سنة ١١٠٢ احيا العلوم
في ملطية .

واشتهر من معلمي مدرسة ملطية القس ابدوكس الملطي
وكان لغويًا كبيراً علّم فيها اللغة السريانية وضوابطها .
وألّف كتاباً في ضوابط اللغة السريانية سماه « ضبط القراءات »
ومن اشهر خريجي مدرستي دير مار برصوم وملطية :
البطريك يوحنا بن عبدون ١٠١١ + والبطريك باسيليوس

١٠٧٥ + والبطريك ديونيسيوس لمازر ١٠٧٨ + والبطريك
اثناسيوس ابو الفرج ابن كامرا ١١٣٠ + والبطريك مار
ميخائيل الكبير ١١٩٩ + وغيرهم .

مدرسة دير قنسرين (١٣)

دير قنسرين او قنسري Kenneshrin كان ديراً
مشهوراً على شاطئ الفرات . وقنسرين لفظ سرياني مركب
من كلمتين ومعناه وكر النور . وهو اسم اطلق عليه في
القرن السابع للميلاد ، وتغلب على اسمه الاول وهو افنوتيا
دير افنوتيا نسبة الى رئيسه القديس يوحنا الشهير بابن
افنوتيا الذي انشأ حوالي سنة ٥٣٠ وجعله مركزاً خطيراً
للسيرة الرهبانية ، ومنها صافياً للعلوم اليونانية والسريانية .

شاع فكر دير قنسرين في التاريخ الكنسي طيلة اربعة
قرون جاد فيها على البيعة المقدسة بمشاهير العلماء وافاضل

(١٣) التاريخ الكنسي لابن العبري . المجلة البطريركية في القدس .
السنة ٤ - ١٩٣٧ ص ٢٦٥ - ٢٧٨ مقالة « دير قنسرين »
لاغناطيوس افرام برصوم .

مدرسة دير قرقفتا (١٠)

دير قرقفتا ومعناه الجمجمة او قمة الجبل ، دير قديم مشهور شيدته مار شمعون . كان مركزاً خطيراً لعلم الكتاب المقدس واللغة السريانية . قال العلامة ابن البري في كتاب نحوه الموسوم باللمع « قد اصطلح بعض العلماء القرقفتين الغربيين على خمس حركات وهي الزقاف والفتاح والرباص والحباص والمصاص » وقال دوفال « ان الذي ضبط لهجة الكتاب العزيز ونقح ترجمته هو يعقوب الرهاوي وذلك سنة ٧٠٥ واقتدى به رهبان علماء اوقفوا حياتهم على درس ترجمة الكتاب اخصهم رهبان دير قرقفتا المنسوبة اليهم الترجمة القرقفية . وقد اشتهر منهم طوبانا وكان مقيماً في بعض تلك الاديار ، وسابا وكان جليلاً عندهم لفقته فيه وعلمه ، وله كتب مليحة منسوخة سنة ٧٢٤ - ٧٢٦ تشعر بتاريخ ازدهار هذا العلم عند السريان . وقد تخرج من هذا الدير بعض الاساقفة .

(١٠) الاب افرام برصوم : تاريخ دير الزعفران ص ٤٧ .

مدرسة دير سرجيس المعلق (١١)

يظن تأسيس هذا الدير في القرن الخامس وبني باسم
النسك الملائمة سرجيس وزعورا وباعوت وكان على قمة
الجبل الفاصل فوق مدينة بلد غربي الموصل - العراق .
واشتهرت مدرسته في القرنين الثامن والتاسع ، وتخرج فيه
مفريان وبعض الاساقفة وكانت هذه المدرسة كلية لاهوتية
بدليل تخرج بعض العلماء منه امثال العلامة اللاهوتي الكبير
موسى بن كيفا مطران بارمان والموصل ٩٠٣ + واشتهر
من اساتذة هذه المدرسة الربان قرياقس امثاذ موسى بن
كيفا . وارتأى المطران بولس بهنام ان الربان انطون
التكريتي احد نوابغ القرن التاسع تلقى العلم في هذا الدير .
واصبح هذا الدير كرسياً اسقفياً مند سنة ١١٦٧ - ١٢٨٤ .

مدرسة دير مار برصوم (١٢)

ازدهرت في دير مار برصوم مدرسة للعلوم البيعية

(١١) البطريك افرام برصوم : لمعة في تاريخ الامة السريانية في العراق .

ابن العبري : تاريخ المفارنة . مجلة لسان المشرق السنة ٣ ص ٢١٩

(١٢) ابن العبري : تاريخ البطاركة في ترجمة ميخائيل الكبير . اللؤلؤ

المنثور ص ٢١ مجلة لسان المشرق السنة ٣ ص ١٧٤ .

يومذاك اقوى بلدة في تلك الكورة مثل بيت لافط وتخرج
فيها راميشوع وجبرائيل ولدا الربان داود بن فولوس
وتمينا مدرسين فيها ، وعملا معاً مع والدهما مدة ، نبغ منها
اساتذة مهرة كثيرون .

مدرسة دير سرجيسة^(٩)

امس هذا الدير بعض رهبان دير الزعفران وفي
مقدمتهم الراهب « كيسو » ، وذلك في النصف الثاني من
المئة العاشرة ويقع في جوباس ، ضواحي ملطية . ودعوه
باسم سرجيسية لذكرا وضموها فيه للشهيد سرجيس وباخوس
وذلك سنة ٩٥٨ ثم استقدم الرهبان اليهم العلامة الراهب
يوحنا تلميذ مارون ، فاخذ يدرس فيه حتى ذاع صيته ،
وتقاطر اليه الطلاب من كل صوب واضحى الربان كيسو
اول رئيس لهذه المدرسة .

(٩) اهم المصادر التي اعتمدنا عليها :

عصر السريان الذهبي : لطرازي . مجلة لآثار الشرقية للرحماني :
تاريخ دير الزعفران : الاب افرام برصوم .

اما يوحنا المشهور بمارون فهو امام عصر علماء وقداصة
كان بارعاً في الفلسفة مبرزاً فيها علم في دير سرجيسية
زهاء تسع وعشرين سنة حتى اذا اشتهر أمته طلبة الادب
من كل حدب يقرأون عليه . ونحو سنة ٩٨٧ تقدم اليه
كليب الحاكم بالخروج الى دير بدأ بتشيدده راهب يمصرف
ابن حاجي ، وعاجلته المنية قبل ان يأتي عليه فكمله يوحنا
واجتمع عنده الرهبان يقتبسون الحكمة . وبعد ان درّس
فيه اثني عشرة سنة اتى دير مار اهرون في الجبل المبارك
وفيه توفي سنة ١٠٠٣ .

وخلف كيسو في الرئاسة تلميذه الربان ايليا الذي جمع
مكتبة نفيسة ضم اليه اصناف الكتب . وخلف الربان ايليا
الربان يوحنا الذي طوّر شؤون المدرسة تطوراً جيداً فوضع
القراء والمفسرين ، وشيّد الابنية للتلامذة والمعلمين والنساخ ،
فظهر منهم جماعة من رؤساء الكهنة ذكر منهم مار ميخائيل
اثني عشر فيهم اغناطيوس الثاني المفيان ، وطيمثاوس
الكركري وكلاهما من مشاهير عصرهما .

ظلت هذه المدرسة حتى عام ١٠٦٦ حيث امتدت يد
الخراب الى الدير فعبثت به وبمدرسته ومكتبته .

ومهما يكن من الامر فان حنا انعش الروح
الارثوذكسية في هذه المدرسة ، وقد اعتنق تعاليمه كثيرون
من اهل نصيبين . وتبعه بعض رجال الاكليروس ، وحتى
ان الجاثليق مبريشوع تحيز الى آرائه الارثوذكسية .

عاشت هذه المدرسة اكثر من ٢٥٠ سنة ، وهي اول
كلية لاهوتية كان يؤمها بضع مئات من الطلبة قيل انهم
بلغوا الالف في اوج عزها .

مدرسة دير مار متي

دير مار متي من الاديرة السريانية البارزة في العراق .
لعب دوراً هاماً في تاريخ كنيسة المشرق ، لا بل كان
دعامة كنيسة المشرق لعدة قرون . تأسست مدرسته في
اوائل القرن الخامس الميلادي إلا اننا لا نعلم شيئاً عن
اجبارها حتى اوائل القرن السابع وقد اشتهرت في القرن
الثامن وما مده . ومن اشهر اساتذتها مار ماروثا التكريتي
٦٢٨ الذي كان يدرس تفسير الكتاب المقدس واللاهوت ،
وشرح مصنفات الملافنة كما وضع للرهبان وطلاب هذه

المدرسة نظاماً بديعاً^(٨) ، وراميشوع وجراثيل وسبريشوع
في القرن السابع . الاول والثاني كانا من اصاتذة مدرسة
بيت شاهاق ، وفي الدير اكبوا على ضبط كتب الدير
بالنقاط وتصحيحها وتشكيلها .

وظهر بعض العلماء في دير مار متى هم مار سويريوس
يعقوب البرطلي ١٢٤١ + وابو نصر البرطلي ١٢٩٠ ، وعاش
في الدير بضعة سنوات العلامة ابن العبري ١٢٨٦ + .

اشتهرت مدرسة دير مار متى بالامور اللغوية ، ومن
الاصاتذة اللغويين رابان داود بن فولوس ، الراهب حذبشاربا ،
راميشوع وسبريشوع . ومن اشهر خريجي هذه المدرسة :
دنى الاول مفريان المشرق ٦٥٩ + يوحنا الاول ٦٨٨ +
حنانيا مطران ماردين وكفرثوت ٨١٦ + مؤسس دير
الزعفران .

مدرسة بيت شاهاق

في كورة نينوى ، انشأها الربان داود بن فولوس آل
بيت ربان في اواسط القرن السابع . وكانت بيت شاهاق

(٨) ابن العبري : التاريخ الكنسي مج ٣ ص ١١١ .

عديم على الالف . وطار صيتها الى ايطاليا وافريقيا (٧) ،
وكانت تعالج مختلف العلوم من لغوية وكتابية وتفسيرية
ولاهوتية وفلسفية .

كانت امور هذه المدرسة وقوانينها على ايام برصوما
تمشي على احسن ما يرام ، ولكن بعد وفاته بدأ التلاميذ
ان يستخفوا بالقوانين التي رسمها . فوقع بسبب ذلك خلاف
وزاع عظيمان في المدرسة . فتقدم بعض التلامذة الفيورين
الى هوشاع خليفة برصوما ، وطلبوا اليه ان يضع قوانين
جديدة فاشار عليهم ان يستشيروا نرساي الملقان ويونان
كاتب المدرسة ويجمعوا رأيهم على القوانين التي يستسيبونها
فلبوا امره ورسموا واحداً وعشرين قانوناً كلفوا انفسهم
محفظها ، وكان ذلك سنة ٤٩٦ . وقد طبع هذه القوانين
العلامة كيدي سنة ١٨٩٠ .

وبعد ان علم نرساي في هذه المدرسة اكثر من اربعين
سنة توفي ، وفي عام ٥٠٧ خلفه تلميذه يوسف الالهواري ،
فبدل اللفظ السرياني الرهاوي باللفظ النسطوري الذي يعرف
اليوم بالكلداني ايضاً .

(٧) السطاني : المكتبة الشرقية مج ١ القسم الاول ص ٩٢٧ .

وفي عام ٥٧٢ ترأس المدرسة حنانا الحديابي ، ويشني عليه برحدبشبا ثناءً جزيلاً ويعصف فضائله المديدة الحميدة . وكان هذا ارثوذكسياً مناهضاً لتعاليم نسطور ، ومن اجل ميله الى الارثوذكسيين كان بولس مطران نصيين النسطوري قد طرده من المدينة ، ومكث يدور في بلدان المشرق ، ثم رجع الى المدرسة وقام برئاستها وصار له تلاميذ كثيرون جهابذة في العا والتأليف قيل انهم بلغوا ثمانمائة .

اما تعاليم حنانا التي كانت تميل الى الارثوذكسية سببت في الكنيسة الشرقية نزاعاً كبيراً ، دام زماناً طويلاً مما ادى بفريغوريوس الكشكري اسقف نصيين النسطوري ان يحرم كتبه وحرّم كثيرين من اشراف نصيين الذين تحزبوا له . غير ان سبريشوع الجاثليق وقف الى جاب حنانا ضد غريغوريوس المطران ، الامر الذي شقّ على تلاميذ المدرسة ، فكرهوا الاقامة فيها وتركوها وكانوا نحو ثلثمائة نفس ، ولم يبق في المدرسة غير عشرين نفرأ ودونهم صبيان . غير ان بعض الذين تركوا المدرسة رجعوا اليها ثانية وهم المتمسكون بتعاليم حنانا ، وحدث هذا كله عام ٥٨٢ ومنذ ذلك الحين انحط شأن هذه المدرسة .

وكل من تشبث ببدعة نسطور ، وبسبب تفاقم امر هذه
البدعة في هذه المدرسة ، قوضها القديس قوراً مطران الرها
سنة ٤٨٩ بامر الملك المؤمن زينون ، فتشقت شمل
اساتذتها وطلابها . قال مار يعقوب السروجي « افسدت
الشرق كله » وقيل التجأ بعض اساتذة الرها الانساطرة
عبر الحدود التركية الى حران واقاموا فيها معهداً علمياً جديداً
او اعادوا فتح معهدا القديم (٥) .

عاشت هذه المدرسة ١٢٦ سنة من ٣٦٣ - ٤٨٩
وابتدأت بشكل نظامي بمار افرام . وانتهت بنرسي الملفان .

مدرسة نصيين الثانية (٦)

انشأ هذه المدرسة نرماي الاستاذ والكاتب المشهور ،
وبرصوما مطران نصيين ، النسطوريان ، لتكون بديلاً عن
مدرسة الرها التي تشقت شمل تلاميذتها في اواسط القرن

(٥) فيليب حتي : تاريخ سورية مج ٢ ص ١٧٥ .

(٦) من ابرز المراجع التي اعتمدنا عليها : ادى شير : مدرسة نصيين

الشهيرة . طبع بيروت ص ١٩ .

الخامس كما علمنا . وقد نظم برصوما لهذه المدرسة قوانين
وانظمة تتعلق بالدروس والفروض للسير بموجبها . فكان
يسومها رئيس يدعى RABAN « ربان » اي معلمنا
ويسمى ايضاً ~~معلمنا~~ اي المفسر لان من اخص وظائفه
ان يفسر الاسفار الالهية . وفي شرحه اياها كان يعتمد
على ثاودورس المصيبي وعلى مار افرام الملقب . فشروح
ثاودورس للكتاب المقدس يسمونه ~~فهمنا~~ اي التفسير ،
وشرح مار افرام يدعونه ~~معلمنا~~ اي التقليد ، وانما
سمي تقليداً لانه اتى بالتقليد من فم لفم . وكانوا يدعون
تفاسير نرماي ~~معلمنا~~ واسمه اي التقليد المدرسي .

وبعد المفسر يأتي المقرئ والمهجي ~~تفاسير~~
فالمقرئ يعلم صناعة النحو والالخان الكنسية وربما كان يعلم
ايضاً تأليفات الآباء اليونانيين . والمهجي كان يعلم القراءة
الفصيحة للمبتدئين . وبذلك اصبحت هذه المدرسة كلية
منظمة ، واخذ يومها الطلاب من كل صوب حتى اناف

ان ظهور هذه المدرسة بشكل يلفت النظر ، وباسلوب نظامي يبتدىء في عام ٣٦٣ عندما اضطر مار افرام السرياني الى مغادرة نصيبين وطنه الاول ، واتخاذ الرها موطناً ثانياً . فسعى الى اعلاء شأنها بتصدره للتدريس فيها عشر سنوات . حتى رن صيتها في الاقطار ونالت قصب السبق على جميع مدارس ما بين النهرين ، فأُمِّها طلاب العلم من بلاد الشرق وفارس . وكانت تشتمل بالعلوم اللاهوتية والتفسيرية والفلسفية والادبية باللغتين السريانية واليونانية . وعنت بنقل مصنفات الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية الى اللغة السريانية ، وقد لعبت دوراً هاماً في عالم الادب واللاهوت ، وفيها ابتداء السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد .

وقد تخرج من هذه المدرسة نجبة صالحة من الادباء والعلماء والشعراء منهم بولس بن عرفا الرهاوي مستنبت القلم السرياني المعروف بالامطر نجيلي نحو سنة ٢٠٠ م . وثاوفيلس الرهاوي كاتب اخبار الشهداء كوريا وشمونا ، والشاس حبيب ٣٠٧ - ٣٠٩ ولوقيانس الشهيد مؤسس مدرسة انطاكية اللاهوتية ٣١٢ + . ومن تلاميذ مار افرام آبا الذي فسر الانجيل ، واسونا الذي نظم قصائد

بليغة بالبحرين الرباعي والسداسي ، واسحق الآمدي ،
وقورلونا الشاعر نحو سنة ٣٩٤ .

وبعد وفاة مار افرام سنة ٣٧٣ خلفه في رئاسة
المدرسة قيورا ، فاجتمع اليه تلامذة كثيرون من كل قطر
ومن جملتهم نرساي وبرصوما ومعنا^(٤) . وقد تغفل التعليم
النسطوري في هذه المدرسة فحاز به معظم خريجيها منهم هيبا
الرهاوي واقاق الجاثليق ، وبرصوم النصيبيني ، ونرساي ،
وكانوا قد ترجموا الى الآرامية مؤلفات ثاودورس المصيبي
الذي شاع صيته في تلك النواحي . وكان رابولا اسقف
الرها ٤١٢ - ٤٣٥ يقاومهم بعنف وشدة . وفي عام
٤٣٥ توفي مار رابولا الرهاوي فخلفه هيبا وهذا كان
نسطورياً كما علمنا ، فعيّن نرساي النسطوري رئيساً لمدرسة
الرها خلفاً لقيورا الذي توفي عام ٤٣٧ . وافرغ هيبا
ككفانة جهده في نشر تعاليم نسطور حتى عزله المجمع
الافسسي الثاني عام ٤٤٩ . ولما دخل مار اخسنايا « المنبجي »
المدرسة رفض مع غيره الآراء النسطورية . وفي عام ٤٥٧
هلك هيبا وخلفه نونا وكان ارثوذكسياً . فطرد نرساي

(٤) ادى شير : مدرسة نصيبين الشهيرة ص ٨ .

كل مكان مدارس على حسابه الخاص واختار لها المعلمين والاساتذة ، ودفع لهم الرواتب ، وجمع مئات بل الوف من الطلاب الى رياض العلم وامس المكتبات وخزائن الكتب في كل مدرسة . ومنح مكافآت سنوية للمتفوقين بالعلم والعمل .

ولنأتي الآن الى ذكر اهم تلك المدارس واشهرها :

مدرسة نصيبين الاولى

في مدينة نصيبين ، العريقة في القدم ، والواقعة على الحدود الرومانية الفارسية ، والتي دعيت « انطاكية مقدونيا » انشأ مار يعقوب اسقف نصيبين هذه المدرسة التي سميت بمدرسة نصيبين الاولى . امها الطلاب من معظم بلاد الشرق ، وجعل مار يعقوب مار افرام السرياني معلماً فيها . ولما توفي مار يعقوب عام ٣٣٨ ظل مار افرام يدير هذه المدرسة بغيرة ونشاط وفي زمان خلفاء مار يعقوب اعني بهم مار بابو ومار اولغاس ومار ابراهام . وتقدر المدة التي مكث فيها مار افرام في هذه المدرسة ثمانية وثلاثون ٣٨

سنة من ٣٢٥ - ٣٦٣ حيث اضطر الى تركها لوقوع
مدينة نصيبين بايدي الفرس ، وتوجه الى الرها .

كانت اللغة السريانية ، اللغة الرسمية لهذه المدرسة ،
وكان يُدرس فيها العلوم الكتابية والدينية . وقد اُنحيت
علماء كثيرين ، ولكثرة المتخرجين منها سميت نصيبين « دار
العلوم » و « مدينة المعارف » و « ام الملافة » .

مدرسة الرها (٣)

انشئت هذه المدرسة منذ ان اعتنقت الرها المسيحية
في القرن الاول الميلادي . وكانت محجة طلاب اللغة السريانية
الفصحى .

وفي حدود سنة ١٧٢ وجد في الرها ططيانس الفيلسوف
السرياني حيث وضع كتابه المعروف « دياطرون » . وفيها
ولد برديسان عام ١٥٤ الذي توغل سيم اللغتين السريانية
واليونانية ، وتعمق في العلوم الفلسفية .

(٣) من المراجع التي اعتمدنا عليها : اللؤلؤ المنور - تاريخ كنيسة
انطاكية مج ١ اغناطيوس يعقوب الثالث .

النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم العلوم السريانية واليونانية ،
وكانت هذه المدارس تتبعها مكتبات ، وقال البحاثة جرجي
زيدان : « والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمانت
خواتمهم من مظالم الحكم وتشويش الفاتحين انصرفوا الى
الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ،
وتعلموا علوم اليونان ونقلوها الى لسانهم وشرحوا بعضها
ولخصوا بعضها » . وقد احصى البطريك افرام برصوم في
كتابه النفيس : « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب
السريانية » واحداً وعشرين موطناً ومعهداً . اشتهرت
وازدهرت معظمها في الفترة الواقعة ما بين القرن الرابع
وحتى اوائل الحادي عشر حيث نرى نجمة كبيرة من العلماء
يتخرجون منها ويحملون مشعل الثقافة السريانية عالياً .

وبعد القرن الحادي عشر ، نجد ان شعلة العلم لم
تنطفئ من الكنيسة حتى بعد اضمحلال تلك المعاهد
والكليات . فنحن نرى ما بين الفترة الواقعة بين القرن
الحادي عشر والى نهاية الثالث عشر ظهور علماء اعلام يشار
اليهم بالبنان امثال ابن الصليبي ١١٧١ م والمؤرخ البطريك
ميخائيل الكبير ١١٩٩ م وسويريوس يعقوب البرطلي

١٢٤٦ م . وابن المعدني ١٢ م واخيراً ابن العبري ١٢٨٦ م . هؤلاء جميعاً قرأوا على انفسهم او على بعض الافراد وبشكل غير نظامي اذ لم يكن مدارس بالغ الاهمية كالرها ونصيبين وقنشرين . بدليل ان ابن العبري عندما يتكلم عن يعقوب البرطلي في تاريخه الكنسي يقول « استفاد علمه من نفسه بفضل المطالعة » ويقول ايضاً ابن العبري في مقدمة كتابه الموسوم بالحمامة « في هذا الزمان الذي فيه انعدمت السريانية من معلم » ويقول البطريك افرام برصوم عن ابن العبري « قرأ على نفسه » (٢) .

وبعد القرن الثالث عشر الذي فيه احتل المغول هذه البلاد وكثرت الغارات والمصائب ، قوضت على الآثار المتبقية من المعاهد الدينية ، وسيطر العنف وملك الشراسة .

ونرى ايضاً في سجل التاريخ بعض الافراد يصرفون هممة في انعاش العلم والمدارس منهم البطريك اغناطيوس الثالث داود ١٢٢٢ - ١٢٥٢ الذي انعش الروح العلمية في الكنيسة ، وشجّع ذوي المواهب للبروز ، وامسس في

(٢) اللؤلؤ النثور ص ٥٢٢ .

كلمة عامة

قبل ان نبتدىء بتعداد وشرح المدارس السريانية وقبل ان نأتى الى ذكر المعاهد العلمية لدى السريان ، نرى من الانصاف والحق ان نشيد بفضل العرب المسلمين في تسهيل انتعاش الحياة الفكرية والمساعدة على تفجير الطاقات العلمية ، الذين كانوا كل السبب في ظهور النشاطات في شتى مجالات المعرفة الانسانية . ذلك ان هؤلاء العرب قدموا من الجزيرة العربية يرافقمهم نهم شديد الى العلم ، لا بل ان العلم في الاسلام عقيدة على حد قول الاحاديث النبوية « من سلك طريقاً يطلب علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة ، و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » لذلك وقع العربي المسلم في هوى العلم وعشقه وقدمه ورفع الويته فوق السهى واكرم رجالاته ، واكب عليه في كل جوارحه ، وراح ينصرف للحصول عليه انصرافاً منقطع النظير . يرتاد ينابيعه اياً كان نوعها عملاً بقول الحديث : « خذ الحكمة ولا يضرك من اى وعاء خرجت ، اضع الى هذا الفارق ما بين المتعلم وغير المتعلم كقول القرآن الكريم : « وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، » .

لذلك نرى بروز الحركة الفكرية لدى السريان ما بين القرن السابع وحتى الثالث عشر او بعبارة اخرى منذ دخول العرب هذه البلاد فاتحين وحتى سقوط الدولة العباسية عام ١٢٥٨ م فقد كانت فترة ازدهار وانتاج ونشاطات فكرية علمية نظراً لعشق العربي المسلم للعلم والذي يتجلى في مبالغة اكرام العلماء . وفي عهد الامويين ابان الفتح ترك العرب المسلمون المدارس المسيحية الكبرى وغيرها قائمة في انطاكية وحران ونصيبين ولم يمستوها باذى اكراماً للعلم وحفظاً لامهات الكتب الفلسفية والعلمية . وليس عشقهم للعلم فحسب بل روح التسامح في الدين الاسلامي ، وكون القومية العربية انسانية لا عنصرية ، نسجل هذا للحقيقة والتاريخ .

لقد انشأ السريان معاهد راقية ، ومدارس زاهرة في بلاد آرام قبل الميلاد لتلقين الآداب والعلوم ، وإلا فإين درس احيقار الحكيم؟ والشاعر الفيلسوف وافا؟ واما بعد الميلاد فبكل تأكيد كان في بلاد ما بين النهرين العديد من المدارس . قال رينان : « ان الآداب السريانية انتقلت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديسان » اي في القرن الثاني . وقال الاستاذ احمد امين : « كان للسريان في ما بين

وهناك من قال انه اسم مركب من « كار » بمعنى الصنعة و « شوني » اسم رجل كانت حرفته ان يكتب اللغة العربية بحروف سريانية فتركب من الكلمتين اسم هذه الطريقة ، وبهذا التركيب المزجي خفضت الف « كار » حتى صارت فتحاً (٧٦) .

وطريقة كتابة لغة باحرف لغة اخرى امر مألوف كثيراً في الشرق الادنى والاطوسط . فان هذه العادة كانت جارية حتى قبل الازمان المسيحية ، حيث اننا نجد الواحاً عليها كلمات سومرية وآشورية مع انها كتبت باحرف يونانية . وكذلك نجد سكان الاقطاعات السلوقية المتكلمين بالآرامية في جنوب ما بين النهرين يتخذون اليونانية فقط . وقد روى باري انه وجد عمديات وطور عدين نسخة خطية من الاناجيل يرجع عهدها الى القرن التاسع الميلادي وهي باللغة اليونانية لكنها مكتوبة بالخط الاسطرنجيمي (٧٧) . ومن المعلوم ان الارمن كانوا يستعملون الابجدية السريانية قبل ان يبتدع مسروب الابجدية الارمنية . كما ان الاتراك استعملوا الحروف العربية في لغتهم ايضاً .

(٧٦) المشرق : بيروت السنة السابعة ص ٦٨٨ .

(٧٧) كوركيس عواد : دير الربان هرمزد ص ٥٢ الحاشية .

المدراس السريانية

مدرسة نصيبين الاولى	كلمة عامة
مدرسة نصيبين الثانية	مدرسة الرها
مدرسة بيت شهاق	مدرسة دير مار متى
مدرسة دير قرقفتا	مدرسة دير سرجيسة
مدرسة دير مار برصوم	مدرسة دير سرجيس المعلق
مدرسة دير الزعفران	مدرسة دير قنسرين

كان يذيع اوامره في البلاد المذكورة باللغات الشائعة التي
منها اللغة السريانية ، وامر نابليون باقامة المطابع
الكثيرة التي اتى بها معه لطبع اوامره واعلاناته في
اللغة الفرنسية والعربية والسريانية وغيرها^(٧٤).

لم تقلاش الآرامية إلا بعد ان تركت آثاراً بيّنة في اللغة
العربية يمكن تلمّسها في مفرداتها وتركيبها النحوي . كما
ابقت آثاراً كثيرة في سورية ولبنان والعراق منها اسماء المدن
والقرى والاعلام التي لا تحصى مستقف عليها في اثناء
الحديث عن العلاقات ما بين السريانية والعربية^(٧٥).

ولا تزال بعض المناطق الجبلية ، والارياف ، في شمال
العراق وفي بعض انحاء منطقة الشام مثل معلولا وبخعة
وجبعدين ، وكذلك في منطقة طور عبدين الآرامية في

(٧٤) طرازي : السلاسل التاريخية ص ٣٨١ - ٣٨٢ قلاً عن كتاب
تاريخ فرنسا الحديث ص ١٥٢ للمرحوم سليم البستاني طبعة
بيروت ١٨٨٤ .

(٧٥) حتي : تاريخ سورية ولبنان .

تركيا ، وفي بعض المناطق في ايران ، تضم مجموعات من
الاقوام احتفظت بلغتها القديمة الى اليوم .

الكرشونية : لقد كان السريان شديدي الحرص والمحافظة
على لغتهم حتى انه بعد ان تغلبت عليها العربية ، لبثت هي
السريانية اللغة الطقسية الدينية للكنيسة السريانية كما سبق
ذكره ، وليس ذلك فقط بل انهم اخذوا يكتبون العربية
بمحروف لغتهم الآرامية المسماة « كرشونية » ليس في الكتب
الطقسية المترجمة الى العربية فحسب بل في الكتب العلمية
والمراسلات وغيرها .

ويراد بالكرشونية ما خط بالحرف السرياني ومنطوقه
عربي . وقد اختلف الباحثون في اصل هذه اللفظة .
زعم جبرائيل الصهيوني ومرهج النبروني ان الكرشوني
نسبة الى « كرشون » او « جرشون » احد سريان ما
بين النهرين وهو اول من اتخذ الكتابة السريانية لكتابة
اللغة العربية . وقيل انه ظهر بعد الفتح العربي بمدة .
والمرجح الآن عند العلماء ان لفظه كرشوني مشتقة من
فعل سرياني CRASH ومعناها الدخيل الغريب دلالة على
استعمال الحروف السريانية للغة عربية .

وعندما نقول ان هذا الاستبدال كان مدلاً لا نغني
بذلك ان التحول اللغوي من السريانية الى العربية تمّ دون
صعوبات بل ان هذه الصعوبات النسبية ما تزال واضحة في
التأثيرات الآرامية في اللهجات العربية في هذه المناطق .
فان اللغة العربية انتصرت في اول الامر كانه علم قبل
انتصارها كانه تخاطب . ولبث الامر كذلك حتى القرن
الثالث عشر قبل زوال العصر العباسي الاول حيث تمّ
النصر للعربية على اللغة المحلية .

ان درجة التعريب اللغوي في بلاد الشام والعراق
اختلفت من منطقة لاخرى ومن جماعة بشرية لاخرى .
فالمناطق السهلية تعربت على نحو اسرع من تعريب المناطق
الجبلية ، ومناطق المدن تعربت اسرع من مناطق الارياف ،
وسبب ذلك ان بطونا كثيرة من القبائل العربية في السنوات
التالية للفتح الاسلامي خرجت الى مناطق مختلفة من الشام
والعراق ويران واستقرت فيها ، وادى اختلاط هؤلاء
العرب الوافدين مع السكان الاصليين في هذه المناطق الى
تعريب الشام والعراق شيئاً فشيئاً او « تعريب آرام
جنساولفة » كما سبق شرحه هنا .

بالرغم من هذا كله فقد ظلت اللغة السريانية تحمل
بعض المكانة فقد ظلت لغة ادبية حية حتى القرن الرابع
عشر للميلاد^(٧٠) وكانت منذ الاول ولبثت ولا تزال اللغة
الدينية الطقسية في الكنائس السريانية الشرقية والغربية .
وحدثنا ابن العبري ان اهل سورية في زمانه (القرن
الثالث عشر) كانوا يتكلمون بالسريانية^(٧١) . وظلت
محكية في لبنان حتى اواخر القرن السابع عشر واوائل
الثامن عشر^(٧٢) وفي مصر عندما زار بنيامين التودلي
جبل سيناء حوالي سنة ١١٧٠ م وجد على قمته معبداً سريانياً ،
وعند سفحه قرية كان اهلها يتكلمون اللغة الكلدانية
(السريانية)^(٧٣) ، ومما يثبت كثرة السريان والمتكلمين
باللغة السريانية في مصر في اواخر القرن الثامن عشر ان
فابليون الاول عندما جاء مع الحملة المشهورة لوادي النيل

(٧٠) احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ص ١٠٩ .

(٧١) المدخل (النحو) ومختصر الدول .

(٧٢) فيليب حتي : اللغات السامية المحكية في سورية ولبنان ص ٣٠ -

٣٤ والاب لامنس .

(٧٣) فيليب حتي : اللغات السامية المحكية في سورية ص ٣٠ - ٣٤ .

انها تحوز السمة الآرامية العريقة التي ترتقي الى عصور
طويلة قبل الميلاد لا بل الوريثة الرئيسية والوحيدة لها في
اللفظ والكتابة (٦٨) .

اللغة العربية تحل محل السريانية

كان انقصار اللغة العربية على لغات الشعوب المغلوبة
هي المرحلة الثالثة من مراحل الفتح العربي . ذلك ان
الفتح خطا ثلاث مراحل رئيسية :

المرحلة الاولى كانت فتحاً سياسياً عندما دخل العرب
المسلمون هذه البلاد سورية والعراق فاتحين وقضوا على
الامبراطوريتين الرومانية والفارسية على عهد الخلفاء الراشدين .
وكان عدد العرب المسلمين عند دخولهم البلاد في اول وجبة

(٦٨) من المصادر الهامة التي استندنا اليها في بحث لهجات اللغة الآرامية :
١ - اللغات الآرامية وآدابها لشابو ٢ - علوم اللغة العربية
للحجازي ٣ - مجلة لسان المشرق للطران بولس بهنام ٤ - المدخل
(النحو) ومختصر الدول لامن العبي ٥ - تاريخ سورية
للدكتور فيليب حتي ومجلة الحكمة في القدس وغيرها .

حوالي ربع مليون نسمة ، وكان سكان البلاد الاصليون يومئذ نحو خمسة ملايين معظمهم مسيحيون سريان^(٦٩) .

ثم عقب ذلك في القرن الاون في العصر العباسي الفتح الديني وهي المرحلة الثانية من الفتح . واما المرحلة الثالثة فكانت فتحاً لغوياً وهي آخر المراحل وابطؤها . ويظهر ان سورية بقيت في معظم عهدها الاموي ٦٦٠ - ٧٥٠ م محتفظة بصيغتها الآرامية سيما من الناحية اللغوية والدينية حتى ان لغة الديوان في العاصمة دمشق بقيت آرامية الى ايام الخليفة عبدالملك بن مروان ، وحقق للعربية الفوز الاخير في اوائل العصر العباسي حيث حلت العربية محل السريانية .

ان استبدال اللغة السريانية السامية في العراق وسورية بلغة عربية سامية اخرى كان امراً سهلاً نظراً للمجانس الكبير بين هاتين اللغتين ، بخلاف اللغة الفارسية البهلوية التي ترجع الى اصول هندية آرية ، فان الانتقال منها الى العربية كان صعباً جداً .

(٦٩) فيليب حتي - سورية والسوريون ص ٣٤ طبعة ١٩٢٦ .

ارتأى البعض ان آسيا واوربا لفظتان اشوريتان فيرجع
اصلهما الى الكلمتين الاشوريتين آسو بالضم ومعناها الشروق
واربو ومعناها الغروب وبالضم ايضاً . وكان الاشوريون
يطلقون كلمة آسو على البلاد الواقعة في الشرق ، وكلمة اربو
على البلاد الواقعة في الغرب (٦٦) .

ويعود السبب الى نشوء هاتين اللهجتين ، ان النساطرة
تبنوا احدى اللهجات المحكية في ربوع نينوى وجبالها
وجعلوها لغة ادبية وادخلوها طقسهم الكنسي ، بينما كانوا
قبل هذا العهد يلفظون كما يلفظ السريان الغربيون . قال
العلامة ابن العبري « في اوائل القرن السادس عندما تم
انفصال النساطرة عن امم الكنيسة السريانية الجامعة ، فلكي
يجعلوا لهم كيانياً خاصاً مستقلاً ، شرعوا يكتبون باللهجة
الشرقية التي كانت لغة التخاطب فقط في بلاد نينوى وبابل
وما جاورهما . وقام بعد نرساي في رئاسة مدرسة نصيبين
يوسف الاهوازي وهو الذي غير اللهجة الرهاوية الى هذه

(٦٦) مصطفى مراد الدباغ : جزيرة العرب .

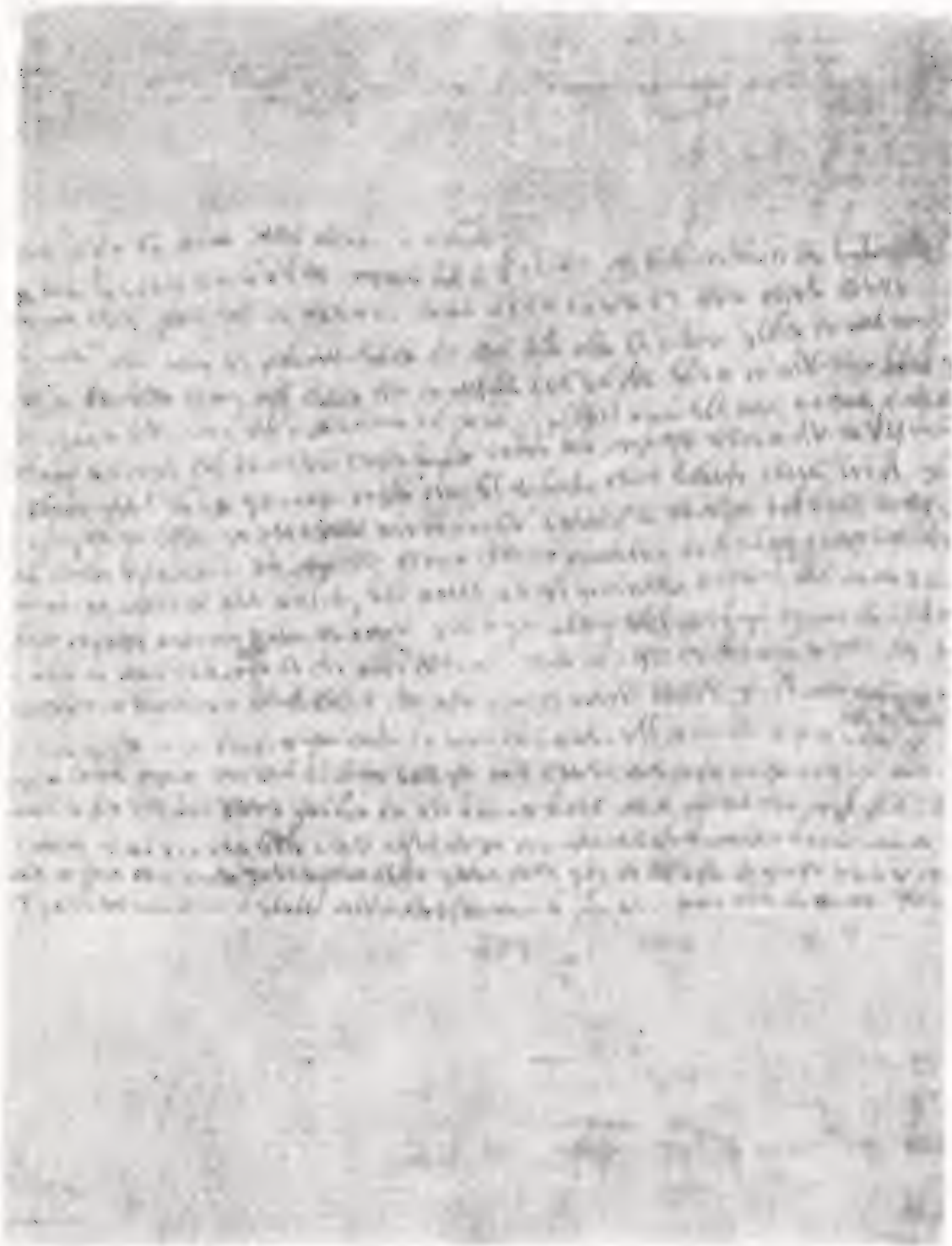
اللهجة الشرقية التي يستعملها النساطرة ، وقد كانوا قبل ذلك يقرأون بحسب لهجتنا» (٦٧)

وعلى ضوء ذلك نقول هكذا اختصت اللهجة الرهاوية الغربية بالكنيسة السريانية الام المنتشرة في سورية وبلاد الشام واعالي ما بين النهرين حتى نصيبين . واختصت اللهجة الشرقية بالنساطرة فامتدت في العراق وفارس واذربيجان ، ويستثنى من هذا كنيسة المشرق السريانية الارثوذكسية التي تستعمل اللهجة الغربية الرهاوية .

وقد اطلقت تسمية شرقية وغربية على اللهجتين تبعاً لكون الكنيسة كانت قسمين ، شرقية وغربية . وسميت الاولى شرقية ومنطقة نفوذها شرقي الفرات . وسميت الثانية غربية ومنطقة نفوذها غربي الفرات .

ومهما يكن من الامر فان اللغة السريانية الآرامية المعروفة اليوم بقسميها الشرقي والغربي ، ولئن كانت قد فقدت بعض عناصرها الاولى واكتسبت عناصر جديدة الا

(٦٧) ابن العبري تاريخ الفارسية - في ترجمة بابوية .



الكتابة الآرامية في عهد المملكة الاخمينية
القرن الخامس ق . م في مصر العليا

مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة السائدة في آسيا السامية اعني سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب وكان المسامون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب فيها الارمن قبل انتشار الارمنية وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً ، كما انها بلغت بلاد النيل ، فلا نظن ان لغة اخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها إلا الانكليزية في وقتنا الحاضر .

وفي القرن السادس الميلادي وعلى اثر الانقسامات الدينية المسيحية نشأت لهجتان سريانيتان ، اللهجة الشرقية في الامبراطورية الفارسية واللهجة الغربية في الامبراطورية الرومانية . نشأ بينهما خلاف على اوجه غير جوهرية ، في الخط ، والتحريك ، واللفظ ، فالشرقية مفتوحة دائماً والغربية مضمومة (مزقوفة) بينما كانت اللغة الاصلية مضمومة الآخر دائماً ، فاذا عدنا الى لهجة بابل القديمة بحسب ما قرأها علماء الآثار لوجدناها تميل الى الضم(٦٥) .

(٦٥) كلدو وآثور مج ١ ص ١٤ ادى سير .



مذبح كنيسة مار بطرس وبولس في الرها
صورة قبل هجرة السريان في بداية هذا القرن

الايوسط ليس فقط على الصعيد الثقافي ولكن حتى النطق،
وخير دليل على ذلك اسماء الامكنة العديدة والمنتشرة من
ساحل البحر المتوسط الى بلاد فارس والباقية الى اليوم
بصيغتها السريانية، فكانت بجانب اللاتينية واليونانية لغة
للادب المسيحي في العالم. ولم تقف السريانية عند حدود
الشرق الاوسط بل تعدتها وتوغلت في اواسط آسيا والهند
والتبت حتى كانت في نهاية القرن السابع في الصين وبلاد
المقول كما تحدثنا في خبر انتشارها. وامتدت باتجاه الغرب
حتى وصلت الى وادي النيل ومما يدل على ذلك وجود دير
للسريان قديم مشهور مبني على اسم مريم العذراء في الصعيد
بمصر، وكان فيه خزانة كتب سريانية كثيرة العدد وعظيمة
الثمن مما لم يوجد مثله في العالم كما سيأتي شرحه. والواقع
لعبت السريانية هذه دوراً هاماً في الشرق باسره يضاهي
الدور الذي لعبته الآرامية في عهد الامبراطورية الاخمينية
الفارسية. قال الاب لامنس اليسوعي (٦٤) « ومن عجيب
الامور ان انتشار لغة الآراميين السريان بلغ عبد السلوقيين

(٦٤) مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ - ٧٠٥ - ٧٧ .

الحرانية : نسبة الى حران ، والتي ظلت مدة طويلة معقل الوثنية في ما بين النهرين ، ومن المحتمل ان لغة هؤلاء الوثنيين لم تكن تختلف كثيراً عن لغة جيرانهم الرهاويين . وكان ثابت بن قره احد كبار كتبتهم في اواخر القرن التاسع . ولا شك ان العربية حوالي ذلك الوقت قضت عليها واندثرت .

الماندية : ارتبطت هذه اللهجة بجماعة دينية عرفت باسم الصابئة او المندائية واللفظتان سريانيّتان ، فالصابئة بالسريانية SBIIE اي المصطبغين المعمدين ، والمندائية مشتقة من يدع IDA اي عرف والاسم القديم الصابئة ، والمنداعية ، بالعين ثم اختفت العين وظهرت الهمزة بدلاً عنها . وكانت هذه الطائفة تقول بالمعرفة (غنوستية) وتمكنت هذه اللهجة من الثبات حتى اليوم ، واتباعها قليلو العدد يسكنون في نواحي واسط البصرة ويدعون غالباً بالصابئة كما سبق او بنصاري مار يوحنا . اما دياتهم وثنية مشوبة بشيء من اليهودية والمسيحية .

ومن اللهجات الوثنية المنذرثة المانوية بعد الميلاد .

اللهجة الرهاوية المسيحية : من ام اللهجات الآرامية

اطلاقاً وافصحها كقول العلامة ابن العبري (٦٣) .

ان اللهجة الرئيسية الفصحى هي الرهاوية السريانية .

كانت هذه اللهجة وثنية ، ولما دخلت المسيحية مملكة الرها في اولها اتخذت لها السريانية لغة الطقوس الدينية ، وارتبطت من ثم هذه اللهجة بالمسيحية ، ومع المسيحية انتشرت السريانية الرهاوية ، وظلت لغة الادب دهرأ طويلاً ونبغ فيها كتاب بارعون . وتركت فيها مؤلفات نفيسة تناولت جميع صنوف المعرفة البشرية والثقافة الدينية والكنسية كما سيأتي بيانه ، ثم تحطت هذه اللهجة الرها وانتشرت في سورية كلها فتقلصت امامها سائر اللهجات الآرامية وقتئذ ، وقد حسب بعض المستشرقين ان آرامية الكتاب المقدس هي من فرع الرهاوية ، وبكل حق وجدارة تعتبر الوريثة للغة الاصلية . ويجوز لنا القول انها اصبحت لغة الشرق

كانت فلسطين في عهد السيد المسيح قد انتشرت فيها اللهجة الآرامية منذ أكثر من قرن ، ومن المؤكد انه كان بين نطق اهل اليهودية في الجنوب ونطق اهل الجليل في الشال تباين في اللهجة ، وهناك ما يحملنا على ان نميز لهجة اليهودية من لهجة الجليل ، وشهادة الانجيل في هذا الصدد صريحة . فان بطرس الرسول لما انكر انه من تلاميذ يسوع قيل « انك جليلي ولهجتك تم عليك » .

وهناك لهجة ثالثة كان يهود بابل يتكلمون بها وهي تحتوي على عناصر يهودية وجيلية غير ان العنصر الغالب فيها هو آرامية ذلك القطر . ومنشؤها : ان اوفد جماعة من علماء الجليل الى بابل ليعيدوا التقاليد الفلسطينية القديمة فرجعوا بها في ثوب من اللغة قد تبدل تبداً محسوساً ، وعندها نشأت لهجة تكاد تكون جديدة فيها بعض التصنع . وليست آرامية فلسطين المسيحية إلا امتداداً للهجة فلسطين اليهودية ، وبها كتب متى الرسول انجيله ، الذي فقد نصه الآرامي وبقيت ترجمته اليونانية .

اللهجة السامرية : السامريون سكان السامرة كانوا يدعون انفسهم حراس الشريعة ، واصلهم ، ان سرجون

ملك آشور لما استولى على السامرة سنة ٧٢١ ق . م جلا معظم اهلها واحل محلهم جالية من سائر الشعوب المغلوبة ، ومن هذا المزيج ومن بقايا السكان القدماء تألفت طائفة السامريين الذين كانوا دائماً في عدااء مع جيرانهم اليهود ، مذ عاد هؤلاء من الجلاء . والسامريون لا يعتقدون في اسفار التوراة الاسرائيلية إلا اسفار موسى الخمسة (التوراة) وليست توراة السامريين سوى نسخة عن التوراة العبرية بخط خاص ، غير ان الحاجة دعت الى ترجمتها بلغة عامية ونشأ عن هذا : الترجوم السامري مكتوباً بلهجة آرامية . وقد وضع الترجوم السامري في الغالب في القرن الرابع الميلادي . واللهجة السامرية قريبة الى اللهجة الجليلية . وزالت في القرن السابع الميلادي وحل محلها اللغة العربية .

اللهجات الوثنية : ومن فروع هذه اللهجات

القدمرية : تطابق هذه اللهجة من حيث الجوهر .
آرامية الكتاب المقدس ولها صلة كبرى بالنبطية . وهي مندثرة .
النبطية : لهجة آرامية خاصة كتب فيها النبط نقوشهم
اواخر القرن الثالث الميلادي ، واندثرت

عن العالم المعروف يومذاك ، مما ساعدها على التثبيت بالاصور
القديمة حتى اذا حان وقت انتشارها الهائل مع الفتوحات
الاسلامية في القرن السابع للميلاد استطاعت ان تحتفظ
بتلك العناصر الاصلية .

آرامية الدولة : اطلق هذه التسمية J. Mark Wart

والمقصود بها الآرامية المستخدمة في النقوش الكثيرة التي
دونت في القرون السابع والسادس والخامس قبل الميلاد ، وقد
سميت آرامية هذه النقوش باسم آرامية الدولة لان دولة الفرس
الاخمينيين اعترفت بالآرامية لغة رسمية في الدولة ، فالدولة
المقصودة هي دولة الفرس الاخمينيين . وقد سبق في شرح
خبر انتشارها كيف اوضحت اللغة الدولية والرسمية في
آن واحد .

اللهجات الدينية : وهناك لهجات آرامية تختلف

باختلاف الطائفة الدينية ، فهناك لهجات لليهود واخرى
للوثنين ثم تأتي اللهجة الرهاوية السريانية وتتحول مع
انتشار المسيحية الى لغة من اهم لغات الشرق المسيحي في
القرون التالية .

اللهجات اليهودية : هنالك عدد من اللهجات الآرامية

ارتبطت بكتب اليهود المقدسة وبالجماعات اليهودية التي عاشت في فلسطين والعراق . منها آرامية الكتاب المقدس في العهد القديم وفيه سفران بالآرامية ، قسم من سفر عزرا وقسم من سفر دانيال ، وهذان السفران جزيرة لغوية آرامية في محيط عبري . يضاف الى ذلك عدد واحد من ارميا ١٠ : ١ وكتين في سفر التكوين ٣١ : ٤٧ .

وعندما قلت معرفة اليهود بالعبرية واصبح اكثرهم لا يستطيع قراءة نصوصها فضلاً عن التحدث بها ، نجمت ضرورة لترجمة اجزاء من العهد القديم الى اللهجات الآرامية المحلية التي كان اليهود يفهمونها آنذاك . وبدأت هذه الترجمات الآرامية في صورة نقل شفوي ، فكان رجل الدين يترجم النص العبري ترجمة شفوية الى لهجة المستمعين بالآرامية ، كان ثمة تخرج من تدوين هذه الترجمات حتى لا تكون منافساً للكتاب المقدس الاصيل ، ولكن هذا الحرج قد قلَّ بمضي الوقت فدونت هذه الترجمات وبذلك ظهر الترجوم البابلي ، والترجوم الفلسطيني والترجوم السامري ، ويمثل كل ترجموم من هذه التراجم لهجة آرامية متميزة .

و

الاشورية القديمة	١٩٥٠ - ١٥٠٠ ق. م
الاشورية الوسيطة	١٥٠٠ - ١٠٠٠ ق. م
الاشورية الجديدة	١٠٠٠ - ٦٠٠ ق. م

وكان من نتائج تأثير السومرية بالاكادية ان اختلفت
من الاكادية السامية بعض حروف الحلق سيما العين
والحاء . فظل الاكادي يلفظ حره و اره و والاشوري
يلفظ بدلاً من شلاً رَملاً . كما انتقلت عدة كلمات
من السومرية الى الاكادية ، وانتقل بعضها من الاكادية
الى العبرية والعربية والسريانية واشهر تلك الكلمات
وهي **محل** كمة وتعني هذه الكلمة في اللغة السومرية «البيت الكبير» .
وتسربت من الاكادية ايضاً كلمة **أهجر** الآن والتي
انتهت في اللغة السريانية في لهجة طور عبيد .

وامتد التأثير الاكادي الى بناء الجملة الاكادية ، فقد
كان الفعل السومري يتخذ مكانه في آخر الجملة ، بينما
يكون الفعل في الجملة السامية في اول الجملة لتكوين الجملة

الفعلية ، فتحرك الفعل الى آخر الجملة في الاكادية وقد
وصل هذا التأثير الى الآرامية حيث يقال

هه حسا حرفه و الكلامه سلكهم و حس سبجان من ضحى
في نفسه من اجلنا بدلاً من

هه حسا حرفه و حس كلامه سلكهم

عاشت الاكادية اكثر من خمسة وعشرين قرناً من عام
٢٥٠٠ حتى القرن السابع ق . م وبسقوط الدولة الاشورية
في القرن السابع ق . م بدأ احتضار اللغة الاكادية ، بينما
كانت اللغة الآرامية تواصل انتشارها كما سبق كلفة حديث
ولغة تعامل في آن واحد . وخلفت الاكادية تراثاً ادبياً
مثل ملحمة جلجامش ، وشريعة حمورابي وعدداً كبيراً من
النقوش ذات المضمون السياسي والاجتماعي .

نستنتج من كل ذلك ان الآرامية فقدت عناصر السامية
الاولى في حين ان العربية ظلت اقرب من الآرامية السريانية
الى اللغة الام و اكثر منها تشبهاً بها اذ بذتها باحتفاظها
بكثير من العناصر اللغوية الاصلية المتحدرة اليها منها ،
والسبب في ذلك كما قرره الباحثون يعود الى ان العربية
عقبت انفصالها عن الأم ازوت دهرأ طويلاً في بقعة نائية

دراسات بروكلمان ، وديجن ، وكولي ، وباومشترك ،
واوليري ، ونو ، ونودلوكه . كما نجد ما يشابه هذا التقسيم
عند شابو وبناءً على ذلك نقول : تنقسم اللهجات الآرامية
السريانية الى .

الآرامية القديمة : اطلقها بروكلمان على مجموعة النقوش
القديمة المدونة بالآرامية والتي تعود الى ما بين القرن
العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد(٦١) . وقال
العلامة شابو « وحيث ان هذا التقسيم لا يمكن ان ينطبق
عليه تعيين جغرافي لذلك وجب ان تسمى اللهجات الغربية
بـ « الآرامية القديمة »(٦٢) .

ان ما عجز الآرامية القديمة عن اللهجات الآرامية الاخرى
انها تستخدم مثلاً في كلمة « ارقا » ومعناها الارض . بينما
تأتي هذه الكلمة في اللهجات الآرامية الاخرى **أوقا**
ارعا ومن هذا يظهر ان الضاد العربية وهي الامتداد
المباشر للضاد في اللغة السامية الاولى قد تحولت في الآرامية
القديمة الى قاف ، وفي اللهجات الاخرى الى عين .

(٦١) علوم اللغة العربية ص ١٣٧ .

(٦٢) اللغات الارامية وآدابها ص ١٢ .

وحيث ان الآرامية القديمة لها مساس كبير في اللغة
الأكادية ، فزيادة في الفائدة والايضاح ننقل الى اعطاء
فكرة موجزة عن الأكادية بالذات .

تنسب الأكادية الى اكد وهي اول مدينة سكنها الساميون
الوافدون في شمال بابل ، وقد امتزجت هذه اللغة الأكادية
السامية باللغة السومرية لغة الشعب السومري الذي كان
متواجداً هناك . وهذه اللغة السومرية لا تنتمي الى مجموعة
اللغات السامية . فساد ازدواج لغوي بين الأكادية السامية
والسومرية غير السامية دام ستة قرون ٢٥٠٠ - ١٩٠٠
ق . م وادى في النهاية الى سيادة اللغة الأكادية وانتهاء
استخدام السومرية . وهناك عدد كبير من النقوش السومرية
والنقوش الأكادية وصلت الينا من هذه الفترة التي فيها
ساد الازدواج اللغوي . ويطلق على هذه اللغة الأكادية في
هذه الفترة اسم الأكادية القديمة تميزاً لها عن المراحل
اللغوية التي جاءت بعد ذلك وهي :

١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق . م	البابلية القديمة
١٥٣٠ - ١٠٠٠ ق . م	البابلية الوسيطة
١٠٠٠ - ٦٥٠ ق . م	البابلية الحديثة
٦٥٠ ق . م - القرن الاول الميلادي	البابلية المتأخرة

دقيقة أكثر من استناده الى اللفظتين شرقية وغربية . وفي الحقيقة ان هاتين اللفظتين ، ليس لهما من علاقة إلا من حيث الزمان والمكان ، فالسريانية وهي لهجة شرقية كانت في عهد ما اللغة الادبية لمعظم الاقطار التي كانت اللهجات الغربية قد ازدهرت فيها ،^(٥٨) ومن الذين هاجموا هذا التقسيم ايضاً ، المطران بولس بهنام حيث يقول : « ان هذه اللهجات كلها تحدرت بتبادي الزمان من لغة واحدة واختصت كل لهجة بكيانها الخاص واسلوبها الخاص . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لم تنقسم اللغة الآرامية الى لهجتين اثنتين فقط في بادىء الامر وكل من اللهجتين تفرعت الى عدة فروع . فلا يستطيع اذاً والحالة هذه الركون الى تقسيم هذه اللهجات الكثيرة الى فئتين شرقية وغربية فيكون هذا التقسيم خاطئاً من اصله ، مع العلم ان تسمية شرقية وغربية هو من مخلفات السريانية المسيحية حدث في القرن السادس الميلادي . اما قبل المسيحية فكانت كل اللهجات المختلفة مع كثرتها قائمة بذاتها منحدرة من اللغة الأم .

(٥٨) اللغة الآرامية وآدابها ٨ و ١٢ .

فان لهجات تدمر والبطراء ودمشق وبابل ونينوى والرها كلها آرامية ذات اصل واحد ولا يمكن باي وجه من الوجوه تقسيمها الى فئتين شرقية وغربية . ولا سيما ان المستشرقين يخلطون بين هذه اللهجات ، فيجعلون مثلاً لهجة فلسطين غربية ، ويجعلون لهجة الرها شرقية ، والحال هذه الامور لا نصيب لها من الصحة . لان لهجة فلسطين الآرامية انتقلت مع الراجعين من السبي البابلي ، فيكون موطنها الاصلي بلاد بابل ، ولو كان هناك فرع شرقي بالمعنى الذي يقصده المستشرقون تكون بابل ام اللهجات الشرقية ، واذا كان كذلك كيف يمكن ان تكون لهجة فلسطين اليهودية المنبثقة منها عربية؟ ولهجة الرها وهي ام اللهجات الغربية ، فكيف يسوغ جعلها شرقية؟ (٥٩)

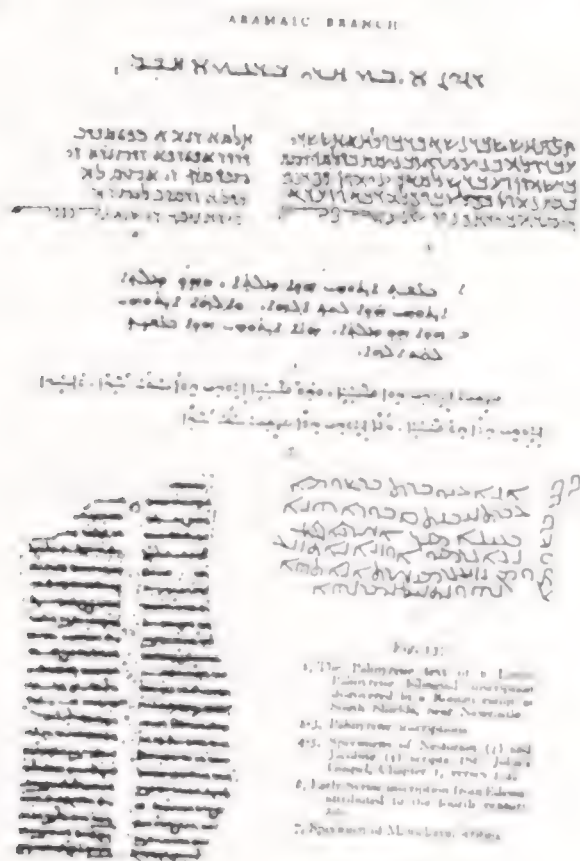
لقد رأينا تقسيماً عاماً منطقياً للهجات اللغة السريانية اعدّها الدكتور محمود فهمي الحجازي الامتياز في جامعة الكويت ، في كتابه القيم علم اللغة العربية : مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية (٦) معتدداً على

(٥٩) مجلة لسان المشرق - السنة ٣ ص ٢٥٦ .

(٦٠) من ص ١٧٢ - ١٨٣ .

يستطيع معه ابناء اللهجة الواحدة ان يفهموا المتكلمين ببقية اللهجات إلا بواسطة ترجمان كأنهم يسمعون لغة غريبة عنهم ، فان مسكان سورية مثلاً يتكلمون لهجة غريبة عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشاركة الذين ابتعدوا عن الاصل اكثر من هؤلاء (٥٦) .

لم يتوفق العلماء الاخصائيون إلى ضبط هذه اللهجات . وقد احصى ابن بهلول في معجمه ست عشرة لهجة دون



(٥٦) المدخل (النحو) تعليقه على الحركات السريانية .

ان يعلمنا شيئاً عن تلك اللهجات او يحدثنا عن الفروق
الكائنة بينها ، وكما تعتبر اصولاً للاصل اللغوي القديم .

والمستشرقون يقسمون هذه اللهجات الى مجموعتين ،
الشرقية لشيوعها بين الشرقيين في بلاد بابل وما بين النهرين
ونينوى وما جاورها الغربية لشيوعها في سورية وآسيا
الصغرى وفلسطين وبلاد العرب ومصر . وكان يفصل
القسمين عن بعضهما نهر الفرات (٥٧) .

ويتفرع من الشرقية لغة اليهود في بابل (الكلدانية)
والرهاوية ، والمندائية . ويتفرع من الغربية لغة اليهود
المتأخرين (اليهودية) والتدمرية ، والنبطية ، والسامرية .

ان المستشرقين لم يتوقفوا بتقسيمهم هذه اللهجات الى
غربية وشرقية وقد اظهر هذا الخطأ بعض الباحثين منهم :
العلامة شابو الذي لم يستصوب هذا التقسيم اللغوي وقل
معلقاً عليه : « ان هذا التقسيم يستند الى اعتمارات لغوية

(٥٧) شابو : اللغات الآرامية وآدابها ص ١١ .

الى كلمة Ora وتعني في اليونانية « عبر » وكلمة chronos وتعني في اليونانية « الزمن ». فهذا العلم يتناول تاريخ اللغات وتطورها البنيوي والمعجمي ، وتطور حياتها في المجتمع ، ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي في حياة اللغة السريانية واثّر ذلك في بنيتها الحضارية (٥٥) .

فقدت الآرامية السريانية سندها بسقوط الامبراطورية الفارسية ، وفقدت عامل وحدتها بعد موت اسكندر المقدوني وبتجزؤ دولته عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، وانقطعت الصلات اللغوية بين مختلف نواحي العالم الآرامي . وتطورت الآرامية في كل بقعة من بقاع الشرق متأثرة بعوامل البيئة والزمان والمكان واللغات المجاورة . ونتيجة لانتشارها الهائل الواسع واختلاط الآراميين بشعوب اخرى نشأت لهجات متعددة ومختلفة قال العلامة ابن العبري : « ان اللغة السريانية تفرعت الى فروع كثيرة ولهجات متعددة اكثر من جميع اللغات ، وذلك لانتشارها في بلاد شتى بعيدة عن بعضها ، فصار بين اللهجة والاخرى بون شامع لا

(٥٥) علم اللغة العربية ص ٤٩ - ٥٠ للدكتور الحجازي .

الاقتياس والتغير . مثال ذلك في عام ١٣٧ اصدر هدريناس
قيصر الرومان ١١٧ - ١٣٧ اوامر شديدة حظر فيها على
اليهود ان يعودوا الى اورشليم بالكلية . ووضع قصاصاً
صارماً رهيباً لكل من يتعدى هذه الاوامر وذلك جزاء
عصيانهم عليه . ولم يسمح لهم بالحضور الى اورشليم سوى
مرة في السنة ليكسوا عزم السابق . ومن ثم استوطنت
الامم اورشليم كما اخبر اريسطون الذي من مدينة بلا ،
وكانت الامم التي سكنتها مزيجاً من السريان واليونان
والرومان . فنظراً لمثل هذه الاحداث التي كانت تنتاب
اورشليم واليهود كان يحدث في لغتهم ما يحدث ، غير ان
اللغة المحكية دائماً كانت السريانية .

هذا وان اعلام الاماكن العامة في اورشليم وردت
في العهد الجديد بالسريانية مثل حلمس اي مرسل
يو ٩ : ١١ حلمس الجمجمة يو ١٩ : ١٧ و
سلاومس حقل الدم ١ ع ١ : ١٩ ، وفضلاً عن ذلك
فاننا نجد في اسفار العهد الجديد الفاظاً كثيرة تبين لنا فيها
ان لغة اهل فلسطين في القرن الاول المسيحي كانت

سريانية منها : ان الرسل دعوا المسيح مرات ^٤ **وُكَّ** ،
وقد حفظت الترجمات هذه الكلمة على اصلها ومعناها ابي
وميدى . ومثلها **وُكَّ** ^٤ يو ٢٠ : ١٦ FESHO الفصح
و AMIN آمين MORAN ETHO اي ماران انا الخ .

ومن الادلة القاطعة التي تثبت ما نحن بصدهه شهادة
الانجيل المقدس حيث يورد احيانا بالحرف اليوناني الكلمات
التي نطق بها المسيح بلفظها الاصلي وهي كلها سريانية
للكاهن مر ٥ : ٤١ **امد امد** **للكاهن**
مت ٢٨ : ٤٦ وغيرها .

على ان آباءنا الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا
باليونانية ما كتبوا إلا للقراء والعلماء فقط . اما العامة وهم
الاجلبية الساحقة فكانوا يلفونهم الكرازة والتعاليم المسيحية
باللغة الوطنية اعني الآرامية السريانية . ويشكو يوحنا فم
الذهب في انطاكية بان الذين كانوا لا يستمعون اليه لا
يستطيعون فهم مواعظه اليونانية . وان الكهنة كانوا لا
يسمعون سوى السريانية الدارجة . وقد وصفت لنا رحلة
سيلفيا الى الاماكن المقدسة في ختام القرن الرابع اسقف

قبل الميلاد بمائة وخمسين سنة انقطعت اللغة العبرية بين
اليهود على ان تكون لغة الحديث بينهم ، لكن في العصور
المتأخرة من تاريخ اورشليم وبعد ان اباد تيطس تلك
المدينة المقدسة ، قد لعبت المدارس اليهودية دوراً هاماً جداً
احيت به او اطالت حياة اللغة العبرية . غير ان هذه اللغة
العبرية الحديثة بالذات استعارت جزءاً كبيراً من كلماتها من
اللغة الآرامية ، وكان لها تأثير كبير في القواعد العبرية .

واما في اللغة اليونانية التي كانت قد فرضت لغة رسمية
في الشرق كله في الغزو الاغريقي للشرق ، فلم يصنف احد
منهم شيئاً في فلسطين . وحتى ان يوسفوس المؤرخ
اليهودي الشهير نفسه الذي عاش في القرن الاول للمسيح
يشهد في مقدمة كتابه الحروب اليهودية انه صنف تواريخه
في بادىء الامر بلسان قومه اي السريانية ومن ثم نقلها
الى اليونانية ، هذه هي البيئنة الاولى على ان اليونانية لم
تكن شائعة في فلسطين في عهد المسيح ، وان السريانية
هي التي كانت جارية على السن العامة فيها . كما ان اعلام

لكنها لم تمت بل ازوت في المعابد والمدارس ووضحت لغة الدين اليهودي . وكان ربانية اليهود يحرصون على ان تقرأ الاسفار في الكنيس باللغة العبرية الفصحى . وكان احبار اليهود يكرهون اللغة الآرامية وكانوا يصلون على بث كرهها في نفوس اليهود ، حتى نقل عن بعض علماءهم كلمات مأثورة وردت في التلمود « استعملوا العبرية او اليونانية واحذروا من رطانة الآرامية » وايضاً « لا يحدث الانسان اخاه بلغة آرام » (٥٢) . ولكن الآرامية رسخت قدمها برغم هذه الجهود ، لان الطبقات الغير المتعلمة منهم كانت قد نسيت العبرية حتى اضطر الاحبار ان يدونوا تراجم التوراة باللغة الآرامية . واتى بهم الامر الى احترامها وتقديسها وعارضوا ترجمة الاسفار الى الآرامية ، فالحياة كانت تفرض عليهم شيئاً من التسامح .

وقد تحدر الينا وصف للطريقة التي كانت تقام بها العبادة في الكنيس حوالي ٣٠٠ عام ق . م عندما اختفت العبرية كلفة محكية بين الناس . كان الحاخام يقرأ النص

(٥٢) محمد عطية الابراشي : تاريخ اللغات السامية ص ٩٦ - ٩٧ .

العبري ، وكان يقوم الى جانبه ترجمان فيقرأ النص بالآرامية ويفسره ويعلق عليه . وهذه الترجمات والتفاسير والتعليقات تسمى في مجموعها بالترجوم ، ولغته آرامية . يقول الاستاذ

الآروف الردية	ما ضلها في الردية	فيها العدد	الآروف الردية	ما ضلها في الردية	فيها العدد
א	א	١	א	א	٣٠
ב	ב	٢	ב	ב	٤٠
ג	ג	٣	ג	ג	٥٠
ד	ד	٤	ד	ד	٦٠
ה	ה	٥	ה	ה	٧٠
ו	ו	٦	ו	ו	٨٠
ז	ז	٧	ז	ז	٩٠
ח	ח	٨	ח	ח	١٠٠
ט	ט	٩	ט	ט	٢٠٠
י	י	١٠	י	י	٣٠٠
כ	כ	٢٠	כ	כ	٤٠٠

الابراشي « اخذت الآرامية تنتشر انتشاراً كبيراً بين اليهود في فلسطين ، وانقطعت اللغة العبرية بالتدريج على ان تكون لغة المحادثة ، ولكنها اصبحت لغة المدارس والدين . » . ويبتدئ كتاب دانيال الذي كتب سنة ١٦١ ق.م باللغة العبرية ثم ينتقل فجأة الى اللغة الآرامية ثم ينتهي باللغة العبرية . وبالمثل نجد في سفر الاخبار وفي عزرا انتقالاً من الآرامية الى العبرية ومن هذه الى تلك . وفي الجزء الاخير من نحemia استعير مقدار كبير من اللغة الآرامية . واننا نرى ان كتب استير واكسلساستر وبعض المزامير التي يرجع عهدها الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد قد كتبت باللغة العبرية لكنها متأثرة باللغة الآرامية ، وفي عصر المقامين

الآرامية لغة فلسطين

بعد ان تحدثنا عن انتشار الآرامية السريانية في سورية ، وآشور وبابل ، وفارس ، ومصر ، وبلاد العرب والى اقصى الشرق القديم نأتي الى الحديث عن انتشارها في بلاد فلسطين او جنوب سورية كما يقول بعض المؤرخين ، وجعلنا هذا الحديث مستقلاً عن غيره لكون السيد المسيح ظهر في هذا البلد وتحدث بلهجته الآرامية الفلسطينية .

جرى الاتصال بين الآراميين وبعض القبائل العبرية الشمالية بفلسطين منذ زمن قديم ، وبلغ مبلغاً عظيماً في القرن الثامن ق . م حيث قويت شوكة الآراميين وانتشروا انتشاراً واسعاً في سورية وقد عظم نفوذهم في فلسطين شيئاً فشيئاً حتى اصبحت اللغة الآرامية تنافس اللغة العبرية بين اقوامها انفسهم (٤٩) . ثم اصبحت لغة فلسطين الوحيدة المحكية منذ القرن الخامس ق . م واستقرت فيها ، ولما عاد السبيون من بابل الى فلسطين كانت الآرامية بدلاً

(٤٩) ولفسون : تاريخ اللغات السامية ص ٩٦ .

من العبرية قد اوضحت اللغة المحلية التي يفهمها الجميع ولم نزل حتى العصر الرسولي ، وبها تكلم السيد المسيح كما سبق . وان معظم المؤلفين في فلسطين وضعوا مؤلفاتهم في اللغة السريانية من ذلك اسفار طويبا ، ويهوديث ، وابن سيراخ ، والترجمات الكثيرة ، وجانب عظيم من التلمود . واقدم الصلوات التي كان يستعملها اليهود عدا التساييح التي هي في الكتاب انما وردت بالسريانية .

كان عامة اليهود قد تخلوا في حياتهم اليومية عن العبرية ، واستعاضوا عنها بالآرامية الشائعة ، لذلك فان المسيحيين لم يفهموا كتاب الشريعة الذي قرأه عزرا بالعبرية ، لذا فان مترجميه « قرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وافهموا القراءة » (٥٠) . وكذلك فان خصومهم المنفيين المائدين خاطبوا ملك الفرس بهذه اللغة الآرامية وتساموا جوابه بها ايضاً (٥١) .

ان العبرية ولئن انقطعت على ان تكون لغة المحادثة

(٥٠) نوح ٨ : ٨ .

(٥١) عز : : ٧ .

منتشرة في معظم الاقطار ، كما سيتين ذلك عند الحديث
عن اللهجة الرهاوية السريانية .

قال لامنس : « ومن عجيب الامور ان انتشار لغة
الآراميين بلغ في عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة
السائدة في كل آسيا السامية اعني في سورية وما بين النهرين
وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب » (٤٧) .

وفي ايام السيد المسيح كانت الاحوال السياسية : الروم
تحكم سورية وفلسطين ، والفرثيون يحتلون بقاع ما بين
النهرين وآثور ، والاباجرة يحكمون الرها ، وكانت الآرامية
السريانية سائدة في جميع هذه البلاد وفي ظل حكم تلك
الدول الثلاث وبخاصة امارة الرها كما سيأتي الحديث .

إلا ان اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء
كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد (٤٨) .

(٤٧) آثار لبنان ص ٩٥ قلاً عن المجلة الاسبوية الالمانية
ZOMG 188 (p 33) .

(٤٨) فيه ايضاً ص ٩٥ قلاً عن مقالة الدكتور شندا عن الاراميين .

قال دي فوكو : « كانت اللغة الآرامية السريانية منذ القرن الرابع ق . م الى ظهور الاسلام اللغة المحكية لدى جميع الشعوب الساكنين في بلاد فارس ومصر واليهود والساميين المتوطنين في مصر وآسيا الصغرى إلا ما ندر . وان جميع الخطوط التي عثر عليها في تدمر وحوارن وبلاد النبطيين كتبت بها . وبعد القرن السابع الميلادي استبدلت السريانية بالعربية ولكنها لم تزل تمارس حتى القرن الرابع عشر » .

اما عن سير وضع السريانية من القرن السابع الميلادي اي من الوقت الذي حلت محلها اللغة العربية وحتى اليوم منشرحه بشكل مسهب عنه الحديث عن اللهجة الرهاوية السريانية .

نختم هذا الموضوع بما جاء في مجلة اميركية تدعى PLATNT TRUTH حيث تحدثت عن السريانية فقالت : « سوف لا تموت اللغة السريانية مهما تغير الزمن لانها لغة السيد المسيح » .

ممن سبر هذا البحث ترى واضحاً ان الآرامية اضحت لغة الدين والادب والتاريخ والسياسة والحكومات والتعامل لا بل سادت جميع مرافق الحياة الاجتماعية ، وهيمنت على مقدرات التاريخ لفترة طويلة من الزمن في مناطق الشرقين الادنى والاوسط .

وقد اجاد كل الاجادة من قال : « اذا كان للاشوريين امبراطورية حرية عرفت ببريتها ، فكانت للآراميين امبراطورية فكرية ، عرفت بأدابها وفنونها وعلومها الرفيعة التي انتشرت في كافة ارجاء الشرق الاوسط . فدولة الحرب والقوة تزول اما دولة الفكر فهي سرمدية لا تزول » (٤٤) .

وقال رينان الفرنسي في كتابه تاريخ العالم للغات السامية : « ان الآرامية في القرن السادس ق . م طمست كل اللغات التي سبقتها واصبحت اللغة الاولى خلال احد عشر قرناً ، والمعبر الاون للعقلية السامية » وقال الدكتور فيليب حتي : « وهكذا اصبحت الآرامية حتى فتوحات الاسكندر اللغة المتداولة في امبراطورية تمتد من الهند حتى

(٤٤) مجلة بهرو سورويو - السويد عدد ٦ و ٧ عام ١٩٧٩ .

الخبشة ، ان مثل هذا الفوز الذي حققته لغة لا تدعمها
سلطة امبراطورية من اهلها ليس له مثيل في التاريخ» (٤٥)

وهكذا فان عملية « التآريم » (٤٦) لغوياً تمّ في جميع
انحاء المناطق التي سكنها الآراميون .

إلا ان نجم الآرامية بدأ بالافول عندما غزا الاسكندر
الكبير بلاد الشرق في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م ،
اذ فرضت اللغة اليونانية لغة رسمية في الشرق كله ، فانحطت
الآرامية عن رتبها الرفيعة ، وفقدت وحدتها التي تمتعت بها
في ظل الامبراطورية الفارسية .

غير انه بالرغم من ذلك ظلت الآرامية منذ العهد
الساهقي اليوناني محتفظة بكرامتها ، محتلة مكائنها اللائقة بها ،

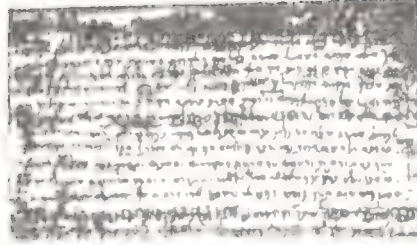
(٤٥) تاريخ سورية ص ١٨٣ .

(٤٦) هذا التعبير استخدمه الدكتور توفيق سليمان في تعريب كتاب
الدكتور انطون مويكات ، نقلاً عن محاضرة الاستاذ محمد حاب
تحت عنوان « الآرامية » التي في جامعة حلب .

وادي انتشار الآرامية في إيران والمناطق المجاورة لها
الى ان كان رجال الدين البوذيين يستخدمونها في مواعظهم
الدينية في منطقة الحدود الإيرانية الهندية . وتشير النقوش
الكثيرة التي وصلت إلينا من القرون السادس والخامس
والرابع ق . م الى ان اللغة الآرامية أصبحت في هذه
الفترة لغة التعامل والدولية في آن واحد في الشرق القديم ،
هذا بالإضافة الى كونها لغة الإدارة في دولة الفرس
الاخمينيين (٤١) وهكذا عاشت الآرامية في العهد الفارسي
عصرها الذهبي . وان حكمة احتقار الآرامية وضعت في
الفترة الفارسية بالذات ، من أبرز الآثار الآرامية التي
وصلت إلينا قبل الميلاد كما سيأتي بيانه .

وانتشرت الآرامية وبلغت الصين ، ذلك ان جماعة
من الرهبان السريانيين النساطرة في القرن السابع الميلادي
تسللوا الى داخل الصين في عام ٦٣٥ م وقد نصبت لوحة

(٤١) علم اللغة العربية : في البحث عن (الفرع الآرامي) للدكتور محمود
فهي الحجازي .



494-3	515-4	600-370	600-370
٤	٤	٤	٤
٥	٦	٦	٦
٦	٦!	٦	٦
٧	٦	٦	٧
٨	٦	٦	٨
٩	٦	٦	٩
١٠	٦	٦	١٠
١١	٦!	٦	١١
١٢	٦	٦	١٢
١٣	٦	٦	١٣
١٤	٦	٦	١٤
١٥	٦	٦	١٥

بعض انواع الكتابات الآرامية القديمة
القرن السابع والخامس قبل الميلاد.
عن كتاب "ديريغور"

مجموع أوغنا ومهيتا
ووزا محبتا وسهيتا
مجموع صاها "٦٦٦٦"

تذكارية لستة وسبعين من هؤلاء المرسلين نقشت عليها
اسماؤهم وما تهم باللغتين الصينية والسريانية وذلك في السابع
من الشهر الأول عام ١٨٧١ وهذه اللوحة لا تزال قائمة في
مدينة سيانفو الصينية حتى اليوم (٤٢) وكانت السريانية
متواجدة في الصين حتى أوائل القرن الرابع عشر (٤٣).

(٤٢) فيليب حتي : تاريخ سورية مج ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٤٣) تاريخ سورية مج ٢ ص ١٢٧ .

واما في بلاد آشور ، فيحدثنا التاريخ ان الاشوريين
غزوا الدويلات الآرامية عسكرياً وادخلوها ضمن
امبراطوريتهم المترامية الاطراف ، غير انهم لم يستطيعوا
ان يقرضوا اللفظة الآرامية ولا حتى ان يقلصوا
نقوذها ، لا بل ان لغة الاشوريين بالذات تراجعت
امام الآرامية ، فاتخذتها الدولة الاشورية اداة للكتابة
والتعبير وخاصة في عهد سنحاريب ومن جاء بعده
لا بل اصبحت لغة آثور الرسمية *Official Language* .

واما في بلاط بابل فكانت اعظم مكانة واوسع انتشاراً
منذ عهد نبوخذنصر فقد اخذت تسير مع الاكديّة جنباً الى
جنب ، ثم اخذت تنشط وتزدهر وتبدي تفوقاً على الاكديّة
حتى اصبحت في نهاية القرن السابع ق . م اللغة الدبلوماسية
عوضاً عن الكلدانية .

وفي فلسطين ايضاً قضت الآرامية على العبرية ، وحيث

ان اللغة الآرامية في فلسطين تحدث بها السيد المسيح فسوف نفردها فصلاً خاصاً . وهكذا تمكنت من الفوز على شقيقاتها اللغات السامية فوزاً كاملاً .

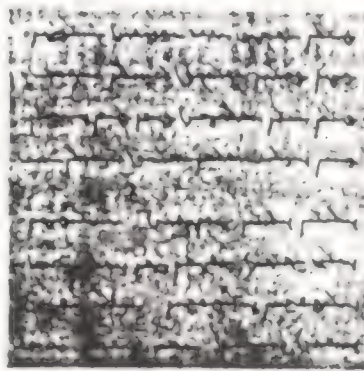
ولم يقتصر انتشار الآرامية على المناطق السامية ، فلما صارت السيادة للفرس بعد البابليين بقيت السيطرة للغة الآرامية ، ودعم حكام الفرس مكانتها واعترفوا بها لغة رسمية *Official Language* في كل أنحاء الدولة ليس في بلاد فارس فحسب بل في جميع الاقطار الخاضعة لهم وبهذا دخلت الآرامية ايران ايضاً ودخلت مع النفوذ الفارسي الى كل أنحاء الشرق القديم .

وتعد الآرامية في هذه الفترة لغة دولية *International Language* لانها كانت مستخدمة في منطقة واسعة من العالم القديم في التعامل التجاري والسياسي وبين كثيرين ممن ينتمون الى بيئات لغوية مختلفة . واذا كان سفر استير قد ذكر ان اوامر الملك الفارسي كانت تمضي من ايران الى الهند والحبشة ، فلا شك ان هذه الاوامر كانت تصل الى هذه المناطق بالآرامية .

من سورية كانوا يتكلمون اللغة الآرامية كما كان يتكلمها
اليهود في مصر (٣٦) . ووجد في جزيرة الفيلة جنوبي مصر

اغنية في اللغة المملوكية المنقرية بالكتابة السريانية المرفقة
الغزلية المملوكية ببيشرون مولى نوري قولا "ارتما رعو قياون"

١ مينا حنما حنما حنما حنما
حنما حنما حنما حنما حنما حنما
حنما حنما حنما حنما حنما حنما



A song in MAMLUK MONGOL LANGUAGE with distorted
SYRIAC WRITING. (The Mongol Kalmucks live in the grasslands
around the Volga River).

وثائق مكتوبة باللغة الآرامية على البردي يرجع عهدها الى
القرن السادس والخامس والرابع ق . م حيث كانت مستعمرة
يهودية بقيت الى زمن البطالسة (٣٧) .

وحكى محمد عطية الابراشي عن انتشار الآرامية في بلاد
العرب : " وقد عثر على قليل من النقوش الآرامية في بلاد
العرب في واحة تيمه في شمال الحجاز . وقد كتبت تلك
النقوش الاثرية قبل عصر الفرس . ويمكننا ان ندعي ان

(٣٦) محمد عطية الابراشي : الاداب السامية ص ٤٥ .

(٣٧) انيس فريجة : دراسات في التاريخ ص ٢٣٣ : وتاريخ اللغات

السامية : وانفسون ص ١٢٥ .

اللغة الآرامية قد وصلت الى تلك الجهة بولئك التجار الذين ذهبوا بتجارتهم الى الحجاز فاستوطنوا تلك الجهة . وكان اثر ذلك ان اللغة الآرامية قد بقيت مدة اللغة الادبية للعرب القريين من آرام» (٣٨) .

وقال المسعودي : « كانت بلاد العرب اليوم وبرها ومورها اليمن وتهامة والحجاز واليامة والعروض والبحرين والشجر وحضرموت وعمان وبرها الذي يلي العراق وبرها الذي يلي الشام وهذه الجزيرة كلها . . . لسانها واحد سرياني» (٣٩) . وقال الاب لامنس اليسوعي : « وامتدت اللغة الآرامية في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منه » (٤٠) .

(٣٨) الاداب السامية ص ٤٥ .

(٣٩) كتابه التنبيه ص ٧٩ .

(٤٠) آثار لبنان مج ٢ ص ٩٦ الاب لامنس اليسوعي نقلاً عن مقالة طائر مر في النبط ص ١٣٣ - ١٣٤ .

على كافة مرافق الحياة الاجتماعية ، ولعبت دوراً بالغ الأهمية
في حياة غربي آسيا مدعومة بعاملين :

اولهما العقلية التجارية التي اتصف بها الآراميون ،
وكانت العلامة الفارقة التي تميزهم عن سكان بلاد الشرق
كافة . وان التوسع التجاري الآرامي فاق التوسع السياسي
العسكري الآرامي . لا بل عندما انتهى النفوذ السياسي
العسكري ظل التوسع التجاري فعالاً ونشطاً . فقد كان
التجار الآراميون يبعثون قوافلهم الى جميع مناطق هلال
الخصيب وحتى الى منابع الدجلة في الشمال . وكانوا يحتكرون
تجارة سورية الداخلية وبهذه الوسيلة تمكن الآراميون ان
يحتلوا مكائهم الاجتماعية والحضارية في المجتمعات
الآشورية وغيرها .

كان التجار الآراميون ينشرون لغتهم في مختلف البلدان ،
فيحملون معهم سجلات الحسابات التجارية ، والقوائم ،
والمستندات ، بالآرامية كتابة ولغة . وفي نحو عام ٥٠٠
ق . م اصبحت اللغة الآرامية السريانية ليست فقط لغة
التجارة والحضارة والحكومة في بلاد هلال الخصيب بل
لغة التعامل *Lingua Lauguage* .

والعامل الثاني الذي يضاف الى العامل التجاري كان سهولة ايجدية الآرامية وبساطة اشتقاقاتها وقواعد نحوها وحيازتها على عناصر الرقة والبساطة .

لقد انتشرت الآرامية بالتدريج في سورية وبلاد دجلة والفرات وصار الناس يتكلمون الآرامية في سورية وفلسطين وعلى شواطئ نهر الفرات وفي جميع جهات نهر دجلة في الجنوب ، وفي الغرب من جبال ارمينية وكرديستان . واضحت سورية الشمالية خاصة من اهم مراكز العنصر الآرامي ، وتكاد تكون هي آرام بالذات (٣٥) وهنا اتخذت السريانية طابعاً مميزاً كلفة وطنية *National Language*

وامتدت الآرامية الى مصر ، وقد كشف اخيراً مجموعة كبيرة من الصكوك من القرن الخامس ق . م في صعيد مصر . فقد كانت الكتابة باللغة الهيروغليفية محرمة على المتعلمين من المصريين . وكان المصريون حتى الفقراء منهم يستخدمون اللغة الآرامية والكتابة الآرامية . ولأسنا في حاجة الى ان نشك في ان كثيراً ممن هاجروا الى مصر

(٣٥) شابو : اللغة الآرامية وآدابها ص ١٠ .

Liturgical Language ولا تزال حتى اليوم لغة الكنيسة
السيرانية الانطاكية الارثوذكسية ، والكاثوليكية ، والمارونية ،
والكلدانية ، والنسطورية . وهي اليوم ايضاً لغة جماعة
Croup Language اذ يستخدمها مجموعة من الناس داخل
الدولة التي يعيشون فيها ، كأهل طور عبيد في تركيا ،
وبعض قرى الموصل في العراق ، وثلاث قرى في دمشق ،
وبعض القرى في ايران وكرديستان .

والى مراحل هذا الانتشار .

كانت اللغة الآرامية في القرن الرابع عشر ق . م لغة
القبائل الرحالة التي كان معظمها يتنقل في الصحراء غربي
الفرات ، ثم برز الآراميون في القرن الثاني عشر ق . م
كممالك ودويلات متعددة ، بسطت نفوذها السياسي والعسكري
خمس قرون تمكنت خلال ذلك ان تقضي على كثير من
اللغات واللهجات كالكنعانية والفينيقية والعبرية .

ان الآراميين ، ولئن قضي على نفوذهم العسكري ،
وزالوا سياسياً كما علمنا سابقاً الا انهم انتصروا فكرياً
ولغوياً ، فان اللغة الآرامية تمكنت من ان تسود فتعوض
عن النفوذ السياسي العسكري . فقد سادت ثقافياً وهيمنت

مدبا . مدبا . اصلا . هـ فـهـم . منا . منا تقل . وفرسين (٣٤) ،
ومسفر عزرا من الآية الثامنة من الاصحاح الرابع وحتى
الآية ٢٧ من الاصحاح السابع . ثم مسفر نحemia ، وبعض
المقايين . ومن اسفار العهد الجديد كتب انجيل متى الرسول
بالسريانية الفلسطينية .

٢ - كانت لغة العبادة لاول كنيسة ظهرت في
المسيحية وهي كنيسة اورشليم المؤلفة من المتنصرين من
اليهود . ثم لكنيسة انطاكية (المتنصرين من الامم واليهود)
ولا تزال حتى اليوم لغة الطقوس للكنيسة السريانية
الانطاكية .

٣ - بها تناقش اول مجمع عقد في الكنيسة المسيحية
في اورشليم عام ٥١ م .

٤ - اول لغة استعملتها الكنيسة المسيحية في مقدمة
القداس الالهى اعني ليتورجية يعقوب اخي الرب اول
اساقفة اورشليم .

(٣٤) دا ٥ : ٢٥ .

٥ - إليها ترجم الكتاب المقدس ترجمة سميت

البيطة PHSHITTO .

(٥) انتشارها

أحرزت اللغة الآرامية السريانية من الانتشار الهائل ما لم تفز به أية لغة في العالم منذ فجر التاريخ وحتى اليوم إلا اللغة الانكليزية في عهدنا هذا كقول الأب لامنس اليسوعي . ولم يكن ذلك عائداً الى نفوذ سياسي ، او سيادة عسكرية ، بل الى قوة فكرية محضة ، وتفوق حضاري صرف ، وبكل حق وجدارة دعيت هذه الحركة بـ : « امبراطورية الفكر » . وهذا ما ستقف عليه في شرحنا .

يتمدى تاريخ اللغة السريانية الآرامية بحسب ما ظهر من النقوش والنصوص والكتابات من القرن العاشر قبل الميلاد ويمتد الى المئة الثامنة للميلاد او المئة الثانية للفتح العربي اي ما يقارب الألفين سنة .

لقد توفرت للآرامية في هذه الفترة ، وعلى نطاق انتشارها في العالم ، كل اشكال التنوع اللغوي التي جاءت

عهد كورش الملك بعد ان قضوا في الجلاء نصف قرن .
وتدعى طورا عبرية لانها كانت اللغة المستعملة لدى العبرانيين
بعد رجوعهم من الجلاء ، وتشهد اسفار العهد الجديد
نفسه الذي يسمي انة اورشليم وسائر فلسطين ايام المسيح
والرسل عبرانية^(٢٩) والعامّة عند اليهود تسميها ترجوم اي
الترجمة والقلم المربع الذي يستعملونه الى اليوم يسمونه
الآثوري نسبة الى بلاد آثور في نينوى . وسماها بعض ائمة
السريان النهرية نسبة الى نهر دجلة التي ازدهرت على
ضفافه^(٣٠) وأطلقت عليها تسمية الرهاوية لانها ام اللهجات
الغربية كقول العلامة ابن العبري :

مصكلا من مدنيا . ووجه صفهنا اوزوما

ان اللهجة الرئيسية هي السريانية الرهاوية^(٣١) . غير ان
الاسم الغالب عليها والتي تعرف به هي : الآرامية ، او
السريانية ، او الآرامية السريانية ، او السريانية الآرامية ،
فاللفظتان تتناوبان مرة كل على حدى ، ومرة تأتي مقترنتين .

(٢٩) يو ١٩ : ١٣ و ١٤ .

(٣٠) المدخل النجوم لابن العبري - والفصاحة لاندون النكريتي طبعة
رحماني ص ١٤ .

(٣١) المدخل (النجوم) لابن العبري : المقدمة .

وقد اخطأ من فصل بين اللفظتين ، او جعل السريانية
احدى اللهجات الآرامية او فرعاً من الآرامية . والكتاب
المقدس يدعوها دوماً بالآرامية^(٣٢) ولقد اخطأ بعض
المستشرقين وبخاصة دائرة المعارف البريطانية من جعل اللغة
السريانية لهجة من لهجات الآرامية^(٣٣) .

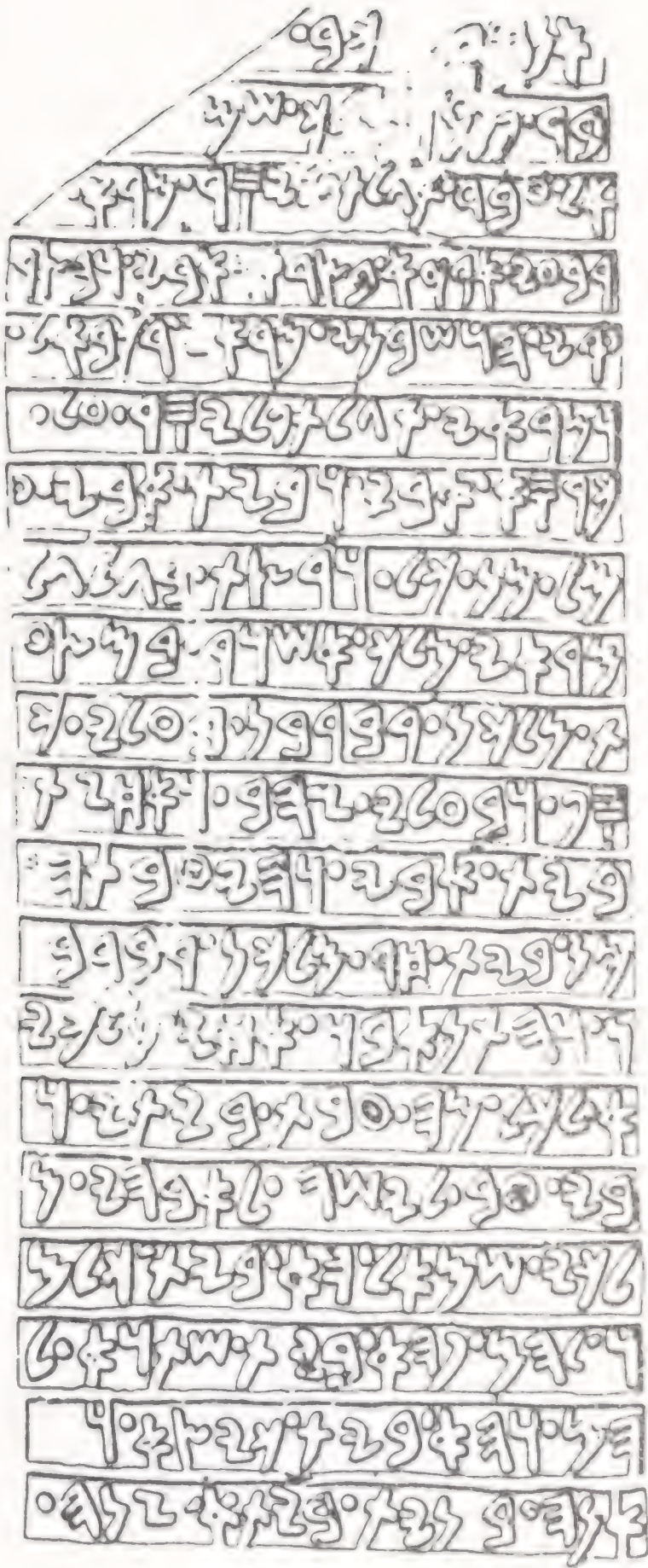
(٤) ميزاتها وقدسيتها

السريانية لغة مقدسة ، وحسبها فخراً تقيه به عن سائر
لغات الدنيا على الاطلاق انها تشرفت بلسان ربنا يسوع
المسيح ، وبفم امه الطوباوية مريم ، ورسوله الاطهار . ومن
ميزاتها ايضاً :

١ - كتب بها قسم من اسفار الكتاب المقدس ، كسفر
دانيال حتى الاصحاح السابع ، وهذه اللغة اثبت دانيال
النبي العبارة التي كتبها يد خفية على جدار قصر بلطشر وهي :

(٣٢) ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ واش ٣٦ : ١١ ودا ٢ : ٤ وعزرا ٤ : ٧
(٣٣) دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة « الآداب السريانية » راجع
الامعة الشهية ليوسف داود مج ١ ص ٨ الحاشية .

من اقدم الكتابات
الارامية في القرنين
التاسع والثامن قبل
الميلاد



(نقلاً عن كتاب :
الابجدية للعالم دافيد
ديرنجر)

ومهما يكن من الامر ، فمن الثابت ان اللغة الآرامية السريانية من اللغات القديمة جداً . واول لقاء التاريخ بها وجهاً لوجه حوالي الالف الثاني ق . م . ذلك ان ابراهيم الخليل الذي كان يعيش قبيل ذلك العهد كان آرامياً وكانت لغته آرامية . وقد ورد في سفر التكوين ان يعقوب ولابان التقطا حجارة وعملا رجمة . ودعا لابان الآرامي تلك الرجمة حجارة ١٢٥٥ اي نصب الشهادة . واما يعقوب فدعاها جلعيد (٧) بالعبرانية القديمة . وهذه العبارة الآرامية تركت في الكتاب المقدس في صيغتها الآرامية في جميع الكتاب المقدس الى لغات مختلفة .

(٣) أسماء اللغة الآرامية السريانية

تسمى احياناً كلدانية سيما من قبل الافرنج (٨) ، وذلك نسبة الى بلاد الكلدانيين التي فيها اقتبسها اليهود وتعلموها لما كانوا في جلاء الكلدانيين في بابل في القرن السادس ق.م وبقوا يستعملونها بدل اللغة العبرية لما عادوا من الجلاء في

(٢٧) تك ٣١ : ٤٧ .

(٢٨) شابو : اللغات الآرامية وآدابها ص ٥ .

جعلها العربية ام السريانية^(٢٤) واذا كان المفكر العربي ابن حزم قد وجد انه من العتب التفكير في اللغة الاولى عند الانسان ونسبتها الى الدين دون دليل^(٥) فان علم اللغة الحديث لا يتناول البحث في قضية نشأة اللغة الانسانية لعدم وجود منهج علمي لبحث ذلك .

لقد حاول بعض الباحثين في القرن الماضي اعادة تكوين عدد من اللغات الموعلة في القدم من اللغة السامية الاولى التي هي الاصل المفترض الذي خرجت عنه اللغات السامية المختلفة ، ولكن تلك المحاولات لم تنجح إلا في التعرف على بعض الخصائص المفرقة في القدم . ولهذا عرّف الباحثون عن البحث في المراحل التي لم تصل اليها في النقوش والنصوص . فاصبح البحث في اللغة لا يهتم إلا بالمراحل التاريخية والمعاصرة . فعلم اللغة يبدأ حين نجد نقشاً قديماً او نصاً مدوناً^(٢٦) .

(٢٤) السبوطي : المزهري في علوم اللغة ١ - ٣٠ - ٣٥ .

(٢٥) ابن حزم - الاحكام في اصول الاحكام ١/٣٠ .

(٢٦) الدكتور محمود فهمي الحجازي : علم اللغة العربية : مدخل تاريخي

مقارن في ضوء التراث اللغات السامية ص ٤٦ - ٤٧ .

عصور طويلة ، وليس من السهل تحديدها ، فابناء سام كانت لغتهم واحدة ، ولكن تفرقهم الى طوائف مختلفة في جهات مختلفة ادى الى وجود جهات تختلف كل منها عن الاخرى بعض الاختلاف . فمن الحقائق الثابتة مثلاً ان الشعوب السامية الثلاثة ، العرب ، الآراميين ، العبرانيين في الاصل امة واحدة تاريخياً ولغة . فالتاريخ يصرح ان ابراهيم الخليل كان آرامياً جنساً ولغة ووطناً^(١٦) وان العبرانيين هم احفاده ومنسوبون اليه . اما العرب فالعدنانيون منهم هم ذرية اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون يتسبون الى عابر^(١٧) الذي اتقسم احفاده الى فصيلتين اقامت الاولى في اور الكلدانيين^(١٨) وهم بنو ابراهيم، وارتحلت الثانية الى بلاد العرب وهم بنو يقطان او قحطان^(١٩ و ٢٠) .

وعلى ضوء هذا التسلسل التاريخي ترجع الشعوب الثلاثة

(١٦) تك ٢٦ : ١ - ٥ .

(١٧) جرجي زيدان - التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٤ .

(١٨) نسبة الى كلدة ارض العراق الجنوبية .

(١٩ و ٢٠) تاريخ سورية مج ١ ص ١١٦ والطبري مج ١ ص ١١٧

الى اصل واحد ، وبتبادي الازمان انقسمت جغرافياً واستقل كل بمفرده وطناً ولغة وجنساً وتاريخاً وتسمية ، واضحو الفروع الثلاثة الكبرى للساميين ، العرب في الجنوب ، والبرانيين في الوسط ، والآراميين في الشمال (٢١) .

واما لغوياً فقد اثبت ابن حزم ان العربية والسريانية والعبرية كانت في قديم الزمان لغة واحدة ، وعن طريق الهجرة وتفرق الشعب السامي في بلاد شتى وتأثير البيئة اخذت لغة كل قبيلة تتعرض لبعض التغيير ، إلا انها بقيت متقاربة لفظاً ومعنى ، فالعربي والبراني والآرامي كانوا يتفاهمون بلا واسطة ولا ترجمان بما يشبه حال اللغات العامية العربية المتشعبة من اللغة الفصحى الآن (٢٢) ، ثم بتعاقب الازمان اخذت المخالفة تنمو حتى اصبحت تلك اللهجات مغايرة واضحة ومستقلة (٢٣) .

(٢١) التمدن الاسلامي مج ٥ ص ١٢ .

(٢٢) التمدن الاسلامي ج ١ ص ٢٤ .

(٢٣) ولفنون اللغات السامية ص ٣ - ٤ .

وورد ايضاً في الجدول التوراتي المشار اليه ان آل
عيلام وميديا من الساميين مع انه من المعلوم ان لهجتهم
كانت غير سامية^(٩) . ويرى فولدكه الباحثة الالمانية ان
ترتيب الشعوب في سفر التكوين مؤسس على الاعتبارات
السياسية والجغرافية لا اللغوية التاريخية ، ونتيجة البحث
ان السامية اطلقت على الشعوب السامية الاصل النقية الدم
وعلى الناطقين باللغة السامية من غير الساميين لذا يجب
التمييز ما بين شعوب سامية و لغات سامية .

ان الباحثين ولئن انفقوا على السامية اصطلاحاً لشعوب
ولغات لم يطمئنوا اليها تمام الاطمئنان . قال شابو : « ان
هذه التسمية لا تطابق في الحقيقة مجموعة قومية ولا تقسيماً
جغرافياً . فالساميون اسم اصطلاحي نشأ في القرن الثامن
عشر بتأثير الفصل العاشر من سفر التكوين الذي يشير
الى العبرانيين والآراميين والعرب كولد سام^(١٠) وقال ايضاً
الدكتور ديورانت « ليس باستطاعتنا ان نقول بالدقة ماهي

(٩) تاريخ اللغات السامية : ولفسون ص ٣ .

(١٠) اللغات الآرامية وآدابها ص ٧ .

هذه الشعوب السامية إلا اذا فهمنا من اللفظ انهم يتكلمون
لغات سامية» (١١) ويراها ايضاً السيد محمد عزة دروزة
تسمية خاطئة ، ويصطلح عليها بـ : الجنس العربي (١٢) وعلى
رأي الآخرين ومنهم لاترمان قال : «وجب ان تسمى بالسرياني
العربي ، لكون العربية والسريانية فرعين عامين للغات
السامية يسمى الاول منهما جنوبياً والثاني شمالياً» (١٣) ومهما
يكن من الامر ، وعلى اي حال نرى انفسنا مضطرين الى
قبول هذه التسمية لان الجميع قد ارتضاها وسلم بها (١٤)
وكقول ولفنسون : «ومهما يكن من شيء فهذا الاصطلاح
اصحح واوفق ما اهتدى اليه العلماء» (١٥) .

ان كل اللغات السامية قد تفرعت من اللغة السامية
الاولى ، لغة سام بن فوح ، تلك اللغة التي انقرضت منذ

(١١) ديورانت - قصة الحضارة .

(١٢) العرب والعروبة ج ١ س ٤٦٣ .

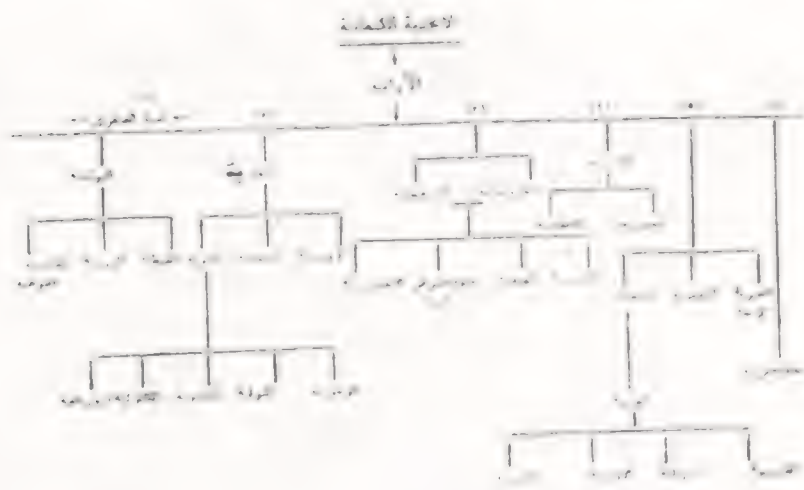
(١٣) لاترمان تاريخ سورية مج ١ .

(١٤) محمد عطية الابراشي : الآداب السامية ص ٦ .

(١٥) تاريخ اللغات السامية ص ٣ .

ح - كتلة المجموعة الجنوبية : وتشمل العربية
والحبشية .

وقد اكد العلماء ان التسمية هذه اي السامية اطلقت
على تلك الاقوام من الناحية اللغوية فقط لا العرقية ، اي
انها لا تنحصر في الشعوب المنحدرة من سام فحسب بل
تعم سائر الشعوب التي نطقت باللغة السامية ولئن كانت غير
سامية الجنس والدم ولذلك يقول ولفنسون : « تطلق كلمة
لغات سامية على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ
ازمان بعيدة في بلاد آسيا وافريقيا » (٢) ويتضح هذا من
مراجعة الجدول الخاص بانساب نوح الواردة في التوراة (٣)
اذ نرى عدم ذكر الكنعانيين بين ابناء سام لكونهم غير
سامي الجنس والدم ، في حين ان لغتهم تعتبر سامية محضة .



(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٢ (٣) تك ٢ : ١٠ .

ولقد توهم كثيرًا من جعل الكنعانيين ساميين وشك في صحة الجدول التوراتي لعدم ذكره الكنعانيين بين ابناء سام . ولا صحة لقول بروكلمان (٤) ان بني اسرائيل هم الذين اقصوا الكنعانيين من الجنس السامي لاسباب سياسية ودينية . كما ننكر على ولفنسون قوله : نحن نميل الى الاعتقاد بان الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبرانيين بالكنعانيين كانت تفككت عراها ، وامحّت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج بني اسرائيل عن الجزيرة العربية . وهذا هو السبب في عد الكنعانيين من بني حام (٥) والصحيح الثابت ان الكنعانيين غير ساميين (٦) فبمخالطتهم الآراميين الساميين غلبت الآرامية على لغتهم الآرية حتى صاروا آريين ساميين (٧) ومثل الكنعانيين الاحباش فهم حاميو الاصل ساميو اللغة (٨) .

(٤) تاريخ الشعوب الاسلامية - المقدمة .

(٥) اللغات السامية ص ٢ و ٣ .

(٦) اليعقوبي ج ١ ص ٢٢ اصدار دار العراق - بيروت .

(٧) الفرداحي المناهج في النحو والمعاني ص ٣ والدبس تاريخ سورية

ج ١ ص ١٠٩ .

(٨) الطبري ج ١ ص ٢١٦ .

اللغة السريانية الآرامية

(١) السريانية لغة سامية

موضوع هذا البحث يدخل ضمن علم اللغة المقارن *Comparative Linguistics* الذي امتنبطه المستشرقون مؤخرًا، وكان العرب يسونونه فقه اللغة وهو يشمل دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات المنتمة الى أسرة لغوية واحدة او فرع من افرع الاسرة اللغوية الواحدة . ويقسم اللغويون منذ القرن التاسع عشر اللغات المختلفة الى مجموعات او امرات ، وقد خرج الباحثون بالتسمية السامية لمجموعة من اللغات بعد مقارنة هذه اللغات واكتشاف اوجه التشابه بينها من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية . ووجود جوانب اساسية وظواهر مشتركة بينها ، وانها انحدرت من اصل واحد مشترك اي من اللغة الاولى التي خرجت عنها هذه اللغات على مر التاريخ . واطلقوا على تلك اللغة الاولى : اللغة السامية الاولى وبالالمانية :

Ursemitisch او Proto - Semitic

ويرجع هذا الاصطلاح الذي اطلقه المستشرق شلوتسر للمرة الاولى عام ١٧٨١ الى عنصرين *ur* وتعني اول قديم او اصلي والثاني نسبة الى *sem* سام بن نوح استناداً الى ما جاء في الفصل العاشر من سفر التكوين (١).

وتضم مجموعة اللغات السامية ما يلي :

آ - كتلة المجموعة الشرقية : وهي الاكادية في العراق القديم والذي بدأ تدوينها بالخط المسهاري في اواسط الالف الثالث ق.م وقد تفرعت الاكادية في الالف الثاني ق.م الى البابلية والاشورية .

ب - كتلة المجموعة الغربية : وتشمل الكنعانية (الامورية ، والفينيقية . والعبرانية) والآرامية .

(١) شلوتسر : فهارس الادب الشرقي والتوراتي المجلد ٨ س ١٦١ ، علم اللغات العربية ، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث للغات السامية ص ٣٥ - ٣٦ : الدكتور محمود فهمي الحجازي .

اللغة السريانية الآرامية

السريانية لغة سامية	قدمها
اسماء اللغة الآرامية	ميزاتها قدسيها
انتشارها	الآرامية لغة فلسطين
لهجات اللغة الآرامية	اللغة العربية تحمل محل السريانية

لحنا وسفيا: ورفيعه وسفيعه: حريكه فومدا
 وحريم لحنا: ما صيرها مكنونا: وحلها وسما:
 او حنيسا: وسفيا وسفيا: حنيسا وسما:
 حنيسا وسفيا: وحرا احنا وسفيا: حنيسا واسملا:
 حنيسا وسفيا: احنا وسفيا: احنا وسفيا:
 ما صيرها مكنونا: حنيسا احنا: حنيسا وسفيا:
 وسفيا وسفيا: وسفيا احنا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:

لحنا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: لا زوا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:

لحنا واسملا: احنا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:

حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:

حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:
 حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا: حنيسا وسفيا:

وإذا قيل سريان فالمقصود بهم السريان الارثوذكس لا غير كقول السيد يوسف داود : « اليعاقبة الذين يقال لهم السريان على مبيل الغلبة والنساطرة المعروفين بالكلدان ، والموارنة المنتسبين الى دير مار مارون » (١٣٠) وكثيراً ما يستعيض يوسف داود عن كلمة يعاقبة بلفظة سريان كقوله : « فاللغة السريانية هي لغة ثلاث طقوس شرقية اي طقس الكلدان وطقس السريان وطقس الموارنة » (١٣١) .

بلاد الشام

لقد اعطى العرب لبلاد آرام ، بلاد سورية ، اسماً جديداً هو بلاد الشام ومعناه الشمال او اليسار او المنطقة الواقعة الى اليسار (اي الشمال) وذلك في مقابل اليمين الواقعة الى اليمين (اي الجنوب) وذلك بالنسبة للحجاز (١٣٢) .

(١٣٠) القصارى ص ٣٧ .

(١٣١) الفصلرى ص ٢٦ .

(١٣٢) المقدسي ص ١٥٢ و ابو الفداء ص ٢٢٥ ، فيليب حتي : تاريخ

سورية مج ٢ ص ١٧٢ .

غير ان هذا التفسير المقبول في الكتب العربية لا
يصد المؤرخ عن الارتقاء الى اصل اقدم الى نفس ابي
القرية السامية والى البلاد التي سكنها . الى سام بن نوح
واصل اللفظة في العبرانية والسريانية شام او شم . فلما
كان منبت العرب من بلاد الشام فلا بد انهم عند رحيلهم
عنها وتفرقهم في جنوبها لم ينسوا اسم ابيهم وعلى هذا
حيوا اسمه بحياة اسم الارض التي نزل فيها ابناؤه .

زد على ذلك ان العرب الشديدي التمسك بالاسماء
والانساب اثبتوا ان اسم الشام المسماة به سورية هو
مأخوذ عن اسم سام بن نوح . قال ابو الفداء امير حماء :
« قال ابن سعد ان الشام سميت بسام بن نوح لان هذا
الاسم بالسريانية بالشين معجمة » (١٣٣) .

ولا يزال المسيحيون السريان في الهند يدعون المسيحيين

وغير المسيحيين في هذه البلاد بالسريانية حقيقا
اي ساميين .

(١٣٣) تاريخ ابو الفداء ف ٥ ص ١٠٢ طبعة مصر . راجع في كل
ذلك الاب مرتين اليسوعي : تاريخ لبنان ص ٨ - ٨١ تعريب
رشيد الشرتوني بيروت ١٨٨٩ .

يستعملون اللغة السريانية في طقوسهم على الرغم من دخول العربية في كثير من مرافق حياتهم الكنسية . وكانت اللغة السريانية اللغة الدارجة اليومية عندهم في لبنان الى القرن الثامن عشر تقريباً . اما الروم الكاثوليك استعملوا السريانية بعد انصاهم عن الروم الارثوذكس لفترة .

وتفرع عن النسطورية في القرن الخامس عشر الكنيسة الكلدانية ، كما انفصل عن الكنيسة السريانية الأم في اواسط القرن السابع عشر الكنيسة السريانية الكاثوليكية وهي لا تزال محافظة على السريانية لغة وجنساً وطابعاً . وكذلك النساطرة والكلدان .

وبهذا تصبح الكنيسة السريانية اليوم تشتمل على سبع كنائس هي : السريانية الارثوذكسية الأم ، والكنائس التي انفصلت عنها : النسطورية ، الروم الارثوذكس ، الموارنة ، الكلدان ، السريان الكاثوليك ، الروم الكاثوليك .

يقول الفيكونت طرازي : « بعد تشعب الكنيسة الانطاكية السريانية الى ملل عديدة وعلى كر الزمان اصبح اسم السريان علماً خاصاً بجملة مسيحية من اصل الممل المذكورة .

وبهذه التسمية الرسمية عرفتها السلطان الدينية والمدنية شرقاً
وغرباً ، وتتألف هذه الملة من طائفتين ، احدهما السريانية
الارثوذكسية . والثانية السريانية الكاثوليكية التي انفصلت
عنها في القرن السابع عشر « (١٢٨) » .

وبعد الحركة الانفصالية التي حدثت في القرن السابع
عشر ، اضيف الى السريان في تركيا لفظة « القديم او
القدماء » فيقال سريان قديم . وقد علل اوسولد باري
ذلك بقوله : « ان هذا الاسم هو كما اصطلح عليه القوم
انفسهم او سماهم به جيرانهم في الشرق وهو يعيزهم من
١ - يونان فلسطين القدماء بواسطة كلمة « سريان » ٢ - من
السريان الملمتين بواسطة كلمة « القدماء » ٣ - من السريان
الآثورين الذين في المشرق بواسطة مثل هذه الكلمات . وهو
لا يدل على مذهب او مبدأ ديني ، بل هو بمثابة تسمية
تميزهم عن غيرهم « (١٢٩) » .

(١٢٨) فيليب طرازي اصدق ما كان مج ١ ص ١٣ .

(١٢٩) الفصل الثالث من القسم الثاني لسياحة المستر اوسولد باري الانكليزي

المعروفة بـ « ستة اشهر في دير السريان » .

وعلى اثر انعقاد المجمع الخلقيدوني انقسمت الكنيسة السريانية الى
القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد ، وهم
الريان الارثوذكس او الالخلقيدونيون وكانوا الاغلبية
الساحقة ، والى القائلين بالطبعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد
وهم الباقون من الريان الذين انضموا الى البيزنطيين
الخلقيدونيين فاطلق عليهم اخوانهم بلغتهم السريانية اسم
Malkoye الملكيون ، والملاكائيون ، والملاكائيون ، جمع
ملكى وملكائي وملكاني من السريانية منطلقاً
بامكان اللام مطلقاً (١٢٥) وذلك لانهم تركوا ايمان الآباء
والاجداد السريانيين وانقادوا لبيزنطية وقالوا بمقالة مرقيان
ملك الروم (١٢٦) .

قال القس نصري الكلداني : « ان الشرقيين ، النساطرة
واليعاقبة والموارنة يسمون في كتبهم الملكيين يونانيين او

(١٢٥) الحوري سحق ارملة : الملكيون ص ٣ .

(١٢٦) ابن الصليبي مقدمة القداس .

روميين لكن من جهة المذهب لا من جهة اللغة والجنس ،
وذلك لكونهم اي الملكيين كانوا تابعين اليونانيين اي الروم
القسطنطينيين في المذهب الديني ، مثلاً يسمى ايضاً الكاثوليك
افرنجياً لا لكونهم افرنجياً في اللغة والجنس ، لكن لكونهم
هم والافرنج مذهب واحد ديني» (١٢٧) .

وفي عام ٥١٢ م تمكن الملكيون من ان يشكوا لهم
بطريركية مستقلة عن الكنيسة السريانية الانطاكية هي
الملكية البيزنطية ، الا انها بقيت محافظة على طقسها السرياني
حتى القرن العاشر الميلادي حيث ابدلت ليتورجيتها السريانية
لما ر يعقوب بليتورجية مار باسيليوس ، وظلت متمسكة بلغتها
السريانية التي بقيت تستعملها في طقوسها وعبادتها حتى
القرن السابع عشر .

ومن هذه تفرعت بطريركيتان اخريات ، البطريركية
المارونية في القرن السابع والبطريركية الملكية الكاثوليكية
في القرن الثامن عشر . اما الموارنة فلا يزالون حتى اليوم ،

(١٢٧) ذخيرة الازهان مج ١ ص ٨ .

اوليري بقوله : « واهل الكتاب الآراميون المسيحيون كلمة
سوريا اسماً لانتمهم ومن هذا اصبح مألوفاً استخدام الكلمة
سرياني لتدل على الآرامية المسيحية » (١٢٣) .

كان ذلك كله من حيث تأصيل اللفظة ، اما من حيث
الشمولية فيراد بالسريان كل السريان الذين تقبلوا دعوة
الانجيل في ولاية الكرسي الانطاكي ودعوا بالكنيسة
السريانية الانطاكية والقاطنين البلاد التي يحدها غرباً بحر
فونيقى وهو البحر المتوسط وشرقاً بلاد فارس ، وشمالاً
ارمينيا وآسيا الصغرى وجنوباً بلاد العرب (١٢٤) .

(١٢٣) . انتقال علوم لاغريق الى العرب ، الملحق الاول .
راجع في ذلك كله : قاموس اودو المقدمة ص ٩ . قاموس منا
المقدمة ص ٣ الاب لامنس اليسوعي المجلد ٢٧ ص ٤٣٢
واللمعة شبيهة للمطران وسف داود ص ٢٦ . ومجلة لسان
المشرق الموصلة السنة ٣ ص ٢٥٣ وكلدو آثور موج ٢
المقدمة ص - .

(١٢٤) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٨٠ والرهاوي المجهول ص ١٣
واللمعة الشبيهة ص ١ .

وكانت الكنيسة السريانية هذه تشمل قسمين : شرقية
وغربية وذلك باعتبار الجهة الواقعة هي فيها جغرافياً .

الشرقية كانت تحت حكم الفرس وكانت مشتملة على
بلاد الجزيرة او ما بين النهرين وكردستان والعراق ،
ويسمى اهلها بالسريان المشارقة ، وكان مركزها الديني اولاً
المدائن حتى القرن الرابع ثم تكريت ثم الموصل وضواحيها
حتى القرن الثاني عشر ويتولى ادارتهم الروحية اسقف عام
دعي جاثليقا ، وكان خاضعاً لبطريك انطاكية .

اما الغربية كانت تحت حكم الروم ومشملة على البلاد
الواقعة غربي الفرات وهي سورية وفلسطين وآسيا الصغرى
وببلاد الشام ويعرف اهلها بالسريان المقاربة ويرأسها بطريك
انطاكية .

وتفرعت الكنيسة السريانية بحكم الزمان والاحداث
السياسية والمكانية والمذهبية . ففي القرن الخامس اعلن
نسطور بطريك القسطنطينية تعليمه المخالف لعقيدة الكنيسة
الجامعة وانفصل عنها واستقل بذاته ومن هنا نشأت
النسطورية متفرعة عن الكنيسة السريانية ، وفي عام ٤٥١ م

البلاد الاوربية او الاميريكية او اي بقعة من العالم ويعود
الى الكنيسة الانطاكية يدعى سريانياً SYRIAN .

غير انه بالرغم من حلول السرياني محل الآرامي ، فقد
ظل فريق من كتبة السريان وغيرهم يستخدمون لفظ الآرامي
بدلاً من السرياني وحتى الى هذا العهد (١٢٢) ويجعلونها لفظين
مترادفين ، ويستعملون الآرامي بدلاً من السرياني وبالعكس ،
من ذلك قول مار يعقوب السروجي ٥٢١ + في تقرير
مار افرام السرياني :

(١٢٢) ظلت هذه البلاد تدعى بلاد الآراميين ، كما ظلت اللغة تدعى اللغة
الآرامية الى جانب السريانية ، وظل الادباء يدعون احياناً آراميين
فيقال كان « آرامياً » اما الكنيسة فيقال لها الكنيسة السريانية
فقط لا الكنيسة الآرامية . اما الاسم « الكلداني » و « الكلدانيين »
فقد زال وتلاشى ، فلا يجوز اطلاق لفظة الكلدانية على اللهجة
الشرقية بل يقال لها السريانية الشرقية فقط . قال توما اودو في
معجمه : « ان العامة في عهدنا تسمي اللهجة السريانية الشرقية
كلدانية وهمياً ، ان الاسم الكلداني ظهر في العهد المسيحي لاول
مرة عند انضمام نساطرة قبرس الى الكنيسة الرومانية سنة ١٤٤٤
اذ اطلقه عليهم اوجين الرابع بابا رومية » (كلدو آثور مج ٢
المقدمة) .

قد اعتنقوا المسيحية ، لذلك امست لفظة الآرامي مرادفة
 للفظة الوثني ، ولفظة السرياني مرادفة للفظة المسيحي . وقد
 اجمع على ذلك معظم العلماء الشرقيين والغربيين منهم المعلم
 سميت الانكليزي حيث قال : « ان كلا من لفظي ^{أرومو} ^{أرومو}
 ارمويو باسمكان الراء و ^{أرومو} ^{أرومو} ارمويو بضم الراء تدل
 سابقاً على السرياني . واصل اللفظة-ين واحد . لان الشرقيين
 كانوا يلفظون ^{أرومو} ^{أرومو} باسماء الراء ، والغربيين يلفظون
^{أرومو} ^{أرومو} بضم الراء غير انهم لما تنصروا اهلوا الاسم
 القديم Oromoyo واتخذوا اسماً جديداً هو Suryoyo
 السرياني ، فراح هذا الاخير علماً للدين (١١٩) . وقال القس
 نصري الكلداني : « وقد سميت هذه الكنيسة السريانية ولو
 ان اهلها كانوا يدعون هذه البلاد كلداناً وارانيين وآثوريين
 وبابليين ، لانه لما تداول الزمان على الدول الكلدانية صار
 اسم الكلدان كناية عن الماهرين في علم الهيئة وملاحقة
 النجوم . وبعد ذلك استعير للدلالة على العرافين والمشتغلين
 في الكهانة والقال المحرّم ، فلما استضاء اهالي هذه البلاد

(١١٩) فاموس سميت في شرح لفظة آرامي .

الشرقية بنور الايمان المسيحي رفضوا هذا الاسم لما فيه
من الكراهية في الدين وبسبب هذا الاعتبار او ما يقاربه
هجروا ايضاً التسميات : الآراميين والآثوريين والبابليين
لانها كانت تشير الى اصحابها الاولين عبدة الاصنام (١٢٠) .
وقال السيد ادى شير الكلداني : « من السريان الغربيين
سرى اسم السريان الى المنتصرين من الكلدان والآثوريين
الوثنيين ، فلم يكن الاسم السرياني يوماً يشير الى امة بل
الى الديانة المسيحية لا غير » (١٢١) .

وكذلك نرى الترجمة السريانية المعروفة بـ البسيطة ، تجعل
اسم الآرامي عاماً شاملاً لجميع الامم غير اليهودية كما ان
الترجمتين اليونانية واللاتينية جعلتا بدلاً منه اسم « يوناني »
وكثيراً ما يستعمل الرسول بولس لفظة يوناني للوثنيين . وبهذا
الشكل الذي اوردناه استبدلت التسمية الآرامية من الشعوب
المسيحية في بلاد آرام وحل محلها التسمية السريانية .
وبمرور الزمن تجاوزت بلاد آرام الى الهند والصين وحتى
اقصى الشرق ، لا بل الى كل الكنائس الخاضعة للكرسي
الرسولي الانطاكي اينا وجدت ، فالمسيحي الذي يسكن

(١٢٠) ذخيرة الازهان مج ١ ص ٢٧ و ٢٨ .

(١٢١) كلدو وآثور مج ٢ المقدمة ص ٣ وقاموس منا ص ٤٨٨ .

السريانية تنتصر على الآرامية بفضل المسيحية

أخذت التسمية السريانية تحل محل الآرامية أو تنوب عنها منذ ظهور المسيحية . ومن المعلوم ان المسيحية انتشرت اولاً في اورشليم التي تعتبر مهد المسيحية ، واولى المدن التي رددت صوت الانجيل ، ولهذا بحق دعيت أم الكنائس ، ثم امتدت المسيحية الى انطاكية عاصمة الشرق والمقر القديم لملوك سورية وكان ذلك في عام ٣٦ م وفي انطاكية دعي التلاميذ مسيحيين اولاً (١١٧) ، وفي انطاكية ظهرت لفظة « سريانية » و « سريانين » لتكون مرادفة للمسيحية ، وتتنظم الى جانب عبارة « مسيحيين » فدرج من ثم اسم السريان بين مسيحيي بلاد سورية اولاً ، ثم امتدت المسيحية فبلغت الرها عاصمة الاباجرة وهي امارة

(١١٧) السريان ايمان وحضارة مج ١ سر ١١ - ١٤ و ص ٦٥ - ٦٦

سريانية كما سبق جنساولقة ، فهيمنت اللفظة السريانية هناك
ايضاً ثم شملت كل الشعوب الآرامية قاطبة سواء اكانوا
في بلاد ما بين النهرين ام في سورية ام في آثور وبابل
وفارس والهند والصين حتى اقصى الشرق ، وغدت مرادفة
للفظة المسيحية . وسبب اتخاذ هذه التسمية مرادفة للمسيحية :
ان دعاة المسيحية الاولين من الرسل والتلاميذ كانوا سرياناً
من سورية المنسوبة الى مورس ، فكان كل من يقبل
الى تعاليمهم ويتنصر يستبدل اسمه الآرامي بالسرياني ويفاخر
بكونه سرياناً مثل الرسل . وما يستوجب التأكيد عليه
ان اسم السريان بهذا المعنى لا يعني اسم قطر فحسب لكنه
يعني الاسم الصحيح للكنيسة التي تأسست في سورية
واستعملت السريانية الآرامية - لنة هذا القطر - واضحي
من ثم الاسم اللدني للكنيسة حيثما وجدت (١١٨) .

وهكذا اصبح اسم السرياني يعني المسيحي وليميز
المسيحيين من بني جنسهم الآراميين الذين لم يكونوا بعد

(١١٨) اغناطيوس يعقوب الثالث : محاضراته في الكنيسة السريانية ص ٧٨ و ٧٩

سورس الذي عمّر انطاكية والبلاد المجاورة لها فسميت سورية باسمه» (١١٣) وقال مار ميخائيل الكبير البطريك الانطاكي المتوفى عام ١١٩٩ م : « في هذا الزمان (في عهد ولادة موسى النبي) كان سورس ابن ارعو الذي سميت سورية باسمه ، وقيليقوس اخوه الذي دعيت قيليقية باسمه » (١١٤) .

وقال المؤرخ الرهاوي المجهول : « حينما كان بنو اسرائيل في مصر حوالي سنة ١٧٠٠ ق . م ظهر اخوان يقال لهما سورس وقيليكوس تنازعا الولاية ، فصار قيليكوس مع جنوده الى الارض التي هي داخل امانوس ، وسميت قيليقية باسمه ، وضبط سورس الارض التي في غربي الفرات واطلق عليها اسم سورية » (١١٥) .

(١١٣) ابن الصايبي : كتاب المجادلات ف ١٠ .

(١١٤) مج ١ ص ٢٢ ميخائيل الكبير .

(١١٥) ص ١١٣ الرهاوي المجهول .

وتضافرت آراء مؤرخي الروم والنساطرة مع مؤرخي السريان على اعتبار هذه الرواية (١١٦) .



السريانية تنص على الآرامية

(١١٦) المجلة البطريركية في القدس ص ٢٦٠ - ٢٦٢ مقالة في لواء
انطاكية - البطريرك افرام برصوم .

٥ - ارتأى بعض المتأخرين ان اسم السريان مشتق من كورش ملك فارس (٥٥٩ ٥٢٩ ق.م الذي اخضع بابل في سنة ٥٣٨ ق.م وحرر اليهود آذناً لهم في العودة الى اليهودية ، ويمثل اصحاب هذا الرأي ذلك بقولهم ان اليهود المتنصرين ايقنوا ان كورش محرر سبيهم كان رمزاً الى المسيح محرر البشرية السبية . لذلك كانوا يرددون اسم المسيح مقروناً الى اسمه اعتزازاً واجلالاً كما فعل اجدادهم بعد عودتهم الى اليهودية ، فلما طرقت ذلك مسامع العناصر الائمة في انطاكية دعتهم « سريان » نسبة الى كورش وهي تعني « مسيحيين » . والواقع انه رأي غريب ومعقّد وبعيد عن الصواب ولا يستند الى قاعدة لا دينية ولا عادية ولا لغوية .

من الناحية الدينية لو كان لكورش هذه الهمية الدينية في عصر الكنيسة الاولى وبالاخص عند المتنصرين اليهود لورد ذكره او اشير اليه في مجريات احداثها الاولى سيما في الصراع الذي نشب ما بين اليهود المتنصرين ، والامم المتنصرين ، وفي خطب مار بطرس الرسول ، واسطفانس الشهيد اللذين اتيا على ذكر الاحداث الهامة في تاريخ حياة اليهود ، فنحن لا نجد لهذا ذكراً لا من

قريب ولا من بعيد . والمطلع على تفاسير ابائنا السريان لا
يجد لهذا الرأي اثرأ البتة .

واما من الناحية العلمية واللغوية فلا اساس له مطلقاً
فإن صلة الاشتقاق ما بين كورش وسورية والسريانية ؟

الرأي الاصوب

اجمع المؤرخون السريانيون الثقة على ان لفظة سورية
والسريانية متأتية من سورس الملك كنسبة اليه ، الذي ظهر
قبيل النبي موسى وهو من الجنس الآرامي ، وهو الذي
بني مدينة انطاكية لأول مرة (١١٢) واعاد بناءها بعد خرابها
سلوقس في القرن الثالث ق . م وان سورس هذا استولى
على بلاد سورية وما بين النهرين وسبت اليه وسميت هذه
البلاد بـ سور سمين ثم حذفت السين فاصبحت سورين
وكذلك سميت قيليقية نسبة الى قيليقوس اخي سورس .

قال مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي مطران آمد
المتوفى عام ١١٧١ م : ه لقد سمينا سرياناً من اسم

(١١٢) السريان ايمان وحضارة مج ١ ص ٦٥ .

في التاريخ سورية « المحددة » وهي مقاطعة تقع في وادي
العاصي ، غير انه في اجيال تالية اصبحت سورية تشمل
المناطق التي تشملها الآن .

ثانياً : لا علاقة لاسم Assyria اشور بسورية ، فان
سورية اصلاً اسم مقاطعة بابلية اشورية Sui وكانت تقع
في مناطق الفرات الشمالية ، ويظهر ايضاً ان البلاد الواقعة
غربي شمال الفرات كانت ضمن Sui ، ثم ان الجزء الشمالي
الشرقي من سورية الحالية اصبحت يعرف بـ Sui عن مبدأ
تسمية الكل بجزء منه . اما Assyria اشور فأخوذ من
اشور Assur وهي عاصمة اشور (قلعة الشرايط حالياً في
العراق) ولفظة Assur مختلف كثير في اصلها واشتقاقها
ومعناها . وقد تكون لفظة غير سامية ومعناها (البقعة
المروية او المسقية) وهكذا نرى ان اشور لا علاقة لها
بلفظة سورية كما يدل عليه اشتقاق لفظة اشور (١٠٨) وقد
ايّد هذا الرأي ايضاً الدكتور فيليب حتي بقوله : « لا توجد
في الغالب صلة في الاشتقاق بين سورية و « اسيريا » اشور .

(١٠٨) دراسات في التاريخ - انيس قريحة ص ٢٢٧ - ٢٢٣ .

وبعض كتاب العصر الكلاسيكي يخطئون في الكلام عن
السوريين حين يسمون اسمهم مرادفاً للاشوريين» (١٠٩) وقال
المطران جرجس شاهين في دحضه لهذا الرأي : « كيف
يصدق العقل السليم ان امة كبيرة وعظيمة الشأن كالامة
السريانية تترك لسانها الاصلي وتستبدله باسم آخر اعجمي
وقد وضعته لها امة غريبة منها كأمة اليونان وقاصية
عنها» (١١٠) .

هذا وان الكتاب المقدس اثبت اللفظ مراراً بالالف
هكذا سوريا نقله العرب عن السريان لا عن اليونان
فقالوا سوريا ولم يكتبوا سيريا او آثوريا او اشوريا او
صوريا كأنه منسوب الى سيري او آثور او آشور او
صور (١١١) .

(١٠٩) تاريخ سورية مج ٢ الدكتور وايل حتى ص ١٤٢ .

(١١٠) نهج وسيم ص ٥ .

(١١١) الخوري اسحق ارملة الملكيون ص ٩١ .

ان يسموا به ما بين النهرين ايضاً وهي لم تدخل في ملك صور . بل صور دخلت في ملكها» (١٠١) .

٢ - قال سبيرد : انها متأية من لفظة خارو المصرية ثم بدلت خارو بشاروا ثم بسارو او سورية لمقاربة اللفظ (١٠٢) .

٣ - ذهب الاب دي كارا الى ان اسم سورية منسوب الى اسور او اسوريم بن ددان بن يقشان بن ابراهيم الخليل (١٠٣) .

٤ - ارتأى آخرون ومنهم رينان الفرنسي : ان التسمية السريانية معدولة عن اسوريا اثور ومرجعها الى اشو ، وقد اطلقها اليونانيون . والتعليل ان الاشوريين لما فتحوا بلاد آرام وكنعان وامتد اسمهم الى آخر حدود سلطتهم ثم ارادوا التفريق بين بلادهم آشور (اسوريا) الحقيقية وجهات آسيا التي فتحوها ، فسوا هذه « سورية » بحذف المقطع

(١٠١) الفرداحي : المناهج في النمو والمعاني ص ٥ .

(١٠٢) سبيرد : التاريخ اقديم لشعوب المشرق ف ٥ ص ١٤٧ .

(١٠٣) تك ٣/٢٥ .

الاول . وكان هيرودتس يخلط بين لفظ Assyria اشور
وسورية ، ويستعمل على انها لفظان مترادفان . وكان يشمل
مناطق خارجة عن رقعة سورية كما عرفها المؤرخون بعده .
فقد كان يعتبر قبدوقية في آسيا الصغرى مقاطعة داخلية في
سورية . وقد اخذ بهذا الرأي بعض اساطين السريانية في
هذا القرن منهم توما اودو(١٠٤) ، ويعقوب اوجين
منا(١٠٥) ، والاب لامنس اليسوعي(١٠٦) ونعمة الله دنو
الموصلي(١٠٧) .

ويبدو خطأ هذا الرأي من امرين :

اولاً : ان اسم سورية كبلاد محددة لم تكن
معروفة قبل العهد الاغريقي والروماني ، ففي الادارة
الاغريقية المتأخرة وفي الادارة الرومانية ، نجد لأول مرة

(١٠٤) قاموس اودو المقدمة ص ٩ .

(١٠٥) قاموس منا في باب س و ر .

(١٠٦) المجلد ٢٧ ص ٤٣٢ .

(١٠٧) لسان المشرق الموصلية - السنة الثالثة ص ١١٨ .

وكانت فلسطين بالنسبة لبرودتس قسماً من سورية وكان سكانها يعرفون بالسوريين الذين في فلسطين ، واعتبرت فلسطين عند بعض المؤرخين جزءاً من سورية^(٩٧) .

« واستعمل اسم سوري بالانكليزية حتى العصر الحديث كتسمية عرقية تشمل سكان سورية كلها ، غير انه يستعمل الآن للدلالة على رعاية الجمهورية العربية السورية فقط . وكمصطلح لغوي فان اسم السوري *Syrian* بالانكليزية يشير الى جميع الشعوب التي تتكلم بالسريانية (الآرامية) ومنهم الذين في العراق ويران . كما انه يشير كمصطلح ديني الى اتباع الكنيسة السورية القديمة او السريانية وقد انتشر بعضهم حتى في جنوب الهند . وتميز اللغة العربية بين هذه التسميات فتستعمل اسم سوري المفهوم العرقي والجغرافي ، واسم سرياني للمفهوم اللغوي والديني . وكان اسم سيروس *Syris* (سوري) بالنسبة للرومان يعني كل شخص يتكلم اللغة السريانية »^(٩٨) .

(٩٧) فيليب حتي : تاريخ سورية ، مج ١ ص ٦٢ .

(٩٨) فيليب حتي : تاريخ سورية ص ٦٢ - ٦٣ .

من اين انت التسمية سورية ؟

ذهب الباحثون في تحليل اصل اشتقاق سريان وسورية
مذاهب عديدة ، وطرحوا آراء كثيرة منها :

١ - انها متأية من مدينة صور اللبنانية قاعدة بلاد
فينيقية ، وقد عرف اليونان اهلها لكثرة ترددهم الى بلادهم
للتجارة ، فلم يقولوا سوريا ، ولكنهم ابدلوا الصاد بالسين
لعدم وجود الصاد باللغة اليونانية فصارت سور ثم جعلت
سورية^(٩٩) ولم يقصد اليونان بذلك المملكة الصغيرة التي
كانت هذه المدينة عاصمة لها بل اطلقوا على جميع الجهة
الجنوبية من آسيا البحرية ، اذ امتد ساطان هذه المدينة
على هذه الجهات . ولما اتسع علمهم بنواحيها الفسيحة قسموها
الى اقليمين سورية وفينيقية . ثم افردوا فينيقية عن بقية
آسيا وجعلوا قاعدتها صيدا^(١٠٠) .

غير ان القرداحي لم يقتنع بهذا ، فقد علق عليه قائلاً :
« لو كان اسم سورية مأخوذاً من اسم صور لما سماغ لهم

(٩٩) تاريخ سورية للدبس مج ١ ص ١٣ .

(١٠٠) محمد عطية الابراشي : الاداب السامية ص ٥٢ .

لفظة سورية وسريان

ان اسم سورية يوناني في مشكله وظهر لأول مرة في
Herodotus و B K . 11 cH 12 ويظهر في شكل شرين
Shryn في آداب اوغاريت في اوائل القرن الرابع عشر
ق . م وسيريون Siryon في العبرية دث ٣ : ٩ ، مزامير
٢٩ : ٦ ، حيث يطلق على لبنان الشرقي ، واستخدم الجزء
فيما بعد ليشمل البلاد كلها^(٩٣) . واول من ذكر سورية
بشكل اوضح من السابق فهو الشاعر اشيل في القرن
الخامس ق . م . على ان هذا الاسم لم يكن مضمونه
مميزاً عن اسم اسوريا فكان كلاهما يدلان على المملكة
الاشورية ثم على بلاد لبنان التي كانت جزءاً منها^(٩٤) .
وقيل ان لفظة سوري بمعنى سورية عرف منذ عهد نيوخذنصر
(٦٠٥ - ٥٦١ ق . م) وورد في سفر يهوديث ٣ : ١

(٩٣) فيليب حتي : تاريخ سورية ج ١ ص ٦٢ .

(٩٤) الاب لامنس اليسوعي مج ٢٧ ص ٤٣٢ .

OMURE DSURI مكان سوري^{٩٥} اعني سوريا ، ثم اثبتته
الكتاب المقدس هكذا سوريا^(٩٥) .

غير ان لفظة سورية بشكل واضح ظهرت في عهد
السلوقيين الاغريق وعلى وجه التدقيق بمد ظهور الترجمة
السبعينية ، وهي الترجمة التي عملت للعهد القديم من اللغة
العبرية الى اليونانية في العام ٢٨٠ ق . م بامر بطليموس
فيلادلفوس ملك مصر . حيث ان المترجمين ترجموا لفظة :
آرام بسورية كبديل لها او مرادف^(٩٦) . ثم توسع في
استعمال هذا الاسم سورية واطلق على البلاد كلها بهذا
المعنى . اذاً اول من سمي الآراميين بالسوريين هم اليونان ،
وبسبب انتشار لغتهم صار هذا الاسم معروفاً واشتهر في
العالم كله . وتغلب الاسم السوري على الآرامي شيئاً فشيئاً
حتى كاد يحجيه من الوجود . وقد شمل عموماً المساحة
الواقعة بين طورس وسينا وبين البحر المتوسط والبادية .

(٩٥) مفا ٣ : ١٣ و ٧ : ٣٩ و ١٠ : ٦٩ .

(٩٦) ايبس فريجة : دراسات في التاريخ ص ٢٢٢ .

ظهور

لفظ

سورية

وسريان

Handwritten Arabic text in a cursive script, organized into approximately 18 horizontal lines. The text is dense and appears to be a transcription or a specific form of Arabic calligraphy.

کتاب آرایه فنیة من اقرب السلف و احسن الابدان
کتاب آرایه فنیة من اقرب السلف و احسن الابدان

By DAVID DERINGER

آرام وسورية كبلاد . او ما بين الآرامية والسريانية كلمة .
ويخطئ ، اكثر من يعتبر السريان فرعاً من آرام والسريانية
فرعاً من الآرامية . ولا صحة لما زعم جرجي زيدان
بقوله : « انقسم الآراميون بتوالي الاجيال الى امم اشتهرت
في التاريخ اعلمها امة السريان في ما بين النهرين والعراق ،
والكلدان في اعالي سورية » (٨٩) . وقد ايّد قولنا معظم
مؤرخي العرب . قال اليعقوبي : « السريانية لسان آدم واولاد
نوح » (٩٠) وقال الطبري : « كانت السريانية لغة قبل
الطوفان » (٩١) ويعني المؤرخان العربيان هنا بالسريانية - الآرامية
لان لفظ السريانية لم يكن قد ظهر في تلك العصور
السحيقة في القدم .

(٨٩) التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٣ جرجي زيدان

(٩٠) اليعقوبي ج ١ ص ٢٢ .

(٩١) الطبري ج ١ ص ٢٢٠ .

ومما يبرهن على ان سورية جاءت بدلا من آرام ،
والسريان بدلا من الآراميين ، ان لفظه آرام ترجمت الى
سورية في النسخة اللاتينية واليونانية ، وان هوميروس
الشاعر اليوناني عند كلامه عن البلاد السورية والسوريين
يستعمل لفظه آرامي وآرام (٩٢) .

مع صتلا ومصعلا اذ صلا مسعنا
صاذا وهيتلا ا ه ف صعا ه
صعلا وواخا صعا .
مع وا ب ه صكلا صعا صعا
ه صعا . ه مع وا ب ه صعا
صعا صعا صعا ه صعا .

نص آرامي ظهر على اوراق البردي من القرن
الخامس ق . م للحكيم والفيلسوف الآرامي احيقار

(٩٢) انيس فريجة : دراسات في التاريخ ص ٢٢٢ .

بلاد آرام	بلاد سورية	بلاد الشام
« آراميون »	« السريان »	« شاميون »

من يتبع المجريات التاريخية ابتداءً من الألف الثالثة قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي ، يرى ان بلاد آرام تحمل ثلاثة اسماء :

١ - آرام طيلة الفترة الطويلة قبل الميلاد .

٢ - سورية بعد الميلاد وفي فجر المسيحية تماماً .

٣ - بلاد الشام في القرن السابع الميلادي .

ويرى المتتبع ايضاً ان لفظ سورية - السريان قد تغلب على كليتهما . وهو امر عجيب جداً ان يتغلب اسم السريان - سورية على آرام والشام ، ويصبح علماً دون الآخرين ، سيما وان مصدر التسمية السريانية السورية غامض ، والاغرب من ذلك ان السريانية اضحت مرادفة للمسيحية في حين ان اللفظة لا تحمل اي معنى ديني حتى ولا قومي ، في الوقت الذي نرى فيه ان التسميات الاخرى اعتمق وادق وارقي بالفرض .

ولنأتي الآن الى شرح كل من هذه التسميات على حدى .

بلاد آرام

كانت بلاد آرام تشتمل على اقاليم مختلفة ، يحدها دويلات عديدة كما مر ، يحدها شمالاً ارمينية وبلاد اليونان في آسيا الصغرى ، وجنوباً شبه جزيرة العرب وغرباً البحر الابيض المتوسط وشرقاً بلاد الفرس . ولم يزل اسم آرام الى حد اوائل التاريخ المسيحي ، ثم نرى هذا الاسم الكثير الشهرة يأخذ في الاضحلال منذ غارة اليونان على الشرق فانفردت اولاً العامة باستعماله ثم اضحل كل الاضحلال عند ظهور المسيحية .

وما سبق شرحه ، وما سيأتي شرحه ، يتعلق كل ذلك بتاريخ الشعب الآرامي .

بلاد سورية هي بلاد آرام ،

السريان هم الآراميون ،

السريان هم والآراميون بالذات ، ويخطيء من يفصل او يميز ما بين الآراميين والسريان كشعب ، او ما بين

الآراميين في فجر المسيحية ، ولدى اعتناقهم الدين المسيحي تخلوا عن الاسم الآرامي واتخذوا اسماً جديداً هو الاسم السرياني ، كما سيأتي شرحه . وهذا الاسم الجديد يعني « الدين المسيحي » فالسرياني مرادف للمسيحي ، وبذلك فقدت الآرامية مدلولها القومي واكتفت بالطابع المسيحي الديني ، وصارت التسمية الآرامية مرادفة للوثنية . وبلغ الامر ان شملت التسمية السريانية القبائل العربية النصرانية كالف سنة وتغلب ، تلك القبائل التي كانت تمتاز كثيراً بقوميتها العربية ودينها المسيحي السرياني ، فكانت تسمى نفسها العرب السريان اي العرب المسيحيون . وما يشبه ذلك في ايامنا ان ابناء كنيستنا في الهند والذين يربو عددهم على المليونين هم هنود جنساولفة ويدعون بالهنود السريان اي الهنود المسيحيون التابعون للكنيسة السريانية .

ولدى الفتح العربي المبين ولا سيما الفتح اللخوي ، انصهر السريان (الآراميون) في البوتقة العربية عادات واخلاقاً ولا سيما لغة . فصاروا عرباً لا يتجزأون من العروبة ، من نوع « العرب بالانتقال » او الاستعراب ، ومن هذا المنطلق نقول : « الآراميون عرب » .

ومما عجّل في تعريب السريان الآراميين ، واللغة العربية ، التي . أدت المرافق الاجتماعية كافة لدى الآراميين انفسهم ، اذ أصبحت لغتهم المحكية هي العربية ، ووضحت اللغة السريانية لغة دين وكنيسة .

لقد غلب اللسان العربي على السريان ، وعن طريق اللسان العربي رسمخوا في العروبة ذلك ان اللغة في كل الشعوب المتحضرة هي العامل الاول في تكوينها ، فاللغة في الواقع والحق هي التي تصير الافراد أمة واحدة ، والناس للغتهم اكثر مما هم لآبائهم ، وقديماً قال النبي العربي : « ليست العربية لاحدكم بأب ولا أم وانما هو اللسان ، من تكلم العربية فهو عربي » (٨٧) .

هذا : « وان الذين استعربوا فمدوا في الامة العربية ليسوا غرباء عنها كل الغربية بل كانوا في سوادهم الاعظم من اخواننا وابناء عموممتنا في العرق ، فسهل بذلك اندماجهم فينا اندماجاً سريعاً كاملاً ، ولم تقو السنوات والنكبات عن تمزيقه وتفكيكه ولا القضاء عليه » (٨٨) ،

(٨٧) و (٨٨) عارف النكدي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٠ سنة ١٩٤٥ ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

بالنسبة للعرب الخالص ، اي العرب في العنصر والدم
واللغة نرى في صدر الاسلام ان الروح القبلية لم تمح بعد .
فوجدت نزعتان معاً ، نزعة العربي لقبيلته ثم بطنه ، ثم
فخذه ، ونزعة للدم العربي وللأمة العربية . والجنس العربي .
وسادت النزعتان جنباً الى جنب^(٨١) ، غير ان النزعة
العربية اخذ ساعدها يشتم منذ عهد الدولة الاموية^(٨٢)
والجاحظ يلقب دولة بني مروان بـ « عربية اعرابية »^(٨٣)
ولم تزل قوية في العصر العباسي وسط العنصرين الغربيين
الفارسي والتركي . وصارت الجنسية العربية مطمح ابصار
الموالي وقبلة انظارهم حتى لى لى ابامسلم الخرماني يصطنع
لنفسه نسباً عربياً^(٨٤) ونشطت حركة الانساب الى العرب
حتى بلغت مبلغاً كبيراً واسترعت اهتمام الشعراء للتمييز ما
بين العربي الاصيل والعربي المزيف المصطنع ، فقال بشار
في رجل ادعى النسبة الى العرب

(٨١) احمد امين : ضحى الاسلام ج ١ ص ١٩ طبعة ٧ (٨٢) فيه

ايضاً ج ١ ص ٢٢ (٨٣) البيان والتبين ج ٣ ص ٢٠٦

(٨٤) الطبري ج ٩ ص ١٦٧ .

ان عمرا فاعرفوه عربي من زجاج
مظلم النسبة لا يُورف إلا بالسراج

وقال مخلد الموصلي

انت عندي عربي ليس في ذاك كلام
عربي عربي والسلم (٨٥)

والواقع ان تشخيص العرب الخالص بات صعباً بعد
الفتح. قال الامتاذ عارف النكدي: «اي شعب يستطيع
ان يزعم لابنائهم انهم ينحدرون من اصل واحد جامع
ويجري في عروقهم دم خالص محض لا هجنة فيه ولا فيه
قرف ولا يزيد ان زعم ان هذه الأمة العربية هي باسرها
وفي اصلها من عنصر واحد ودم واحد وانما نقول ان
العنصر والدم العربيين هما الغالبان في هذه الأمة» (٨٦).

وبالنسبة للعرب انتقالات (الاستعراب) فقد دخل في
هذا الباب اقوام عديدة ومنهم الآراميون السريان . ان

(٨٥) محاضرات الادباء ج ١ ص ٢٢٢ (٨٦) عارف النكدي : مجلة
المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٢٠ - ١٩٤٥ ص ٣٠٧ - ٣٠٩

وقيدار بالأصل هو ابن اسماعيل الثاني . وذكر ايضاً قبائل
اخرى مثل التيماء والددانيين .

ولما جاء الاسلام تكون العرب أمة اذ توفرت فيها
خصائص الأمة من اتحاد ولغة ودين من وجود حكومة
على رأسها . وعقب ذلك الانتصار على امتين كبيرتين هما
الفرس والروم . واخذ لفظ العرب يتهياً لقباً للمكانة
اللائقة به . فقد ورد في القرآن الكريم كلمتا « عربي »
و « عربياً » في سور « النحل » ، الشعراء ، فصلت ،
يوسف ، الرعد ، طه ، الزمر ، الشورى ، الزخرف ،
الاحقاف (٧٩) .

من يطلق عليه لفظه عرب ؟

والآن وبعد هذا الشرح المسهب عن العرب من حيث
نشوءهم ، وتسميتهم ، وتطورات اللفظة ، فهل نستطيع ان
نسمي الآراميين عرباً ؟ !

(٧٩) محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن
الكريم س ١٠ .

بوسعنا القول ان الآراميين ليسوا عرباً ، وان
الآراميين عرب .

اولاً : الآراميون ليسوا عرباً كتاريخ وحضارة وماضٍ
قديم ، حيث كانوا شعباً مستقلاً له كيانه وحضارته ولغته
ونسبه وسيادته . اما علاقته مع العرب فهي علاقة اخوة
وابناء العمومية . وهذا ما شرحناه في اول البحث .

ثانياً : الآراميون عرب . يقول الاستاذ محمود شاكر
الآلوسي عن العرب عند ظهور الاسلام : « ان العرب فتحوا
الامصار ومسكنوا ساثر البلاد وهذه كانت مساكن فارس
والروم والبربر وغيرهم ، فمذه البلاد انقسمت الى ما هو
عربي ابتداءً والى ما هو عربي انتقالاً والى ما هو
عجمي » (٨٠) .

فيحصل من قول الآلوسي ان العرب فئتان :

آ - من هم عرب ابتداءً في العنصر والدم واللغة (الخلص)

ب من هم عرب انتقالاً (المستعربون)

(٨٠) الآلوسي : عادات العرب في جاهليتهم ص ١٠

الجاهلية يعيشونه قبائل متباغضة مشتتة مشتقة ومتنازعة مختلفة في اللغة واللهجة ، فلا شعور قومي يجمعهم ولا وطنية شعبية تعينهم ولا اسم عام ينضمون تحت لوائه . بل كان كل شيء عندهم يبنى على اساس القبيلة ، فالقبيلة هي الوحدة التي يبنى عليها كل نظامهم الاجتماعي ، ولكل قبيلة اسم خاص تعرف به ، وشاعر خاص يتغنى بانتصارها ويسرد محاسنها ، ويهجو القبيلة الاخرى من اجل قبيلته ، وقد تتحالف القبيلة مع القبيلة او قبائل للاغارة على حلف آخر او لرد غارة . وقد تمر الاجيال وتنسى القبائل المتحدة اسماءها وشخصياتها وتنضم تحت اسم واحد هو اسم اقواها .

وقد ذكر العهد القديم تسمية صريحة لاحدى القبائل في القرن العاشر ق . م وهي صبا ، ويسمى بلاد العرب في هذا الدور بارض المشرق (٧٠) وارض بني المشرق (٧١) .

واما الدور الثاني وهو دور العروبة الصريح اي الدور الذي ظهرت فيه التسمية ويبتدىء من القرن التاسع ق . م

(٧) سفر التكوين ٦/٢٥ .

(٧١) تك ١/٢٩ .

عندما اخذت بذور الشعور القومي تذر قرنهما في اذهانهم
ومشاعرهم . فنجد اسم **العرب** للمرة الاولى في السنة
٨٥٤ ق . م لما حالف العربي جنديو ملك دمشق بن عدري
المسمى بنهدد في التوراة ، وقدم له ١٠٠٠ جمل من بلاد
اربي في حربه ضد شاهنصر الثالث (٧٢) ومن بعد هذا
التاريخ نرى ان لفظ عرب قد ورد عشر مرات في العهد
القديم (٧٣) وفي العهد الجديد مرة واحدة (٧٤) وورد مرة
واحدة كل من عربي (٧٥) واعرابي (٧٦) وعربان (٧٧) في
العهد القديم . وورد مرة واحدة « العربية » في العهد
الجديد (٧٨) . كما نرى ايضاً في هذا الدور نفسه اسماء
قبائل عربية الى جانب ذلك نحو قيذار وهو اسم اشهر
قبيلة من القبائل العربية ولذلك ذكرت بالنيابة عن الكل .

(٧٢) من السامية الى العرب ص ١٥١ (٧٣) امل ١٥/١٠ ،
٢ اي ١٤/٩ ، ١٦/٢١ ، ١/٢٢ ، ٧/٢٦ ، نج ٧/٤ ،
اش ١٣/٢١ ، او ٢٤/٢٥ ، حز ٢١/٢٧ (٧٤) اع
١١/٢ (٧٥) نج ١٩/٢ (٧٦) ار ٢/٣ (٧٧) ار
٢/٢ اي ١/١٧ (٧٨) فل ١٧/١ .

بقوله « اخذ اسم العرب من الاعراب وهو البيان ، واختص العرب بالفصاحة وانطلقت سنتهم بالبيان والبدايع . ويقابل اسم العرب العجم من العجمة وهم من عدا العرب ، فيقال عَرَبٌ وَعُجْرَبٌ كما يقال عَجِمَ وَعُجِمَ (٦٦) .

وقد اجمع العلماء والرواة والادباء واللغويون على ان قريشا افصح العرب السنة واصفاهم لغة ، وارقهم لساناً لذلك ان الله اختارهم جل ثناؤه من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً ، وقد نزل القرآن بلغة قريش (٦٧) قال النبي : « انا افصح العرب بيد اني من قريش » . وجاء ايضاً في القرآن : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » فوصفه جل ثناؤه بابلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان . وقال جل ثناؤه : « خلق الانسان علمه البيان » فقد ذكر البيان على جميع ما تفرّد بخلقه وانشائه .

(٦٦) محمد عطية لايراشي : لغة العرب وكيف تنهض بها ص ١٠٠ .

(٦٧) لغة العرب وكيف تنهض بها ص ١٢٠ .

وهذا ما تعنيه كلمة الاعجاز في القرآن . التحدي الذي ابداه القرآن في ان يأتي العرب او غيرهم بمثل له او بسورة منه (٦٨) .

وقد اشتهرت العربية عند العلماء ببيانها وفتحها وبلاغتها . قال احد الحكماء : « وصنعت الحكمة في ثلاثة اشياء : مخ الافرنج ، وايدي الصينيين ، ولسان العرب » .

ظهور التسمية

قسم محمد عزة دروزة الجنس العربي الى دورين : دور العروبة غير الصريح وهو الدور الذي لم يكن فيه الجنس العربي يسمى باسم العرب ، والجزيرة العربية باسمها . ودور العروبة الصريح الذي صار الجنس العربي يتسمى باسم العرب وصارت اللغة العربية الصريحة لغة لهم (٦٩) . فدور العروبة غير الصريح هو الدور الذي كان العرب في

(٦٨) عفيف عبدالفتاح طيارة : روح الدين الاسلامي ص ٢٨ : القرآن المجيد : محمد عزة دروزة ص ٨ .
(٦٩) محمد دروزة . العرب والعروبة ج ١ ص ٤٦٧ .

واصل هذا العداء على ما يظهر هو ما بين البداوة والحضارة من نزاع طبيعي^(٦١) وحيث ان العرب تعني البدوي او ساكن الصحراء ، لا بل ان لفظة عرب في التاريخ القديم كان يرادف لفظة « بدو » او بادية في هذه الايام^(٦٢) وحيث ان القحطانيين الحضري لم يكونوا بدو ، لا بل كانوا يستعيذون بالله من التعرب ، ويكرهون العدنانيين ويعادونهم كما سبق ، فنتخلص منه الى ان لفظة « عرب » انما هو خاص بالعدنانيين . وحتى اذا قيل عرب فانما يراد بهم اهل الحجاز وبالاخص قريش^(٦٣) . وفي المعجم السرياني لحسن ابن بهلول وردت كلمة عرب بمعنى « الاسماعيليين » وبتبادي الازمان ، وتقلبات الظروف لم يعد لفظ العرب محصوراً في البدو وحدهم ، فتنوع معناه كما تنوع مسماه ، فاضطروا الى كلمات تميز بين الحاليين فاستعملوا لفظ الحضري لاهل المدن والبدو لاهل البادية . ولم يبق

(٦١) احمد امين فجر الاسلام ص ٦ .

(٦٢) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٣٩ .

(٦٣) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ص ٣٩ .

للفظ عرب من معنى البداوة الآن إلا في مثل قولهم « اعرابي » (٦٤) ، واضحت كلمة عرب تشمل جميع القاطنين في الجزيرة العربية من قحطانيين وعدنانيين . ويقال ان اليونان في عهد البطالسة اطلقوا على الجزيرة العربية اسم بلاد العرب ، ثم سمي اهلها بالاجماع عرباً باطلاق الجزء على الكل .

ثالثاً : وارتأى آخرون ان لفظ العرب متأت من البيان في الكلام والذلاقة في اللسان . قال السيد محمود شكري الالوسي : « العرب جيل من الناس لم يزالوا مدمومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سمو بهذا الاسم ، فانه مشتق من الابانة لقولهم اعرب الرجل عما في ضميره اذا ابان عنه ومنه قول القرآن الكريم « اليب تعرب عن نفسها والبيان صمغتم بين الأمم » (٦٥) وقد ايد ذلك ايضاً الاستاذ الايراشي

(٦٤) جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٣٩ .

(٦٥) محمود شكري الالوسي : عادات العرب في جاهليتهم ص ٦ طعة

مصر ١٩٢٤ .

قال نعم الكرد وهم اعراب فارس (٥٤) غير ان اشهرهم
العرب (٥٥) حتى غدت اللفظة ملكاتهم لانهم اختصوا بالابل
اكثر من سائر الاقوام ، فقد غدت عماد حياتهم من اجل
ذلك ملئت اللغة العربية بالابل فلم يترك العرب صغيرة ولا
كبيرة مما يتعلق بها إلا ووضعوا لها اللفظ العربي ، ولحمها ،
ولنتاجها ، ووضعوا الاسماء لأعمارها ورضاعها واطعامها
وكل ما يتعلق بها (٥٦) . فندا للناقة ٢٥٥ اسماً (٥٧) وفي
كتاب المخصص لابن سيده يستغرق في الكلام على الابل
وما يتعلق بها ١٧٦ صفحة كبيرة عدا ما ذكر متفرقاً في
مواضع اخرى منه . ووضعوا ايضاً الارض الصحراوية بما
فيها من رمال وحشرات واعشاب ونجاد ووهاد ، وغدا
لكل ما يتعلق بكل مظهر من مظاهرها ما بين ال ٢٠ -
١٠٠ اسم (٥٨) .

(٥٤) الطبري ج ١ ص ٢٦٢ (٥٥) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي
ج ٤ ص ١٥ (٥٦) احمد امين : فجر الإسلام ص ٤٧
(٥٧) جرجي زيدان : العربية كائن حي ص ٥٩ (٥٨) فيه ص ٥٩ .

وَمَا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ إِنْ لَفْظٌ عَرَبِيٌّ بِمَعْنَاهُ هَذَا إِطْلُقَ
فِي الْأَصْلِ عَلَى الْمَدَنِيِّينَ الْأَسْمَاعِيِّينَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدِ
فَقَطْ ، وَذَلِكَ إِنْ الْمَدَنِيِّينَ أَكْثَرَهُمْ أَهْلُ الْبَادِيَةِ وَظَلُّوا عَلَى
بِدَاوَتِهِمْ ، وَإِنَّ الْعَرَبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تَفَارِقْهُمْ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ
عِنْدَهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْحَضَارَةِ (٥٩) أَمَّا الْقَحْطَانِيُّونَ
الْقَاطِنُونَ فِي الْيَمَنِ فَقَدْ تَمَدَّنُوا لِحَبِيبِ أَرْضِهِمْ وَرَقَائِمِهَا ،
فَنَشَأَتْ لَهُمْ دَوْلٌ مَتَحَضَّرَةٌ ، وَإِنْ تَمَدَّنْتُمْ هَذَا لَا يَقِلُّ عَنْ
تَمَدَّنِ الْأَشُورِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْفِينِيقِيِّينَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ
الْعَرَبُ الْحَضَرُ الْمُتَمَدِّنُونَ يَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ مِنَ التَّعَرُّبِ وَهُوَ
مَسْكَنُ الْبَادِيَةِ (٦٠) أَضْفَ إِلَى هَذَا الْعِدَاءُ الَّذِي كَانَ مُسْتَحْكَمًا
بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ الْقَحْطَانِيِّينَ الْحَضَرِ وَالْمَدَنِيِّينَ الْبَدْوِ ، حَتَّى
رَوَّوْا إِنْ كَلَّأَ مِنْهُمْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ شِعَارًا فِي الْحَرْبِ يَخَالِفُ
شِعَارَ الْآخَرِ ، فَاتَّخَذَ الْمِصْرِيُّونَ الْعِمَامَةَ الْحُمْرَ وَالرَّايَاتُ الْحُمْرَ ،
وَاتَّخَذَ أَهْلُ الْيَمَنِ الْعِمَامَةَ الصَّفْرَ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سَمِعْتُ
بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَفْسِرُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ يَصِفُ الرَّبِيعَ :
مَحْمَرَةٌ مِصْفَرَةٌ فَكَأَنَّهَا عُصْبٌ تَيْمَنُ فِي الْوَعْيِ وَتَمَضَّرُ

(٥٩) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٣ .

(٦٠) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٦ .

ذكرأ واصحاؤم تختلف في الهجاء واللغة ، لانها مترجمة من
البرانية ومنهم ثابت وقيدار ، اللذان منها نشر الله العرب ،
ولذلك سموا بالمستعربة او العربية (٤٨) .

معنى العرب

لم يستطع احد حتى الآن ان يشرح معنى كلمة «عرب»
شرحاً مقنعاً واختلف العلماء في تأصيل هذه اللفظة ،
وهناك ثلاثة آراء رئيسة في هذا الموضوع .

اولاً : لنشوتهم في عربية او عرباً **عرب** وهي
صحراء في ارض تهامة ثم انتقلوا الى الحجاز (٤٩) . وذلك
من باب اطلاق اسم المحل على الحال .

(٤٨) تاريخ سورية مج ١ ص ١١٧ واليعقوبي مج ١ ص ٣٠ و
٢٥٢ ومقدمة ابن خلدون ص ٦٢٢ والطبري ١ - ٣٥٢ .
(٤٩) محمد عطية الايراشي : لغة العرب ص ١٠٠ والفريد جيوم :
الاسلام ص ١ - ٢ ترجمة مصطفى هدارة .

ثانياً : تعني لفظة عرب قحل ، صحراء ، بدوي (٥٠) .
وقولنا ان كلمة العربي تعني ساكن البادية لا نطلقها بالحصر
لان البدو صنفان ، صنف يقوم على الشياه والبقر ويسمى
الشاوية (٥١) ولا يبعدون في القفر لقلة المراعي الطيبة ،
وهؤلاء مثل البربر في شمال افريقيا ، والترك والتركان
والصقالبة (٥٢) وصنف مختص بالقيام على الابل فقط وهذا
وحده يسمى « عربا » (٥٣) وتطلق اللفظة على جميع الذين
يعيشون حياة البداوة ومهما كان عنصرهم وجنسهم وكما روى
الطبري « اتدري يا مجاهد من الذين اشار بتحريق ابراهيم
عليه السلام بالنار ؟ قالوا : لا ، قلت : يقال رجل من
اعراب فارس ، قال : يا ابا عبد الرحمن وهل للفارس اعراب ؟

(٥٠) اول ديورانت : قصة الحضارة - عصر الايمان - ترجمة محمد بدران
ج ٢ ص ٧ ، ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ ، علي
ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام ص ٢٤٠ (٥١) مقدمة
ابن خلدون ص ٢١٢ (٥٢) التمدن الاسلامي ج ٤ ص ١٥
(٥٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٢ - ٢١٣ .

الامصار ، والاعراب سكان البادية . وقال ابن تيمية في كتاب
الاقتضاء : ان لفظ الاعراب هو في الاصل اسم لبادية
العرب ، فان كل امة لها حاضرة وبادية فبادية العرب
الاعراب ، وبادية الفرس الاكراد ونحوهم ، وبادية الترك
التر ونحوهم^(٤٧) وهكذا يقال ايضاً ان الآراميين حملوا
هذه التسمية بعد ان تحضروا واما في باديتهم فكانوا يدعون
سيتو او اخلامو كما سبق . والعمالقة لما فتحوا مصر كانوا
يسمون في باديتهم « الرعاة » اي البـدو وسماهم اليونان
المكسوس .

كل ذلك يدل ان الآراميين لم يكونوا عرباً ولم يسموا
عرباً ، ولبثوا آراميين في عنصريتهم ولغتهم حتى دخول
العرب الى هذه البلاد فاتحين ، وبعد ان صارت بلاد آرام
في قبضتهم ، وتم لهم الفتح السياسي واللغوي ، تطورت
الامور فاستعرب من ثم الآراميون ، واطماحت التسمية
الآرامية وصار سكان البلاد عرباً . ولاجل الايضاح نطرح
الامور التالية :

(٤٧) محمود شكري الآلوسي : عادات العرب في جاهليتهم ص ١٢ طبعه
مصر ١٩٢٤ .

١ - نشوء العرب ، ٢ - معنى العرب ، ٣ - ظهور التسمية : العرب ، ٤ - من يطلق عليه لفظ العرب .

نشوء العرب

يقسم العرب الى : - العرب البائدة - ، وسحوا بائدة لانهم بادوا ولم يبق لهم ذرية مستقلة كما سبق . - العرب العاربة - او العرباء لرسوخهم في العروبية ومسكنهم بلاد اليمن وما جاورها وكانوا متحضرين ، وجدهم الاعلى قحطان ، وقد نسبوا اليه فدعوا : « قحطانيين » وقد تفرقوا بعد سقوط سد مأرب الشهير بحسب قبائلهم وبطونهم . - العرب المستعربة - او المتعربة ومسكنهم الحجاز ونجد وما جاورها في اواسط الجزيرة العربية ، وكانوا بدوا رحالة ويدعون بالعدنانيين ايضاً وهم احفاد اسماعيل بن ابراهيم . وقد اجمع مؤرخو العرب على ان اسماعيل بعد مفارقتة ابيه رحل الى البادية ، ثم استوطن مكة المكرمة حيث تقيم قبيلة جرم العربية وشب بينهم ، وتعلم اللغة العربية ، لان لغته في الاصل كانت عبرانية ، ثم تزوج منهم امرأة هي الحنفاء بنت الحارث بن مضاخ الجرهمي ، فولدت له اثني عشر

ان حزائيل اسم آرامي ، فيكون اصل الآراميين عربياً .
ثم يقولون ايضاً : « ان الآراميين الذين يرجعون الى اقدم
الازمان ينتمون الى العرق البدوي الخالص لانهم يحملون
نفس الاسماء التي نجدتها في التسميات العربية » (٤٥) فهم
يوردون هذا البرهان للاستدلال به عن رد الآراميين الى
اصل عربي ، وذلك من حمل الآراميين للاسماء العربية .
وهب ان هذا الزعم صحيحاً اي ان التسمية تدل على
اصل الشعب ، فاذا كان ذلك كذلك ، لماذا يكون اصل
الآراميين عربياً بسبب حمل بعض ملوك العرب اسماء آرامية
مثل حزائيل ، ولماذا لا يكون العكس اي اصل العرب
آراميين بالمقابل لحمل بعض ملوك الآراميين اسماء عربية ،
هذا اذا كانت الاسماء مؤشراً على الاصل .

ثالثاً : يزعمون ان مهد الساميين الاصيلي هو الجزيرة
العربية ، وان كل ساكن فيها يكون عربياً ، وحيث ان

(٤٥) العرب واليهود في التاريخ ص ١١٢ نقلاً عن

F Hommel , The Ancient Hebrew tradition .

p p . 202 - 203 .

الآراميين كانوا يسكنون الجزيرة العربية فهم من اصل عربي . نقول : ان العلماء لم يتفقوا على تشخيص مهد الساميين الاول ، وقد ذهب العلماء في ذلك مذاهب عديدة ، فهناك من قال ان جنوب العراق كان الموطن الاصلي للساميين وان الآراميين نزلوا في بادية العراق والشام لا في بادية الجزيرة العربية وذلك منذ الالف الرابع ق . م (٤٦) ، وان ابراهيم الخليل الذي كان يعيش في الالف الثانية ق . م كان آرامياً وكان مستقراً في اور الكلدانيين .

رابعاً : يقولون ان لفظة عرب تعني البدو الرحل ، او تشير الى القحط والصحراء وان كل الاقوام والقبائل التي كانت تحيماً حياة البدو الرحالة وجب تسميتها عرباً ومن ضمنهم الآراميون .

نقول : هذا ليس صحيحاً ، الصحيح كما ذكر ابو العباس احمد بن عبدالله الشهير بابن ابي غدة في كتابه نهاية الارب في معرفة انساب العرب : ان العرب هم اهل

(٤٦) اسعد داغر - حضارة العرب ص ٨ طبعة مصر ١٩١٨ .

الآراميون والعرب

ذهب بعضهم الى ان القبائل الآرامية ترجع الى الاصل العربي ويبرهنون على ذلك بالامور التالية :

اولاً : ينسبون الآراميين والعرب البائدة الى اصل واحد هو إرم ويسمونهم بالآرمان^(٤٣) .

فنجيب على هذا : ان العرب البائدة تسمى ايضاً الهالكة لانه لم يبق على وجه الارض احد من نسلهم^(٤٤) ، اما إرم فتختلف عن مفهوم آرام كما سبق .

ثانياً : يستنتجون في ارجاع الآراميين الى الاصل العربي من حمل بعض ملوك العرب اسماء آرامية من ذلك ، ان الملك الاشوري امر حدون ٦٦٨ - ٦٢٥ يشير في كتاباته الى ان الملك حزائيل ملك العربي (العرب) جاء خاضعاً الى نينوى ، وهو يحمل معه جزية كبيرة . والمعلوم

(٤٣) احمد سوسه : تاريخ العرب واليهود ص ١١١ .

(٤٤) مقدمة ابن خلدون ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ مج ٢ ص

١٦ و ١٩ و ٧١ و ٢٥٩ .

هاماً . وكانت روما التي خضع لنيروها اغلب امم العالم القديم تهاب قبائل تدمر وتتودد اليها وتقدم لها الهدايا وتوفد اليها الوفود . وكانت مدينة « تدمر » عاصمة ملكهم ، وهي لفظة سريانية معناها : « الاعجوبة » .

وكانت الآرامية هي اللغة الرسمية لهم . واتخذ التدمريون القلم المسمى بالقلم التدمري وهو مشتق من القلم الآرامي . واقدم الكتابات التدمرية يرجع الى القرن الاول ق . م . ومن اشهر رجالات تدمر اذينة بن اذينة الذي لقب بملك الملوك واشتهرت امرأته زنوبيا التي كانت تنوب عن زوجها في الحكم ، وفي سنة ٢٧١ اعلنت زنوبيا استقلال تدمر عن الرومان وقولت قيادة الجيش وفي اواخر القرن الثالث انتهت السيادة التدمرية على ايدي الرومان .

الحضر

كانت مدينة الحضر في زمن الدولة الفارسية امارة آرامية مستقلة . وسميت امارة « حطارا » واشتهر من ملوكها « برشيا » في اواخر القرن الثاني للميلاد ثم حرقها العرب ودعوها « الحضر » وتعد لهجة اهل الحضر آرامية شرقية .

الزّامبون والعرب

وتنزل حتى تتصل بالبحر الاحمر . وسرعان ما تحضر الانباط
وانشأوا القرى والمدن ومنها عاصمتهم « سلع » ومعناها
بالعبرانية الصخرة وبال يونانية « بتراء » وفي العربية الفصحى
الرقيم . وكانت بعض المدن الآرامية مثل عمان تتناقل بين
يد الرومان ويد الانباط طيلة الفترة ما بين ٦١ ق . م
لغاية ١٠٦ م حيث استقرت عمان نهائياً بعد فناء دولة
الانباط الى يد الرومان عام ١٠٦ .

كانت لغتهم احدى اللهجات الآرامية ، يصفها ابن العبري
« واسمها الكلدانية النبطية » (٤٢) . واقدم النقوش النبطية
المكتشفة يرجع الى سنة ٣٣ ق . م .

تدمير

على اثر انهيار دولة الانباط برزت في الميدان دولة
اخرى تمتد بجذورها الى الآراميين هي تدمر ، التي نالت
مركزها بدءاً من اوائل القرن الثاني للميلاد . وبلغت اوج
عزتها في القرن الثالث للميلاد . واضحت مركزاً تجارياً

(٤٢) مختصر الدول ص ١٨ .

Handwritten Aramaic script, likely a transcription of an inscription. The text is arranged in seven lines within a rectangular border. The characters are stylized and characteristic of the Aramaic script.

احد النقوش الآرامية المكتشفة
في انقاض مدينة دورا - الرها

بن حويا احد ملوك الآراميين القدماء . وهناك احتمال عند بعض المستشرقين ان تسمية المدينة ترجع الى قبيلة آرامية سكنت في هذه المنطقة ، وقد جاء لهذه القبيلة ذكر في الخطوط المسمارية باسم *Ruua* (٤١) .

ولقد لعب الصراع الفارسي الروماني دوراً في تاريخها السياسي حتى فتحها العرب المسلمون عام ٦٣٧ م . وقد بسط الصليبيون نفوذهم عليها لمدة قصيرة ما بين ١٠٩٧ - ١١٤٦ وجعلوها عاصمة لمملكتهم في الشرق . واشتهرت الرها كمركز هام للكنيسة السريانية منذ فجر النصرانية سيما منذ بداية القرن الثالث حيث اضحت قاعدة اللغة والادب .

الانبـاط

للانباط جذور آرامية تمتد الى القرن الثالث عشر ق . م وبدأوا بالبروز منذ القرن السادس ق . م في البادية التي في شرقي المملكة الاردنية الحالية او شبه جزيرة طور سيناء . وانشأوا دولتهم في القرن الرابع ق . م وبلغت ذروتها في عهد الحارث الرابع ٩٠ ق . م - ٤٠ م . وامتدت مستوطنات هذه الدولة من نهر الفرات في المنطقة المتاخمة لبلاد الشام

(٤١) ولفسون : تاريخ اللغات السامية ر ١٤٦ .

تعوض عن السيادة والسياسة ، فقد سادت اللغة الآرامية ثقافياً وحضارياً ، وهيمنت على سائر مرافق الحياة الاجتماعية كما مستقف عليه بعد قليل .

خلف الآراميين بالسيادة الاشوريون ثم الكلدانيون . وفي عام ٥٣٨ ق . م انقضى الحكم الكلداني باستيلاء الفرس ، وسقطت بابل ، وبذلك انتهى عصر ، وهو العصر السامي الذي بدأ حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م وانتهى بسقوط الامبراطورية البابلية الثانية (الكلدانية) في ٥٣٨ ق . م وتبعته سيادة الفرس ، ثم اليونان ، ثم الرومان . وهكذا انقضت ايام الامبراطوريات السامية ولم تعد إلا بعد اكثر من ألف عام بظهور العرب في اوائل القرن السابع الميلادي .

شردت هذه البلاد خلال حكم اليونان السلوقيين ، والرومان ظهور انتفاضات وثورات مطالبة بالاستقلال الذاتي كالفرثيين الذين استاءوا عام ٢٤٠ ق . م والمكابيين اليهود عام ١٤١ ق . م . وتبرز في هذه الفترة اربعة ممالك آرامية مستقلة وهي : الرها ، الانباط . تدمر ، الحضر .

مملكة الرها

شيّد مدينة الرها سلوقس نيقاتور سنة ٣٠٤ ق : م
وفي عام ١٣٢ استقرت فيها قبيلة آرامية وامست دويلة
فيها واتخذت الرها عاصمة لها وذلك بهمة آريو اول ملوكها .
وآريو كلمة سريانية معناها : الاسد . وتسلسل فيها الملوك
حتى اوامط القرن الثالث بعد الميلاد حيث انقرضت مملكتها
سنة ٢٤٤ م وقد عرف ملوكها بالاباجرة لان معظمهم كان
يسمى ابجر . فهناك احد عشر ملكاً عرفوا بهذا الاسم .
وابجر كلمة سريانية معناها الاصرج . والاسماء كلها سريانية
وعلى اللهجة الرهاوية الغربية . نحو آريو : الاسد . عبدو :
عبد . بوخرو : البكر . ابجر سوموقو : ابجر الاحمر .
ابجر او كومو : ابجر الاسود . وقد اطلق السلوقيون على
الرها اديسا وسماها الاتراك في القرن الخامس عشر اورفا .
وسميت احياناً كاليرهوي وتأويله ينبوع الحسن لكثرة
الينابيع والمياه فيها . فاختصر الآراميون هذا اللقب وقالوا :
اورهوي . واخذ عنهم العرب وقالوا : الرها (٤٠) وتقول
المصادر السريانية : ان المدينة سميت اورهوي نسبة لاورهوي

(٤٠) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٧ طبعة صا كاتي .

ونقل من سكانها الآراميين ٢٤٠٠ نسمة الى كالح على نهر
دجلة . ثم زحف الى هذه الربوع الملك الاشوري شلمنصر
الثالث مرتين متعاقبتين في سنتي ٨٥٨ و ٨٥٧ ق . م فاحضع
ما تبقى من المدن الآرامية ومن جملتها بيت ديني وبيت
رحوب ، وهناك نص اشوري ورد فيه ما يأتي من كلام
شلمنصر هذا : « تلقيت الجزية من ملوك عبر الفرات ، ملوك
كر كيمش (٣٤) ، وكومة (٣٥) ، وبيت اغوشي (٣٦) ، ومليد (٣٧)
وبيت غاباري (٣٨) ، وهي فضة وذهب ونحاس واوعية
نحاسية الخ » (٣٩) .

انه ولئن قضي على نفوذ الآراميين السياسي ، وزال
كيان سيادتهم ، إلا ان لغتهم الآرامية تمكنت من ان

-
- (٣٤) كركيمش كانت في موضع جرابلس الحالية ، وهي كلمة آرامية
مركبة من كلمتين ، الاولى (كرك او كرخ) ومعناها مدينة .
والثانية « كيمش » وهو اسم احد الهتهم فيكون معناها « مدينة
كيمش » (٣٥) كومة كلمة آرامية معناها الاسود (٣٦) بيت
اغوشي كلمة آرامية معناها « معسكر » او موضع الجيش
(٣٧) مليد كانت في موضع ملطية او هي ملطية .
(٣٨) بيت غاباري (زنجري) وهي كلمة آرامية معناها موطن الجبارة .
(٣٩) مجلة لسان المشرق - مج ٣ - ٢٣٨ - ٢٣٩ .

الاشوريين في عهد ملكها رصين الذي هرب كفارة ودخل باب مدينته . وهناك اصبح محاصراً مثل عصفور في قفص . واخيراً فتحت دمشق في عام ٧٣٢ وقتل ملكها وقطعت اشجار بسايتها ، ونفي اهلها . وهكذا انتهى امر آرام دمشق وانتهت معها السيادة الآرامية الى الابد .

ان وجود الآراميين على شكل دويلات متعددة ومستقلة عن بعضها البعض دون ان تتمكن من توحيد قواها تحت لواء واحد كما مرَّ ادسَّى الى نشوب فتن وخصومات بينها ممَّا فتَّ في ساعدها الامر الذي سهَّل للاشوريين على القضاء على استقلالهم الذاتي . ففي منتصف القرن التاسع ق . م هبَّت آشور واكتسحت الإمارات الآرامية الواحدة تلو الاخرى . فاستطاع اشور ناصر بال الثاني فرض سيطرته على كل بلاد ما بين النهرين تقريباً الى حدود بابل نحو سنة ٨٦٠ ق . م فقسمها الى ولايات صغيرة وفرض عليها الجزية ، ولم يبق للآراميين إلا « بيت ديني » على المنعطف الكبير لنهر الفرات وكانت على اتصال دائم مع جارتها آرام بيت آحوب ، إلا ان اشور ناصر بال هاجمها وطوَّقها فاستسلمت له صاغرة واجبر ملكها آهين على دفع الجزية



من النقوش التي عثر عليها على جدران قصر الملك الآرامي
كبتاراً في غوزات (تل حلف) القرن التاسع قبل الميلاد

مدينة اور العراقية (٢٣) ومن الثابت ان ابراهيم كان
آرامياً (٢٤) ، وكان قبل الميلاد بالفى سنة .

ومهما يكن من الامر فقد ظهر الآراميون منذ الالف
الثالثة قبل الميلاد لقبائل رحل وحوالي الالف الثانية ق . م
اجتاحوا قسماً كبيراً من بلاد الرافدين وسورية الشمالية
والوسطى كما زحف بعضهم الى مصر وبرية سيناء . وتعرف
هجرة الآراميين (٢٥) هذه بالهجرة السامية الثالثة التي
تركزت احداثها داخل سورية . وكان الاموريون الذين
تركزت احداثهم في شمال سورية يمثلون الهجرة السامية
الاولى ، والكنعانيون الذين دارت اخبارهم على الساحل
يمثلون الهجرة الثانية . وعقب العبرانيون الآراميين وشكلوا
هجرة رابعة وكانت مركز احداثهم في جنوب سورية اي
فلسطين . وليس بمستيق ان تكون قبائل الخيرو الآرامية

(٢٣) تك ١١ : ٢١ (٢٤) تك ٢٦ : ٥ .

(٢٥) اعتمدنا في تلخيص موجز تاريخ الآراميين السياسي على :

١ - الكتاب المقدس ٢ - تاريخ سورية لفيليب حتي

٣ - دراسات في التاريخ لانيس قريحة ٤ - التاريخ

السياسي للآراميين للاستاذ محمد جلب .

ذاتها الشعب العبراني الذي قدم فلسطين غازياً عن طريق شرق الاردن . فان التقليد العبري يصر على ان اصل بطاركتهم آراميون من العراق القديم ومن حران على وجه التدقيق . وفي سفر التثنية ٢٦ . ٥ كان على اليهودي ان يتقدم الى مذبح الآلهة وييده اوائل اثماره ليقدمها تقديماً للرب ان يقول : . . . آراميا تائماً كان ابي . . .) ويقول الدكتور احمد سوسه : « وصارت كلمة عايرو بعد ان صحفت الى عبري وعبراني تطلق على اتباع موسى بعد ظهورهم (٢٦) .

وقد بلغت الغزوات الآرامية اشدها من حيث العنف والحجم في القرن الحادي عشر ق . م منغتمين فترة ضعف الاشوريين ، وتقهر النفوذ المصري ، فتمكن الآراميون من اختصاص الشعوب المتواجدة هناك وطردهم كالاموريين والخوريين والحثيين ، وتوجهوا نحو الحياة الحضارية . وتم لهم انشاء كيان سياسي وسيادة مستقلة ، الا انهم لم يستطيعوا ان يكونوا دولة آرامية موحدة ، بل ظلوا دويلات وامارات صغيرة في سورية وحران وفي الاقطار الشمالية للبلاد

(٢٦) العرب واليهود في التاريخ مج ١ ص ٩٩ .



نصب حجري لعلامة الحدود يشاهد فيه مردوخ بلادات
ملك بابل (٧٢١ - ٧١١ ق.م) وهو يمنح بعض الاراضي
الى احد كبار اعوانه ، وقد نُقشت فوق تاجه المخروط
كتابة تحمل اسم : « مردخ بلادات » ملك بابل الآرامي

الخصيب ، وبذلك يدخلون التاريخ بشكل بارز يلفت النظر ،
وكشعب ذي كيان وسيادة ، وفرضوا لغتهم على المنطقة
باسرها ، وغدوا سادة البلاد نحو خمسة قرون متواصلة .
واشهر دويلاتهم :

الدول الآرامية في ما بين النهرين

ظهرت الدول الآرامية الأولى في منطقة الفرات الأوسط
وهي المر بين بلاد الرافدين وسورية . ومن تلك الدول :
آرام صوبا (٢٧) وآرام معكة (٢٨) وآرام النهرين (٢٩) . والنهران
المقصودان هما : الفرات وروافده الخابور ، وليس الفرات ودجلة .
ودولة فدان آرام (٣٠) ويعني اسمها الطريق وكانت فعلاً واقعة
على طريق تجارية كبيرة الأهمية وكان مركزها مدينة حران
التي أصبحت من أعظم مراكز الحضارة الآرامية وهي
مواطن إبراهيم الخليل بعد نزوحه من اور الكلدانيين .
وآرام بيت رحوب (٣١) وان كلمة بيت في الآرامية تعني

(٢٧) صم ١٠ : ٦ (٢٨) اي ١٩ : ٦ (٢٩) تك ٢٤ : ١٠
وتث ٢٣ : ٤ وقض ٣ : ٨ (٣٠) تك ٢٥ : ٢٠ و
٢٨ : ٢ - ٧ (٣١) صم ١٠ : ٦ - ٨ .

دائماً موضع او محل . وان بيت رحوب كان يسمى من قبل رحوبوت^(٣٢) ولما وقعت بايدي الآراميين في الالف الثاني ق . م سموها بيت رحوب تبعاً لاصول اللغة الآرامية^(٣٣) .

آرام دمشق

اشهر الدويلات الآرامية على الاطلاق واقواها عسكرياً وارقاها حضارياً . ومركزها دمشق . تأسست في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد وتطورت بفضل موقعها واصبحت كمحطة للقوافل التجارية تتمتع بمركز اقتصادي وعسكري ولعبت دوراً في انهاء الامبراطورية الاشورية وقضى مضجع المبرانيين حتى اصبحت مملكة كبرى تمتد الى الفرات من جهة والى اليرموك من جهة اخرى . ومنطقة دمشق هذه هي التي يعنها العهد القديم حين يشير الى آرام او سورية وقد كان هؤلاء الآراميون في سورية خلال قرنين الذين اعداء المبرانيين . وكانت نهاية هذه المملكة على ايدي

(٣٢) تك ١٠ : ١٠ - ١١ (٣٣) مجلة لسان المشرق معج ٢ ص

٢٣٧ مقال للمطران بولس بهنام بعنوان رحبوت او رحوبوت .

الى عهد الملك الاكدي زام سين (القرن الثالث والعشرون
ق . م) ثم وردت في كتابة اخرى تشير الى مدينة او
دويلة باسم آرام قرب مملكة اشتونا في جنوب العراق (١٧) .

وبرزت آرام كتسمية للشعب الآرامي وعرف بها
سياسياً وعسكرياً وحضارياً في اواخر الالف الثاني
ق . م (١٨) مقترنة بلفظة الاحلامو . ثم تغلبت التسمية
« آرام » على كل القبائل الآرامية في القرن الحادي عشر
ق . م واستمرت وتغززت وكان لها شأن هام في التاريخ .
وقيل ان الاشوريين اطلقوها اولاً على احدي قبائلهم ، ثم
عمت القبائل الاخرى (١٩) .

(١٧) الدكتور احمد سوسه : العرب واليهود في التاريخ مج ١ ص ٩٨
قللاً عن :

Moscatti , *Ancient Semitic Civilizations* , p 168 .

(١٨) المطران صليباً شمعون : الممالك الآرامية - سلسلة دراسات سريانية

(٤) حلب ١٩٨١ قللاً عن : مجلة التراث

الشعب العراقي عدد حزيران سنة ١٩٧١

مقالة للاستاذ طه باقر .

(١٩) البير ابونا : ادب اللغة الآرامية ص ١٢ - ١٣ .

موجز تاريخهم السامي

يشير التاريخ التوراتي في سفر التكوين ان المشرق اي بلاد العراق اليوم هي الوطن الاول للدوحة السامية . قال الكتاب : « وكانت الارض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً . وكان انهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في شنعار فاقاموا هناك . هناك بلبل الله لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض وبددم وشتتهم على كل وجه الارض ولذلك سميت بابل» (٢٠) من هنا رأى بعض العلماء وفي ظليعتهم المستشرق الايطالي اغناطيوس غويدي (٢١) ان الجزء الاسفل من الفرات هو المهد الاول للساميين . وكان معظم سكان هذا الجزء من الآراميين (٢٢) ومن المؤكد انهم قبل الميلاد بالفني سنة كانوا متواجدين في جنوب المشرق (وادي الرافدين) او سهل شنعار بدليل وجود ابراهيم الخليل في

(٢٠) تك ١١ : ١ - ٩

(٢١) *Guidi Della Sede dei popoli Sem .*

(٢٢) اغناطيوس يعقوب الثالث : الحقائق الجلية ص ٨ .

السدقة - السدقة

السدقة ضم : السدقة أرفعا : ركة السدقة ركة
 السدقة أ : ركة السدقة : للسدقة أرفعا
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة

السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة

السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة

السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة
 السدقة ركة : السدقة ركة : السدقة ركة

السدقة - السدقة

قصيدة سرانية بعنوان

الأراميون السريان

للؤلف

تعريفهم

تفيد مصادر التوراة ان آرام هو الابن الخامس لسام ابن نوح الجد الاعلى لجميع الشعوب السامية^(١) والى آرام ينسب الآراميون فهم شعب سامي . وفي رواية اخرى^(٢) نجد ان آرام هو ابن قموئيل بن ناحور ، وفاحور اخو ابراهيم الخليل . وفي رواية ثالثة^(٣) نجد ان آرام من نسل اشير الجد الأعلى لقبيلة اشير . والمهم ان آرام من صلب الشعوب السامية^(٤) .

ضبط اللفظ

ان ضبط لفظ آرام وكتابة هذا الاسم فهو بعد الالف والراء مفتوحتين كما هو ثابت وشائع في اللغات العبرية والسريانية والعبرية^(٥) . ويقول الدكتور انيس فريجة : آرام بعد و آرام بدون مد^(٦) والأصح بعد .

(١) تك ١٠ : ٢٢ (٢) تك ٢٢ : ٢ (٣) سفر اخبار الاول ٧ : ٣٤ (٤) انيس فريجة : دراسات في التاريخ ص ٢٢٤ (٥) نعمة الله دنو : الآراميون والآرامية . مقال في المشرق الموصلية سنة ١٩٥٠ مج ٣ ص ١١٥ (٦) انيس فريجة : دراسات في التاريخ ص ٢٢٢ .

ويجب التمييز بين لفظي آرام وإرم وبين الآراميين والارميين . قال الملامة ابن العبري (٧) : « ان الآراميين بأنفون من الاختلاط بالارميين ، ولا صحة لما ادعى البعض قديماً وحديثاً إن كلمة إرم ذات العماد الواردة في القرآن الكريم في سورة الفجر ٦ مشتقة من الآرامية (٨) . ان لفظة آرام لا علاقة لها بإرم ذات العماد ، لان المراد بإرم في القرآن اسم مدينة والمفسرين في تعيين اصلها ومركزها آراء عديدة . وآرام في التوراة اسم علم ، وهو الابن الخامس لسام كما علمنا ، وهي لفظة سريانية مشتقة من جذر سامي مشترك « روم » يعني المرتفع او العالي كما سيأتي شرحه .

معنى التسمية

ر آرام لفظة سريانية مشتقة من جذر سامي مشترك روم
 روم يعني المرتفع والعالي ، وقيل انه يعني الجبل او الوعر فهو

(٧) المدخل في باب المتجانسات (٨) من اصحاب هذا الرأي
 الاب الستاس الكرمللي . وطه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات مج ٢
 ص ٢٦٨

عكس معنى اشور الذي معناه السهل (٩) وقال الاب مرتين :
ان اشور معناها خطوة ومشية (١٠) . اما آرام فهو لفظ
عبراني مشتق من روم لا يعرف اصل معناه بحسب زعم
جسین ، ويقرب من روم العبرانية اي ارتفع او « ورم »
بالعربية اي اتفخ (١١) وسمي كذلك اما لأن الآراميين سكنوا
المرتفعات والجبال على حد قول البعض ، ولئن كان هذا
الامر غير وارد جغرافياً ، او لانه يشير الى علو المكانة
وسمو المنزلة نظراً للتقدم الحضاري الذي احرزه الآراميون
بانتشار لغتهم ، وبالمقابل ان اسم بلاد كنعان تفي الارض
المنخفضة وهي مشتقة في العبرية من فعل (كنع) اي ركع
وانخفض وتواضع ، وهو لفظ ميت في الكلدانية بمعنى خزي ،
وفي العربية « خضع » (١٢) وجاء في ملحق قاموس منسا

(٩) الخوري عيسى اسعد لتاريخ حمص ص ١٢٧ نقلًا عن دائرة
البستاني ٢ : ٧٦١ .

(١٠) الاب مرتين - تاريخ لبنان ص ٩٣ ترجمة رشيد الشرتوني -
طبعة بيروت ١٨٨٩ .

(١١) الاب مرتين - تاريخ لبنان ص ٩٠

(١٢) فيليب حتى - تاريخ سورية ص ٨٥ . ومحمد عطية الايراشي -
الاداب السامية ص ٢٠ .

أَوْكَلْنَا - مَعَهُ وَنَا

يَجِزُ وَيُجِزُ لَهُ مَعَهُ : أَحْفَرُ أَوْكَلْنَا : رَفَعَهُ جَبَلًا
رَفَعْنَا بِهِ كَلَامًا : وَجَعَلْنَا وَيَجْعَلُ : أَوْكَلْنَا :
رَفَعْنَا وَاللَّحْدُ : حَطَرَهُ بِرَفْعِهِ : يَجِزُ مَعَهُ وَنَا :
هَذَا مَعَهُ وَنَا : حَتَمْنَا سَهْلًا : هَذَا مَعَهُ وَنَا : كَلَامًا :

∴

بِأَحْسَنِهِ : لَجِبْتَهُ مَكِينًا : رَفَعْنَا وَمَحْتَلًا :
هَذَا مَعَهُ وَنَا : رَفَعْنَا مَكِينًا : وَمَحْتَلًا وَمَا :
مَعَهُ رَفَعْنَا : إِيْتِيَا نَبِيًّا : "وَمَعَهُ وَنَا :
أَسْرًا وَمَعَهُ مَدِينًا : رَفَعْنَا الْكَلْبِيًّا : وَعَلَيْسَهُ :

∴

حَتَمْنَا : هَذَا مَعَهُ وَنَا : هَذَا مَعَهُ وَنَا :
الْأَنَا : أَوْكَلْنَا : هَذَا مَعَهُ وَنَا :
مَتَانًا وَاقْتَلْنَا : مَعَنَا وَوَوَّأْنَا : هَذَا مَعَهُ وَنَا :
وَأَوْكَلْنَا : أَمَّا وَمَتَانًا : هَذَا مَعَهُ وَنَا :

∴

مَعَهُ جَمْعًا : وَهَذَا مَعَهُ وَنَا : مَعَهُ وَنَا :
مَعَهُ كَلَامًا : الْأَنَا : حَتَمْنَا : حَتَمْنَا :
مَعَهُ مَعَهُ : مَعَهُ مَعَهُ : وَنَا :
مَعَهُ وَنَا : هَذَا مَعَهُ وَنَا : حَتَمْنَا :

مَعَهُ وَنَا - أ - مَعَهُ

قصيدة سريانية بعنوان
الأراميون السريان
للمؤلف

وصف الجهة التي سكنها لان هذه التصورات الجغرافية لم
تخطر لهم في بال (١٦) .

ظهور التسمية

برز الآراميون على مسرح التاريخ في الالف الثالث
ق . م على شكل قبائل رحالة عديدة . وقد تحرى الباحثون
والمؤرخون عن اسمائهم فلم يتوصلوا الى تشخيصها بوضبط
ودقة . فزعم قوم انهم كانوا يسمون بـ « سوتو » او سوتيو
ومعناها الرحل ، وذلك في الالف الثالث ق . م . وذهب
آخرون انهم كانوا يدعون بقبائل « احلامو » في عام
١٥٠٠ ق . م وكان الاموريون المقيمون في منطقة الفرات
اول من اطلق عليهم هذه التسمية وتعني « الرفاق » او
« الاحلاف » .

ثم ظهرت قبائل اخرى الى جانب احلامو سميت بالخبيرو
او العبيرو ، واقتربت اللفظتان فصارت (احلامو او الخابيرو) .

واما لفظ « آرام » فقد وردت في كتابة مسارية ترجع

(١٦) تاريخ لبنان ص ١٠٢ .

علماء السريان وزج طاقتهم الفكرية الخلاقة في غياهب
النسيان . وبهذا تبدو الخطورة على اشد ما يكون . لا بل
تشتد هذه الخطورة عندما نرى بعض المتطفلين ، والضعفين ،
والمعرضين يطرحون دراسات حول السريانيات بشكل مختصر
او كعرض موجز ، ويتعمدون عن قصد تشويه جمال
السريانيات الآراميات .

هذا وعلى الله الاتكال .

دمشق ٢ آب ١٩٨٣

عيد القديس مار احو دامه اول جئالقة المشرق ،
وبكر فلاسفة السريان ونحويهم في العصر المسيحي

المطران اسحق سا

الآراميون

تعريفهم - ضبط اللفظة - معنى التسمية - ظهور التسمية -
موجز تاريخهم السياسي -

الحضارة ، واللبننة الاولى في صرح المدينة . وقد جاء ذلك كله مدفوعاً بالحُب الشامل للجميع ، والبذل في سبيل الكل . ومن هذا المنطلق تبرز الحضارة السريانية لتأخذ مكانتها اللائقة بها في تاريخ الشعوب والحضارات وفي القمة تماماً .

اقول ذلك لا تحزبا لكنيسة ، ولا لأن قلبي يطفح حباً بالسريانية ، ولا لأنني مثل باعتزازي بأبائي واجدادني انما اعلاناً للحق ، وللحق وحده .



في هذا الجزء الثالث من كتاب السريان ايمان وحضارة نستعرض تاريخ الثقافة السريانية بالتفصيل الكافي . وقد تناول هذا الموضوع العديد من المستشرقين والشرقيين ، وقد اورد البطريرك افرام برصوم في كتابه اللؤلؤ المنشور اسماء اكثر من مائة مستشرق عنوا بالسريانيات منهم :
وليم رايت ١٨٦٥ - ١٨٨٧ ، ونلدكه ١٨٧٠ - ١٩٠٤ ،
وروبنس دوفال ١٨٧٠ - ١٩٠٤ ، ويوحنا شابو ١٨٩٥ -
١٩٣٩ وبومشترك ١٩٠١ - ١٩٢٢ .

اما الذي احرز قصب السبق في هذا المضمار ، ونال
الفوز على الجميع فهو المثلث الرحمت البطريك افرام الاول
برصوم ، الذي وضع في هذا العلم كتاباً نفيساً منقطع النظير
سماه « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية »
اقتصر فيه على علماء السريان المغاربة الارثوذكس فقط .
يقع في سبعمئة صفحة من الحجم الكبير ، طبع اولاً في
حمص عام ١٩٤٣ ثم طبع ثانية في حلب عام ١٩٥٦ ،
وطبع ثالثة عام ١٩٧٦ ضمن مطبوعات مجمع اللغة السريانية -
بغداد . وكان المرحوم مار فيلكسينوس يوحنا دولباني مطران
ماردين قد نقله الى اللغة السريانية عام ١٩٧٦ .



بقي ان نقول : الواجب يدعوننا الى ابراز هذا النتاج
الثقافي منقولاً الى لغات اخرى سيما العربية . وان
المسؤولية التاريخية تهيب باقلام الكتّاب والنقاد لتنبهي لدرسه
وتحليله . وان الهاء الناس بطرح تاريخ هذا الفكر ،
والوقوف عند هذا الحد ، والاكتفاء به ، هو تعطيل دور
الثقافة السريانية ، وشل حركتها ، وجعلها في عزلة تامة
عن الركب الحضاري المعاصر . لا بل طمس مواهب

السمو الالهي ، انما هو مفعول الوحي والالهام « ان لهما
ودماً لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات » (٦) وقال
العلامة ابن العبري امير الفكر السرياني الاكبر « ان
معرفة الكاملين هي معرفة ايجائية ، وكل معرفة ايجائية
تعتبر معرفة نبوية ، ولا تكتسب المعرفة النبوية ، بل ولا
يتعلمها الانسان من مطالعة الكتب » وقال ايضاً « ان الحياة
الحقيقية هي التي يرضع الكاملون لبنها من ثدي العناية
الالهية مباشرة ، وليس لمعلمي الناموس ، ولا لكتبهم فيها
سوى الاسم والصورة » .

هذا هو اذا المفهوم الحقيقي للفكر السرياني ، ووجهه
المشرق الوضاح . ومن المستحيل اعتماد مفهوم آخر له .
او ابراز وجه ثان غير هذا . نقول ذلك وبكل اطمئنان
ولا يعنيننا ما تسوق هذه النظرة من الاستغراب ، وما يؤدي
هذا القول الى الاعتراضات .

★ ★ ★

قال الرسول بولس « نحن الذين نعبده الله بالروح ونفتخر

(٦) مت ١٦ : ١٧

في المسيح يسوع ولا تتشكل على الجسد مع ان لي ان اتشكل
على الجسد ايضاً . ان ظن احد آخر ان يتكل على الجسد
فانا بالاولى ، من جهة الخُتان محتون في اليوم الثامن من
جهة اسرائيل من سبط بنيامين ، عبراني من العبرانيين ،
من جهة الناموس فريسي ، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة ،
من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم . لكن ما كان لي
ربحاً فهذا قد حسبته من اجل المسيح خسارة ، بل اني
احسب كل شيء ايضاً خسارة من اجل فضل معرفة
المسيح يسوع» (٧) .

وعلى ضوء هذا القول الرسولي نقول : ان الفكر
السرياني ولئن كان دينياً روحياً صرفاً ، فهو ايضاً يحتمل
مكانة عليا في تاريخ الفكر الانساني على الاطلاق ، ويتبوأ
محل الصدارة بين الحضارات العالمية ، نظراً لما حواه من
نشاطات ثقافية في شتى المجالات العلمية ، وما احتواه من
طاقات ابداعية ، وما قدمه من عطاءات معنوية في مختلف
فروع المعرفة . وما اسدى من خدمات جليلة للانسانية
جمعاء . وكفاه فخراً انه علم الناس « الكتابة » التي هي نواة

(٧) فيلبي ٣ : ٣ - ٨ .

المقدمة

ينبع الفكر السرياني من دم يسوع المسفوك على الصليب ،
ويصب في اعماق قلب الانسان « الملوث بالشر » ويختار له
مجاري في عقل هذا الانسان ، وضميره ، وفكره ، فيغسله ،
وينقيه ، ويطهره ، بالمعمودية السريانية المقدسة . فيحوله
جسماً وروحاً الى ابن الله ويمنحه هوية الانتساب الى
المملكة التي ليست من هذا العالم (١) .

اما هنا في هذا العالم فيلبث الانسان شاهداً (٢) لا بل
صوتاً صارخاً (٣) يدعو الى التهيئة للعودة الى الجمال والحق
والحياة ، عن طريق واحد وواحد فقط « انا هو الطريق
والحق والحياة . ليس احد يأتي الى الآب إلا بي » (٤) .

(١) يوحنا ١٨ : ٣٦ . (٢) اعمال ١ : ٨ .

(٣) مرقس ١ : ٣ (٤) يوحنا ١٤ : ٦ .

اجل ان الثقافة السريانية هي دينية ، روحية ، بحتة .
في مطاويها نظم ودمائير تقي الانسان من الشر ، وتصونه
من ارتكاب المعاصي ، وتنهاه عن اتيان المنكر والخطأ وفي
مضمونها فلسفة روحية توجه البشرية نحو حبة الخالق العظيم ،
وتشوق له السبل المؤدية نحو الخير الاعظم والكمال الاسمي .
ومن اهدافها الرئيسية ان تكفل لمن يلبي نداء الحق ،
الراحة التامة ، وتحقق له السعادة الكاملة في السماء .
والذين تزعموا هذه الحركة الثقافية هم اناس « تجربوا في
هزء وجلد ثم في قيود ايضاً وحبس ، رجوا ، نشروا ،
جربوا ، ماقوا قتلاً بالسيف ، طافوا في جلود غم وجلود
معزى ، معتازين ، مكرويين ، مذلين ، تائميين في براري
وجبال ومغار وشقوق الارض » (٥) . هم اكليريكيون من
بطاركة ومفارنة ومطارنة ورهبان .

وواضح : ان نتاج هذه الثقافة السريانية ضمن هذا
الاطار ، لا يمكن ان يكون نتاج مواهب شخصية او
آتيا عن طريق الاكتساب ، لان ذلك وحده لا يستطيع
الارتقاء الى درجات الكمال الروحي ، والبلوغ الى مدارك

(٥) عب ١١ : ٣٦ - ٣٨ .

ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ

ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ
ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ
ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ
ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ
ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ ܘܚܘܠܘܩܘܢܐ ܕܘܢܐܢܐ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

لا حقا منذ ان لخصه
معها وامتدتها مع طبريا
بصر ابيها

معها من صفة

معلمة في سلكها

في مقلها وهديتها

السريان

العيان وهدية

ادب و تراث

بقلم

الطبيب محمد سعيد

النائب الطبيخي العام

الجزء الثالث

الأطراف من سبع سحر سحر
النائب البطركي العام

السريان

لعمارة ومهندسة عبدعبيد

مكتبة
الكتاب

في مقلدها همدنيتها

الجزء الثالث

